جامعة مؤتة
عمادة الدراسات العليا

التَّشكيل التَّكراري في السُّورالمكيّة
"دراسة أسلوبية "

كريم أحمد زيدان أبو سمهدانه

رسالة
مقدمةإلى
عمادة الدراسات العليا
استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة
الماجستير في الآداب في قسم اللغة العربية وآدابها

جامعة مؤتة، ٢٠٠٣

جامعة مؤته

عمادة الدراسات العليا

إجازة رسائل جامعية

تقرر إجازة الرسالة المقدمة من الطالب كريم احمد ابو سمهدانة والموسومة بـــ:

"التشكيل التكراري في السور المكية/دراسة مقارنة".

استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها .

القسم : اللغة العربية وآدابها

الاسم	التوقيع	التاريخ	
أ.د زهير المنصور		٢٠٠٣/١٢/١٧	مشرفا
أ.د. ابتسام الصفار		٢٠٠٣/١٢/١٧	عضوا
أ.د. شفيق الرقب		٢٠٠٣/١٢/١٧	عضوا
أ.د زياد الزعبي		٢٠٠٣/١٢/١٧	عضوا

عميد الدراسات العليا

د.ذياب البدايـــــة

الإهداء

إلى والدي شيخ الذاكرة الذي أصّل فينا حب الآخرين وأوصلنا إلى طريق الخير إلــى شــمس العمــر أمي الحنونة،إلى رفيقة دربي وقرة عيني زوجتي التي وقفت بجانبــي طيلة سنوات الدراسة وأتعبها سهر الليالي، إلى أستاذي الدكتور زهير الذي عمق فينا حب البحث ،إلى الطبيبين إخوتي وأخواتي،إلى أعز أصدقائي سالم القيسي.

أهدي هذا الجهد.

كريم أحمد أبو سمهدانه

فهرس المحتويات

الملخص

التشكيل التكراري في السور المكية
"دراسة أسلوبية"

كريم أحمد أبو سمهدانه

جامعة مؤتة، 2003

تأتـــي هذه الدراسة في سياق الدراسات البلاغية التي تخص ظاهرة من ظواهر اللغـــة بالدرس،ذهابا إلى أن اللغة تتضمن مجموعة من الظواهر تتفرد بها، وتتميز مـــن غيرها من اللغات وخاصة ظاهرة التكرار، فالتكرار ظاهرة بارزة تتشكل في السور المكية.

ففـــي الفصـــل الأول ناقش البحث المفردات البلاغية للتكرار من خلال المعنى اللغـــوي والاصطلاحي، ووقفت فيه على مجموعة من البنى التكرارية وخاصة بنية الـــتكرار الخـــالص، وتشـــابه الأطـــراف، والترديد،والعكس والتبديل، والمجاورة، والتصـــدير التعطف، وبينت الدراسة كذلك علاقة البنى التكرارية بعضها مع بعض من أجل إبراز جانبا من جوانب إعجاز القرآن الكريم.

القســـم الثاني من الفصل الأول فأفردته إلى دور التكرار الوظيفي في مصنفات القدماء والمحدثين، وبينت الدراسة من خلاله أن البلاغيين والنقاد والأدباء، وعلماء القرآن، والمفسرين قد اختصوا التكرار بوقفات مستقلة في مصنفاتهم، ولكنه التكرار العام، أو"البلاغي الأسلوبي "على نحو ما جاء في القرآن الكريم من تكرار عبارات، وآيـــات وقصـــص، وبينت الدراسة أنهم لم يغفلوا التكرار داخل التركيب، وجاءت إشاراتهم إلى التكرار داخل التركيب أثناء وقوفهم على الظاهرة بشكل عام.

أمـــا الفصـــل الثانـــي: فقد ناقشت الدراسة من خلاله البنى التكرارية المختلفة، وعرضـــت الدراسة إلى الأشكال البنائية للتكرار من خلال شواهد مختلفة من السور المكية،وبينـــت الدراسة في هذا الفصل من خلال الأنماط التكرارية أن التكرار من أعمق ظواهر الحياة التي نعيش،فهو قانون الحركة والعمل، وقانون الحياة.

أمـــا الفصل الثالث: موضوعات السور المكية في أبنية التكرار، فبينت الدراسة أهـــم الموضـــوعات العامة، وتفريعاتها التي تشكلت فيها الأبنية التكرارية، وكانت العقيدة، والعذاب والنعيم، والقصص، والكفر ولأخلاق من أهم الموضوعات، وبينت الدراســـة من خلال هذه الموضوعات أن الموضوع العام في السور وهو الذي يحدد الحركة والنبض، ومخاطبة الوجدان.

أما الفصل الرابع: دور التكرار الوظيفي في إنتاج الدلالة،فقد ناقشت الدراسة من خلالـــه الدلالـــة المعجمية، وبينت أن الدلالة المعجمية تخرج إلى دلالات كثيرة من أهمهـــا دلالة التأكيد، والتخصيص، والتعظيم،والتقرير، والتمكين، والتسوية، وقصد العمـــوم أما الدلالة السياقية، فقد بينت الدراسة أنها تخرج إلى دلالة التمني، والقفل والتقســـيم، والـــتلازم والـــتوازي، والتبادل، والتواصل، والنفي والتقابل. أما الدلالة الإيقاعية فقد بينت الدراسة أن الإيقاع الجذاب متناسق مع السياق الذي ورد فيه من خـــلال البـــنى الـــتكرارية، ومتناسق مع نظام الفواصل القرآنية، ومع جوّ السورة العام،وبينـــت كذلـــك أن جمـــال الإيقاع في البنى التكرارية يأتي من خلال الصوت المتكرر، وتكرار أصوات سابقة،وكذلك تكرار القالب الصوتي.

Abstract

Repetitive formation in the Mecca's suras "Stylistic Study"

Kuraiem Abu Samhadaneh
Mu'tah University :2003

This study is one of rhetorical studies concerned with a certain phenomenon in Arabic which has a set of phenomena, especially the phenomenon of repetition which is prominently formed in the Mecca's suras.

The first chapter discusses the rhetorical vocabularies of repetition through the linguistic and idiomatic significance. It concentrates on the repetitive structures such as pure repetition structure, the resemblance of edges, frequentation, opposition, replacement, bordering, using conjunctions. The study also reveals the interrelationships amongst these repetitive structures. The second part of this chapter concerns with the role of functional repetition in the classification of the old and modern scholars. The study demonstrates that the rhetoricians, the critics, the Qur'an scholars and expounders peculiarized repetition in dependent pauses in their classification, repetition was not ignored by the scholars who referred to it when observing the phenomenon in general.

The second chapter discusses the various repetitive structures. The study demonstrates the structure figures of repetition through numerous extracts from the Mecca's suras.

The third chapter discusses the topics of Mecca's suras through the structure of repetition. The study reveals the main topics of these structures as the following : dogma, torment and felicity, telling stories and history, disbelief, good manners. The study demonstrates that the general topics determines movement and addressing sentiment.

The fourth chapter discusses the role of functional repetition in producing significance. The study demonstrates that the lexical significance leads to many other significances as : assertion, specialization, magnification, stating, empowering, equalization, generality of meaning. Meanwhile, the study reveals that the contextual significance leads to many other significances as : wishing, dividing, appropriateness, parallel, changing, connection, negation and opposition.

The study also points out the role of harmonious significance, the attractive harmony is consistent with its context through the repetitive structures. It is also consistent with the system of commas used in the Holy Qur'an and the general atmosphere of sura.The beauty of harmony comes through the repetition of sound.

الفصل الأول

مفهوم التكرار ودراساته

المقدمة:

القرآن الكريم هو حبل الله المتين،والذّكر الحكيم، والصّراط المستقيم وهو الّذي لا تــزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة،ولا تشبع منه العلماء ولا يَخْلَق من كثرة الــردّ، ولا تنقضي عجائبه، ولذا كان القرآن مقصد الفقهاء، وكان إدراكه غاية أهل التّفســير، وجمالـــه وتفوقه البيانيّ مجال بحث الفقهاء والنّقاد،وكانت مثله العليا في المعــاملات والأخـــلاق والسّلوك مجالا رحبا نهل منه المفكّرون من علماء الأخلاق والاجــتماع، إلاّ أنّ هذا المقصد من العناية بالقرآن لم ينقطع في يوم من الأيام، بل ستظل موصولة إلى أنْ يرث الله الأرض ومن عليها، فأسراره لا تنفد بل مخبوءة لا تنتهي وستظل الإنسانيّة تغوص على درر هذا البحر،لتلتقط منها ما يزيد في جمالها، ورونقها لتهزّ به المشاعر وتثير به الأذواق.

فإن هذه الدراسة تأتي في سياق الدراسات التي تخص ظاهرة التكرار في القرآن الكــريم، وخاصة في الجانب المكي،ذهابا منها إلى أن الدراسات الأسلوبية في هذا الجانــب تكشــف عــن بعــض جوانب إعجاز القرآن، وبيان بلاغة نظمه وتركيبه بالإضـــافة إلى أن الدراسات الأسلوبية تقوم على تحليل مدلول ألفاظ الآيات القرآنية المكــررة فـــي مســـتوياتها المختلفة التي ترد عليها في السياق القرآني المكي، وفق مـــنهج تحليلي يجعل العناصر البلاغية خادمة للبنى التكرارية في المقاصد القرآنية، وبهـــذا المنهج نجعل العناصر البلاغية المتشكلة من البنى التكرارية خادمة للمقاصد القرآنـــية وإبـــرازها، وتسجيل المعاني الناتجة عن العلاقات بين الكلم، وفق قانون النحو وقواعده،وهو النظم، وهو ما دعى إليه إمام البلاغيين عبدالقاهر الجرجاني من خـــلال تنظـــيره لهذه القضية، والتي أدار إعجاز القرآن الكريم عليها، وبذلك نجعل الــبلاغة بكــل مفرداتها وسائل يتوصل بها إلى مراد الله سبحانه ــ من خلال النظم القرآنـــي العجيـــب ــ فالــبلاغة خادمة للقرآن، وليس القرآن خادما للبلاغة، وبهذا المنهج تسلم الآيات القرآنية من التجزئة والتقطيع،ويحفظ بهاؤها ورواؤها، وينكشف

شـــيء من أســـرار جمالها وبدائع نظمها. وهـــذا المنـــهج هو الأقوم والأليق بكلام الله ــ عــزّ وجل ــ ولهذا ارتضيته في هذه الدّراسة البلاغيّة معتمدا من خلاله على كثـــير من الدّراسات الّتي تناولت الجانب الأسلوبيّ للقرآن الكريم،فيعد كتابا" أسرار البلاغة "و"دلائل الإعجاز" من أروع ما ألّف في البلاغة الوظيفيّة والأسلوبيّة، وفيهما خلاصة النّظرية البلاغيّة لدى الجرجانيّ، وما من شك في أنّ السّبب وراء ذلك هو العقليّة الإبداعيّة والحسّ الأدبيّ الّذي تمتع به الجرجانيّ، وجاء جار الله الزّمخشري كامـــتداد للمدرسة الجرجانيّة، فعمد إلى كتابي الجرجانيّ السّابقين وراح يتمثّلهما في تفســـير القـــرآن الكـــريم"الكشّـــاف"، فكـــان بذلـــك إضافة كبـــرى إلى جهـــود الجـــرجانـــيّ، وغيرها مـــن الدّراسات القديمة الّتي سأعرض لها جانبا خاصا من فصول الدّراسة.

ثـــم تتابعت الدّراسات القّرآنية وحاولت الرّبط بين جهود المفسّرين والبلاغيين، فظهر هذا من خلال دراسات سيد قطب في " التّصوير الفني في القرآن"،فأظهر سيد قطـــب مـــن خـــلال دراسته أن اللّغة وعاء للفكر والتّدبر ثم جاء"الظلال" كنزا أدبيا ثمينا،وذخـــيرة بلاغـــيّة رائعـــة يقف عندها المصنفون اليوم على اختلاف مشاربهم موقـــف الإجلال والإكبار،فخلا الظّلال من الحشو والتّكرار، وحشر القاعدة البلاغيّة دون مـــبرر، فـــأعطى بذلك أفقا رحبا للأدب، وتفسيرا جديدا للقرآن تعدّى الظّاهرة اللّغوية إلى الظّاهرة الفنيّة الّتي هي منبع التّأثير وقوامه.

ومـــن قـــبل ســـيد قطب كان تفسير"المنار" لرشيد رضا، والتّفسير البياني لبنت الشّـــاطئ، ثم تتابعت الدراسات الأسلوبية التي تناولت الجانب البلاغي للقرآن الكريم كدراســـة أحمد بدوي"من بلاغة القرآن"، ودراسة عبد الفتاح لاشين "البديع في ضوء أســـاليب القرآن، ومحمد الحسناوي،الفاصلة في القرآن الكريم، والتقابل والتماثل في القـــرآن الكـــريم" لفايـــز القـــرعان"، ومحمد عبد المطلب " بناء الأسلوب في شعر الحداثـــة، وخوله الأسعد "التشكيل التكراري في السور المدنية "، وغيرها الكثير من الدراسات التي سأعرض لها جانبا خاصا من الفصل الأول.

وقـــد تشـــكلت هـــذه الدراسة ــ التشكيل التكراري في السور المكية من أربعة فصـــول وخاتمـــة : تناولت الدراسة في الفصل الأول منه مفهوم التكرار في اللغة

والاصـــطلاح، إذ وقفـــت فـــيه عـــند اللفظـــة، وانـــتقالها من المعنى اللغوي إلى الاصـــطلاحي، وتناولـــت فـــيه أيضا مرادفات التكرار في العلوم البلاغية، والفنون الأخـــرى ســـواء أكانـــت مـــرادفات لغويـــة "كالتكرير "، أم اصطلاحية كالترديد، والمجـــاورة،ورد الأعجـــاز، والتعطف،والعكس والتبديل، وتشابه الأطراف، وبينت الدراسة التواصل الذي ينشأ من هذه البنى التكرارية لبيان بلاغة النظم.

أمـــا القسم الثاني فأفرته لدور التكرار الوظيفي في الدراسات القرآنية من علماء القـــرآن، ومفسرين، وبلاغيين، ونقاد وأدباء، واستعرضت فيه مواقف هذه الطوائف مـــن التكرار بعامة معتمدا فيه التسلسل الزمني في كل طائفة ما استطعت لما لذلك مـــن أهمية معروفة في البحث العلمي، وتبين للباحث أن البلاغيين والنقاد والأدباء، وعلمـــاء القرآن قد اختصوا التكرار بوقفات، ومصنفات مستقلة، ولكنه التكرار العام أو(البلاغـــي الأســـلوبي) علـــى نحو ما جاء في القرآن من تكرار عبارات وآيات وقصـــص، مع أنهم لم يغفلوه داخل التركيب، وجاءت إشاراتهم إليه في أثناء وقوفهم علـــى الظاهرة بشكلها المتقدم، والذي جعلني أسوق موقف القدماء من التكرار عامة هـــو أن ذلـــك يعـــد موقفا لهم من هذه الظاهرة كما أن إشاراتهم إلى التكرار داخل التركيب جاءت متصلة ــ في أغلبها ــ مع وقوفهم عند التكرار عامة .

أمـــا الفصـــل الثاني: التشكيلات التكرارية وأبنيتها في السور المكية، فقد بينت الدراســـة مـــن خـــلال الشواهد المرصودة أن كل بنية تكرارية تشكل بذاتها ظاهرة أســـلوبية تركيبـــية يجـــتمع خلالها الكثير من الشواهد القرآنية، وخاصة في الجانب المكـــي لـــتدل مـــن خـــلال الشـــواهد علـــى بلاغة القرآن وإعجازه. أما الفصل الثالـــث:موضوعات أبنية التكرار في السور فقد بينت الدراسة أن هذه الأبنية تدور موضـــوعاتها حـــول ثلاثـــة أقســـام رئيسية: أولا: الوحدانية، وما يتفرع عنها من موضوعات،ثانيا: القصص القرآني، ثالثا: الجزاء والحساب، وبينت الدراسة أن هذه الموضوعات تلتقي مع بعضها البعض لبيان إعجاز القرآن.

أمـــا الفصل الرابع:المعنى الدلالي للتكرار، فقد بينت الدراسة أن المعنى الدلالي للتكرار يخرج إلى ثلاثة أقسام رئيسية وهي:الدلالة المعجمية، والسياقية والإيقاعية، ويـــتفرع عـــن كل دلالة من هذه الدلالات أقسام مختلفة تلتقي وتجتمع لبيان أسرار

القـــرآن، وجمال نظمه وتناسق إيقاعه المعجز.وعلى الرغم من الجهد الذي استنفذه منـــي هذا البحث،ومن معاودة النظر فيه مرارا، والتبديل والتعديل في صياغته، إلا أننـــي لم أستطع التخلص من تكرير في الأسلوب لازمني في فصوله لعل السبب فيه راجع إلى طبيعة البحث المتصلة في القرآن؛ لأن القرآن الذي بين يدي الباحث ليس كلام بشر يحق لكل كاتب إطلاق القول وإرساله على عواهنه، وإنما الكلام الذي بين يديـــه هـــو كـــلام ربّ البشـــر، وهو الذي تقف المشاعر عند سماع كلامه، فترتعد الفرائص من وعيده، وتتوق النفس إلى وعده،وتطمئن القلوب بذكره، فبذكره سبحانه تطمئـــن القلـــوب فيزداد إيمانها، وتتفتح بصائرها،وذلك وغيره يجعل رأس القلم في اضطراب، ويدع صاحبه في وجل وحذر، فإن أحسنت فالفضل من الله ثم لمن يوجه النصح للبحث والباحث.

وخـــتاما أقـــدم جزيل شكري وعرفاني إل أستاذي الكبير بعلمه وأخلاقه الأستاذ الدكـــتور زهير المنصور، لما له من فضل عليّ إذ أرشدني إلى هذه الظاهرة عندما كنت قي طور البحث عن موضوع لهذه الرسالة، ولم يألني النصيحة والحرص على تهذيب هذا البحث من شوائبه، وقوّم اعوجاجه،كما أنني أشكر الأستاذ الدكتور ابتسام الصـــفار، والأستاذ الدكتور شفيق الرقب، والأستاذ الدكتور زياد الزعبي، لتشرفهم مناقشة هذا البحث لتضعه على السبيل القويم.

المعنى اللّغوي:

إنّ مصـــطلح التّكرار من المصطلحات العربيّة التي شهدت حضوراً كبيراً عند البلاغيـــين العـــرب القدامـــى.حيـــث تجمع المعاجـــم اللّغوية أنّ " كـــــرّ" تعني الرّجوع،وتأتـــي بمعـــنى الإعادة،والعطف،فيقول الخليل بن أحمد الفراهيديّ: "الكرّ: الـــرجوع علـــيه، ومنه التّكرار"(الفراهيدي،د.ت،)، واكتسب الأصل "كر" معنى آخـــر بإضـــافته، أو تعديته بـــ"على، وعن"، فـــ" كرّ عليه"تختلف عن"كرّعنه"، فابن سيده يقـــول:"كـــرّ عليه،يكرّ كرّا وكروراً،وتكراراً:عطف"(ابن سيده،1958)،ويذكر الزّبيديّ أصـــل الـــتّكرار"كـــرر" ضـــمن مســـاحة واســـعة كـــرّ علـــيه:عطـــف،وكرّعـــنه:رجـــع، وهو مـــن السبّاقيّن الّذين أشاروا إلى معنى

التّكرار، وقال: " إنّه ذكر الشّيء مرة بعد أخرى، وهو اصطلاح لا لغة، وضبط المصطلح عندما فرّق بين المصدر والاسم،فقال:تِفْعَال اسم، وتَفْعَال: بالفتح مصدر"(الزبيدي،د.ت). ومن خلال ذلك فإن التّكرار مصدر للفعل "كرّ"،الذي يفيد ذكر الشّيء مرة أخرى،أو إعادته،أو الإتيان به مرة أخرى .

أمّا التّرديد " فهو من ردد القول كرّره،والردّ مصدر: رددت الشيء، وهو صرف الشّيء ورجعه، وردّه عن وجهه يرده رداً صرفه، وردّد القول بمعنى ردّه،والتثقيل للكثرة، والتّرديد"هو إعادة الشيء" (ابن منظور،د.ت)،وذكر الفيروز أبادي أن"الارتداد الرّجوع،وراده الشيء ردّه عليه"(الفيروز أبادي،د.ت)، ومن المعنى اللّغوي نلمس الإيحاء التّكراري للتشكيل البنائيّ، فمعنى التّرديد أننا نذكر كلمة ما ، ثم نذكرها مرة أخرى بنمط جديد، " ...فمعنى التكرار متحقق من خلال المعنى اللّغوي والإيحائي للكلمة ذاتها التّرديد ....."(الأسعد،1999،).

والمجاورة يقول فيها الزّمخشري: " هي حسن الجوار، وهم جيرتي، وتجاوروا، واجتوروا،ومن استجارك فأجره"(الزمخشري،1996، 66)،ويفصّل الفراهيديّ ويقول:" الجوار مصدر من المجاورة،والجار: يجاورك في السكن" (الفراهيدي،د.ت، 176)، وتشترك المعاجم العربية في تحديد المفهوم ليتحقق الجوار، فيقول الزبيدي: "والجار المجاور: وهو الذي يجاورك بيت بيت "(الزبيدي،د.ت، 478)، " ونلمح من خلال المعاني اللّغوية لبنية المجاورة التّشكيل البنائيّ، وقربها من بنية التّكرار.... (الأسعد ،1999).

أما التّعطف فإنّه يرد في المعاجم إلى" عطف الشّيء يعطفه عطفا، وعطوفاً، فانعطف، وعطفه، فتعطّف: حناه وأماله "(ابن منظور،د.ت)، والمعنى نفسه ذكره الزّبيدي(الزبيدي،د.ت،)،وابن سيده(ابن سيده ،1958) ويذكر صاحب القاموس المحيط التّعطف فيقول:"عطف يعطف عليه حمل وكرّ"(الفيروز أبادي،د.ت) ، ويقول:" تعطّف الوسادة ثناها"(الفيروز أبادي،د.ت) ،فالتّعطف من خلال هذه المعاني اللّغوية يحدث أثناء التّكرار، ويعكس ذلك المعنى الّذي طرحه الفيروز أبادي تعطف الوسادة أي جعل لها ثنية مكرّرة ،ومكانا متّسعا بين الطّرفين .

أمّـا بنـية التّصـدير فهـي من البنى التّكرارية، " ويسمى ــ ردّ العجز على الصّـدر:فهـو مشتق من الصدر، والصـدر أعلى مقدّم كلّ شيء، وصدر القناة أعلاهـا، وصدر الأمر أوّله، والتصّـدير حبل يصدّر به البعير إذا جرّ حمله إلى خلف،فالحـبل اسمه التّصدير،والفعل التّصدير" (الفراهيدي،د.ت)، ويذكر الزّمخشري أن معـنى التصّدير هو" حبل يشدّ في صدر البعير"(الزمخشري ،1996، 306) ، وقريب من هـذا المعنى نجده عند حسن سعيد الكرميّ فيقول: " صـدر عن المكان انثنى عنه ورجـع بعدما ورده، ومنه صدرت الخيل عن الماء أي ارتوت بعد الورود"(الكرمـي، 1992،16) ، " .....ومـن خـلال هذه المعاني التي تطـرحها المعاجم نجد في السياق كلمة في أول الجملة تمهد لورودها مرة أخرى فـي نهاية الجملة، والّذي يحدث في هـذا المصـطلح البديعي، أن ترد مفردة في الصّدر، وترد في العجز متكررة ورد العجز على الصّدر، أو التّصدير من البنى الّتي ترد في الشّعر، والنّثر على السّواء، ومفهوم كلمة ردّ يؤكد العلاقة السّطحية بين الدّالين المكررين.... (الأسعد،1999)، ولهذا نقـل محمـد عـبد المطلب قول الدّسوقي عن ردّ العـجز فقال:" إنّه إرجاع العجز للصـدر، بـأن يـنطق بـه كما نطق بالصـدر ..... ولا يستغنى بأحـدهما عن الآخـر"(محمـد عبدالمطلب،1997،366) ، ولاحظ البلاغيون أهميّة البعد المكاني في هـذه البنية ، إذ إنّ تلاشي هذا البعد ينقل البنية إلى صورة أخرى من صور التّكرار.

أمـا البنية السـادسة في هذا المحور بنية العكس: وهي بنية تجسّد في عمقها ازدواج الرّكـيزة الإنتاجـيّة على نحـو قريب مـن بنية التّقابل، وهذا القرب نكاد نلمسـه مـن التّسـمية ذاتها،حتى أنّ صاحب الإيضاح أطلق على بنية العكس ــ "العكـس والتّبديل،هو أن يقـدم فـي الكلام جزء ثم يؤخر"(محمدعبد المطلب1997 ،378) وتجمـع المعـاجم العربـية علـى أن العكـس:"هـو ردّك آخـر الشـيء على أوّله،ويقال:عكست أي عطفت على معنى النّسق "(ابن منظور، د.ت)

وبنية التّطريز من البنى البديعيّة التي أوجدها العسكريّ في الصّناعتين كما ذكره أحمد مطلوب(مطلوب، 1987، 267)."الطرْز: البزّ والهيئة، والطّراز ما ينسج من الثّياب للسـلطان، والطرز،والطّـراز: الجـيـد مـن كلّ شيء، ويقال: طرّز الثّوب فهو

مطرّز"(الزمخشري، 1996، 247)، ونجد من هذا المفهوم أنّ التّطريز يهتم بتنسيق محدّد لمكان الدّلالات ، من خلال شكل متكرّر بين الألفاظ.

ويدخل في هذه البنى التّكرارية بنية تشابه الأطراف، فتشابه الأطراف يقدّم بنية تكراريّة تعتمد على إعادة لفظ القافية في أول البيت التّالي لها، فالبنية التكرّارية هنا ملحوظ فيها البعد المكانيّ، في تجاوز الدّالين المكرّرين برغم تمايز التّراكيب، التي تضمّ كلاً منهما من حيث الختام، والابتداء، ومن الواضح أنّ هذه البنية التّكرارية تحاول أنّ تتفادى توقعات المتلقي؛ لأنّها تقوم على مفاجأته بإحداث توافق شكليّ ومضموني بين البدء والختام، ومن مثل هذه المفاجآت يحدث الأثر الأسلوبيّ على المستوى الدّلالي وعلى المستوى الصوتي(عبد المطلب، 1997).

ومما سبق من المعنى اللّغوي للأشكال البديعيّة المعنيّة بالدّراسة.. نلمس التّقارب في المعنى والدّلالة إلى معنى التّكرار، وأن هذه الأشكال البديعيّة تتوافق فالمستوى السّطحي والمستوى العميق للمعنى اللّغوي... (الأسعد،1999)...وأهمية هذا المحور أنّه لا يكتفي بهذا التّوافق المزدوج الّذي يجعلنا في مواجهة تكراريّة مباشرة، بل أنّه يضيف إليها ملاحظة البعد المكاني للدّوال وتنسيقها على نحو معين يساعد على توافق حركة السّطح مع حركة العمق، وهو توافق بعيد الأثر في إنتاج الأدبيّة. كما تأتي أهمية هذا التّوافق بين المصطلحات البديعيّة من إنتاجيته التّراكميّة، حيث تتردّد الدّوال في صورة جماعيّة غالبا، وقد حاول البلاغيّون متابعة هذا التّوافق في أقسام لها طبيعتها المستقلة على نحو من الأنحاء، واختاروا لكل قسم الاصطلاح الذي يتوافق مع خواصّه البنائيّة،فتشابه الأطراف يقدم بنية تكراريّة تعتمد على إعادة لفظ القافية في أول البيت التّالي لها،فالتّكرار هنا ملحوظ،بينما التّعطف: الرّجوع إلى ما سبق،فنعطف عليه ما تقدّم، ويتحقق ذلك في التّصدير، والمجاورة، لأنها تعني تقاربا مكانيا لدالين مكرّرين متجاورين فيضفي عليها ملمحا تكراريّا.... (الأسعد،1999).

المعنى الاصطلاحي:

تقــع ظاهــرة التّكرار بكل أشكالها ضمن"علم البديع"،والمتتبع للمصطلح داخل المعجم،وفــي مجــال التّعامل الفنيّ سوف يجــد ارتباطه بالجدّة عموما، فمادة "بدع تأتي من بدع الشيء بدعا، وابتدعه: أنشأه، وبدأه، واخترعه، أي أنّ المــادة اللّغوية تنتمــي إلــى إنشاء الشيء بداية "(ابن منظور،د.ت، 230 –231)،" وإنّ أيّ متابعة تاريخيّة للأشكال البديعيّة لا تعني رصد تحولاتها الزّمنية الّتي ترتب بها أحداث اللّغة، وإنّما تعنــي الإلحــاح على ظواهر معيّنة، وهي ظواهر تولّد عنها نوع من التّراكم الكميّ لمجموعــة من الظّواهر التي قد تميل بالخطاب الأدبيّ إلى جانب القبول، أو جانب الرّفض، وهو ما أقرّه أهل اللغة من هذه الظاهرة البديعيّة...."(عبدالمطلب،1997،346).

فالــبديع أصــبح أداة تعبــيريّة يعتمد المفارقة الحسيّة،والمعنويّة لغة بذاتها، كما يجعــل مــن الإيقاع التّكراري خاصيّة بذاتها، وكل ذلك يمثل عمليّة تنظيم للأدوات التعبــيريّة التي كان الإلحــاح عليها وسيلة لقبولها أولاً، ثم الإعجاب بها ثانيا، حتى أصــبح مألوفــا أن نجد ناقدا كالقاضي الجرجانيّ يظهر إعجابه بمثل هذه الظّواهر البديعــيّة عــند أبــي تمام،ويعتــبرها مــن العلامــات الــبارزة فــي شــعره الغزليّ(عبد المطلب، 1997).

وقــد اهتم البلاغيّون اهتماما خاصا بمجموع التّنويعات اللّغوية التي تتأتى على مســتوى السّــطح، منتجة دلالة من نوع خاص، وقد تركز هذا الاهتمام على رصد أوجــه الــتّوافق، والــتّخالف في الحروف،والكلمات، والجمل، وهو تركيز تركيبيّ يصــعد من المفرد إلى المركّب، ومن البسيط إلى المعقّد، وقد امتد الاهتمام البلاغيّ إلى مجموعة من المؤثرات الجديرة بالاعتبار، والّتي تتصل بالمبدع، أو بالمتلقّي، وقــد تنحصــر فــي النّص ذاته أحيانا أخرى، وهذه المؤثّرات لا تتحرك في إطار واحد؛بــل إنّها تتبدّل، وتتغيّر، وتتصادم لتخرج عن إطار المحفوظ اللّغوي، لتشكل في النّهاية تنوعا فرديا أو جماعيا أسماه البلاغيّون"البديع"(عبد المطلب، 1997 ،350).

والذي حدد مفهــوم البديع في وقت متأخر من تاريخ البلاغة القزوينيّ من كلام السّــكّاكي فقــال: "علم البديع علم تعرف به وجوه تحسين الكلام،بقدر رعاية تطبيقه علــى مقتضى الحال،ووضــوح الدّلالة "(القزويني،1993 ،282 _ 283)،ويؤكّد محمد عبد

المطلـــب:" علـــى أنّ وحـــدة البحـــث البلاغـــي فـــي العلـــوم الـــثلاثة:عـــلم المعاني،والبيان،والـــبديع"(عـبد المطلـب،1997،351)، فالمفهوم من هذا التحديد المعرفي جــزء من كل، أو نتيجة لمقدمتين سابقتين عليه، إذ إنّ "رعاية المطابقة تستدعي ما يجــب اعتباره من علم المعاني، ووضوح الدّلالة يستدعي ما يجب اعتباره من علم البيان"(عبدالمطلب،1997 ،351).

على هذا الأســاس يتابع البلاغيّون الأبنية التعبيريّة المختلفة ليرصــدوا نظامها الدّاخلــي، وما بينها من توافق ، أو تخالف، ويضعوا لها المسمّيات المتوافقة معها، ويمكــن أنّ نتبيــن في هذه المتابعة العناية، بالتنويعات الشّكليّة التي تؤثر في إنتاج المعــنى باعتــبار أنّ اللّغة تستعين بتنظيمات غير محدّدة، تسلك من أجل ذلك طرقا مــتعدّدة يمكــن إخضاعها لقوانين عامّة، وثابتة، وربما كان مراقبة تشكيل الجملة، وتقصــي عناصرها هو الّذي قادهم إلى مجموعة التّفريعات،واستخلاص ما يحكمها مــن نظــام، حــتى أصــبح لكل تعبير تسمية محددة تكاد تستوعب الملفوظ اللّغوي جملة(الأسعد،1999 ،عبدالمطلب،1997) .

ومــع التّدقيق والتّأمل يتبيّن أن مجموعة الأشكال البديعيّة ترتبط بعلاقات عميقة تكــاد تســيطر علــيها، وتوجه عملية إنتاجها للمعنى، وهذه العلاقة تتمثّل في البعد "الــتّكراري" الّــذي تجلــــى على مستوى السطح الصّياغي، وعلى مستوى العمق الدّلالـــي، أي أن الــتّكرار هـــو ممــثل البنية العميقة، ولا يمكن التّحقق من هذا الغـــرض إلا بتتــبع البــنى البــديعــيّة فـــي مســتواها السّــطحي، ومستواها العميق،ويتبيّــن للــدّارس، أنّ البديعييــن قد أحكمــوا الرّبــط بين مجموعة البنى البــديعيّة بعلاقات عميقة لا يمكن إهمالها،وإلاّ استحالت هذه البنى إلى كمّ متنافر من الصّــيغ اللّغويــة الّتــي يربط بينها الاعتباطيّة (الأسعد ، 1999،عبد المطلب ،1997) ، إذن" الــتّكرار "هــو المدخل الصّحيح للتّعامل مع "علم البديع" على وجه العموم،دون أنّ ينفــي ذلــك إمكانيّة البنى البديعيّة في تقديم إضافات دلاليّة إلى هذا التّكرار، وهي إضــافات لا تلغــي هذا التّكرار،أو توقف فاعليته الإنتاجيّة، ودون أنّ ينفي خروج بعض البنى عن دائرة التّكرار(عبدالمطلب،1997 ،الأسعد،1999).

فالـــبـــديع اللّـــفظـــي، والمتمـــثل فـــي بنـــية الـــتّكرار هـــو محـــور هـــذه الدراســـة،دون ــ الـــبديع المـــعـــنوي ــ داخل التّشكيل البنائي للآيات الكريمة في السّـــور المكيّة، ومـــــن خلال دراستنا للمفردات، وعلاقاتها السّياقية داخل نسقها البنائـــي ندخـــل إلـــى العمق الدّلالي الوظيفي لتحليل، واستخلاص الدّور الإنتاجي البلاغـــيّ لمـــثل هـــذا التّشـــكيل اللّفظـــي(الأسعد،1999). وتعرض الدّراسة المفـــهوم الاصطلاحي للأشكال التّكرارية عند البلاغيين وأبدأ:...

التّكـــــرار:

الـــتّكرار عند البلاغيين يعني "تكرار كلمة، أو اللّفظة أكثر من مـــرة في سياق واحـــد لنكـــتة إمـــا للتّوكيد، أو لزيادة التّنبيه، أوالتّهويل، أو للتّعظيم، أوللتّلذذ بذكر المكرّر "(ابن معصوم،1969، 34 ــ 35).

والنّكـــتة التي أشار إليها ابن معصوم وثيقة الصّلة بالجانب التّأثري، الّذي يكوّنه الـــتّكرار، فقـــد أبـــرز هذا التّعريف أهمية التّكرار، " فأعطاه جانبا وظيفيا متّصلا بـــالموقف الشّـــعوري، والانفعالـــي، وهذا الموقف تؤديه ظاهرة أسلوبيّة تشكل لبنة أساســـيّة مـــن لبـــنات العمل الأدبي، ولذلك ينبغي على المرء ألا ينظر إلى التّكرار خـــارج نطـــاق السّياق، ولو فعل ذلك لما تبيّن له إلا أشياء مكرّرة، لا يمكن لها أنّ تؤدي إلى نتيجة ما " (ربابعة،1990، 16).

واهتم الجاحظ بهذا الفن اهتماما كبيرا وقال: "جملة القول في التّردد أنّه ليس فيه حدّ ينتهي إليه، ويؤتى على وصفه، وإنّما ذلك على قدر المستمعين،ومن يحضره من العـــوام والخـــواص" (الجـــاحظ،1948 ،105)، ومـــثّل لذلـــك بـــأنّ الله عـــزّ وجل رددّ ذكـــر قصة موسى، وهود،وهارون، وشعيب، وإبراهيم، ولوط، وعاد، وثمود وكذلك ذكـــر الجـــنّة والـــنّار، وغـــيرها مـــن الأمـــور؛ لأنّـــه خاطـــب جمـــيع الأمـــم(عبدالمطلـــب،1997)، وذكـــره التّهانوي،فقال: "هو ذكر الشّيء مرة فصاعداً بعد أخرى"(التهانوي،1966،1237،مطلوب،1989، 369 ــ373)،ويرتبط ذلك التّكرار، أو إعادة الدّال مـــرة بعد أخرى بدلالة وظيفية معينة تتلاءم مع ذلك التّنظيم النّسقيّ للتّركيب فقوله تعـــالى: ﴿ كَـــلا سَـــوْفَ تَعْلَمُـــونَ*ثُـــمَّ كَـــلا سَـــوْفَ تَعْلَمُـــونَ ﴾(التكاثر،3- 4)،ففي

اللّفظــي"(السجلماسـي،1980،324 ــ 325)،ومنه قوله تعالى:﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا*إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ (الشرح،5 ــ 6)، وفي هذه الآية تكرار لدالين حيث كرّر الدّال الأول"فإنّ مـع العسر يسرا " مـرة ثانية وقال: "إن مع العسر يسرا "مع فارق بسيط في الدّال الثّاني وهذا الفارق ينحصر بالفاء المقترنة بالدّال الأول وعلى هذا يكون تكرار الدّال الثّانـي توكـيدا لفظـيا للـدّال الأول، لـيؤكّد للسـامع أنّ العسـر مهمـا اشـتدّ سيلحقه اليسـر،وهـو ما تميل له النّفس الإنسـانيّة،"والإشباع تأكيد معـنوي"(السجلماسي،1980،324). ويتشكل التّكـرار على المستوى العمـودي، بحيث يـتم ترتيـب النّسق التّركيبي بشكل تتكرّر فيه الدّلالات بتناسب مكانيّ يأخذ ترتيبه داخل النّص،أو الفقرة المعنيّة،وقد أشار إلى هذا المستوى ابن فارس فقال:"ومن سنن العرب التّكرار، والإعادة، وإرادة الإبلاغ بحسب العناية بالأمر"(ابن فارس،د.ت،341).

والـتّكرار".... يتشـكّل على المستوى الأفقيّ مـن خلال إعادة الدّال مرة بعد أخـرى، وانـزياحه مـن نقطة مكانيّة إلى أخرى أفقيا،ويتم تشكيل التّكرار على المسـتوى العمـودي مـن خلال تكرار بداية الفقرة في النّثر، أو بداية الأبيات الشّعرية المتتالية...." (الأسعد،1999،10).

وفـي الجانـب المقـابل لـم يغفل الباحثون المعاصرون هـذه الظّاهرة في دراسـاتهم" فكلمـة (Repetition)، كلمـة لاتينيّة،ومعـناها يحـاول مرّة أخرى ومـأخوذة مـن (Repetere)، ومعناها يبحث، والتّكـرار إحدى الأدوات الفنّية الأساسـيّة للـنّـص، وهـو يسـتعمل فـي التّألـيف الموسـيقيّ والرّسـم والشّـعر،والنّثر،والتّكرار يُحـدث تـيّار التّـوقع،ويسـاعد في إعطاء وحدة للعمل الفنّـي" (ربابعـه،1990،160 ــ 161). لذلـك "يعتبر التّكرار ظاهـرة موسيقيّة، ومعنويّة فـي آن واحـد، فهـو ظاهـرة موسيقيّة عنـدما ترد الكلمة،أو المقطع على شكل اللاّزمـة الموسيقيّة أو النّغم الأساسيّ الّذي يعاد ليخلق جـوّا نغميّا ممتعا، ويصبح هـذا التّكرار على المستوى اللّغوي ذا فائـدة معنويّة، إذ إن إعادة ألفاظ معينة في البـناء الأدبـي، يوحي بأهمية ما تكتسبه تلك الألفاظ مـن دلالات، مما يجعل ذلك الـتّـكرار مفتاحا في بعـض الأحيان لفهم الآيّة، أو السّورة، أو أي نصّ يحوي التّكرار"(أبو إصبع،1997،338).

تشابه الأطراف :

تقـدم بنـية تشـابه الأطراف مفهـوما تكراريّا :"تعتمد على إعادة الشّاعر لفظ القافـية فـي أوّل البيت التّالي لها "(المصري،1983،520)، أو أن يعيـد النّاثر القرينة الأولـى في أوّل القرينة الّتي تليها، فالتّكراريّة هنـا ملحوظ فيها البعد المكانيّ في تجـاوز الدّاليـن، بـرغم تمايز التّراكيب الّتي تضم كلاّ منهما من حيث الختام، أو الابـتداء(ابـن معصـوم، 1969،45)، وهـذا المصطلح مـن مسمّيات ابن أبي الإصبـع المصـريّ كما يقول يوسف بكار أطلقه على مـا يسمى سابقا بالتّسبيغ، ويرى بأنّ التّسبيغ: "هو الزّيادة في الطـّول كمصطلح بلاغي"(بكار،1990،117)، ويرى فيه يوسف بكّـار بأنّـه:" زيـادة حـرف ساكن على السبب الخفيف في آخر الكلمة كمصطلح عروضي "(بكار،1990،117). ويمثّل أبي الإصبـع لهذه البنية من شعر ليلى الأخيليّة في الحجاج بن يوسف الثّقفيّ :

"إذا نزل الحجّاج أرضا مريضة　　تتبع أقصى دائها فسقاهـا

سقاها من الدّاء العضال الّذي بها　　غلام إذا هزّ القناة سقاهـا

سقاها فرواها بشرب سجالـه　　دماء رجال يجلبون صراها"(المصري،1957،230)

فـالدّوال تتردد في شعـر ليلى محافظة على توافقها السّطحي، والعميق برغم التّغاير المكانيّ:　　سقاها......... ختام في البيت الأول

سقاها........ ابتداء في البيت الثاني

سقاها........ ختام في البيت الثاني

سقاها....... ابتداء في البيت الثالث

ونلاحـظ أنّ التّغاير المكاني قد تلاشت فاعليته في النّطـق، إذ إنّ هذا النّطق قد أتاح للدّوال نوعا من التّجاور الّذي يزيد مـن فاعليتها التّكراريّة على المستوى الصّـوتي، وهو ما أدركه ابن معصوم في أنّ التّعامل مع هذه البنية فيه "دلالة على قدرة عارضة الشّاعر، وتصرفه في الكلام،وإطاعة الألفاظ له، ولا يخلـو مع ذلك مـن حسن موقع في السّجع، والطّبع،فإنّ معنى الشّاعر يرتبط، ويتلاحم به حتى كأن معنى البيتين، أو الثّلاثة معنىواحد"(ابن معصوم،1969 ، 50).

وقــد يمــتدّ البــناء الــتّكراريّ في تشابه الأطراف خلال القصيدة كاملة، كما أشــار النّويري في مفهــــومه وقال:" تشابه الأطراف أن يجعل الشّاعر قافية بيته الأولــى أوّل البيــت الثاني،وقافــية الثّانـــي أوّل الثّالــث، وكـــهذا إلـــى انتهاء كلامه"(النويري،د.ت،ج7،181)، وهـــذا المصطلح يـــورده القزوينيّ، إلا أنّــه يعنـــي به تشــابه الأطــراف المعنوي، والذي تحدث عنه المصريّ وسماه تناسب الأطراف وعــند علمــاء البلاغة يسمى"مــراعاة النّظير"وهو:"أن يختم الكلام بما يناسب أوّله في المعن "(القزويني،1993،23) .

وقســمه صاحب أنوار الرّبيع في القرآن الكريم إلى قسمين: ما وقع في فاصلة الآية الأولى أوّل الآية الثّانية كقوله تعالى:﴿ وَعْدُ اللهِ لاَ يُخْلِفُ اللهُ وَعْدَهُ وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُــونَ*يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِن الحَيَاةِ الدُّنيا ﴾(الروم، 6 ــ 7)، فأعاد نهاية الآية السّــادســة فـــي بداية الآية السّابعة" يعلمون،لا يعلمون"،والقسم الثاني:ما وقع في غــيــر فواصــل الآيــات،بل فــي الآيــة نفسها،كقوله تعالى: ﴿ وَيُخْرِج الحيَّ مِنَ الميِّتِ*وَيُخْرِجُ الميِّتَ مِنَ الحَيّ﴾(يونس ،31).

فأعــاد الــدّالات خــلال الآيــة نفسها"الحيّ ــ الحي"،" الميّت ــ الميّت "فالبعد المكانـــي للـــدّال يــأخذ حــيزه فـــي النّهاية، ثم يأتي الدّال المكــرّر ليجاوز الدّال المكــرّر أفقــيا ليشــكّل ذلــك الــتّجاوز نســقا بنائيا يمثله الشّــكل التّجريدي التّالي(عبد المطلب،1997،364):

البداية" الحي "	النهاية " الحي"
البداية "الميت"	النهاية"الميت"

ويتضـــح لنا مـــن الرّسم التّوضيحي أنّ التّكرار الّذي حدث في الآية الكريمة أشبه بـــالذي يحدث إذا نظر شخص لنفسه أمام المــــرآة. ليشكل بذلك بعدا جديدا ناتجا عـــن التّغــير المكانيّ للـــدّال المكرّر،فينتقل بذلك من النّهاية إلى البداية مكوّنا شكلا تجاوريّا على المستوى الصّوتي، والإيقاعيّ(عبد المطلب،1997،365).

ويشـــير محمـــــد عبد المطلب"إلى أن هـــذه البنية التّكراريّة تحاول أنّ تتفادى توقعـــات المتلقي لأنّـــها تقوم على مفاجأتـــه، بإحداث توافق شكليّ،ومضّمونيّ بين البدء والختام، ومـــن مثل هـــــذه المفاجآت يحـــدث الأثر الأسلوبيّ على المستوى

الدّلالــيّ، وعلـــى المســـتوى الصّوتي"(عبد المطلب،1997، 364 ـ 365)."…. فبنية تشابه الأطــراف بنــية تكـــــــرّاريّة تعــتمد على النّقل المكاني للقافيــة الأولى، وهكذا خـــــــلال السّياقات، أما من حيث المستوى الصوتي، فإنّ التّغير المكاني للدّال، لا يلمح،بــل إنّ إعـــادة الــدّال تشعــرنا بالرّبط بين الجملتين أو البيتين، وتلغي أهمية المكـــان لهذا الدّال، وتصـــر على تذكيرنا بسماعه، والإلحاح عليـــه،لإثبات فاعليّته على مستوى الإيقاع الصوتي، والدّلالي العميق.." (الأسعد،1999،33،عبدالمطلب،1995،11،عبد المجيد،1998،115).

التّرديد:

إذا كانــت بنــية تشـــابه الأطـــراف قد مثّلت نوعا مـــن التّـــــوافق السطحي والعمـــيق، فإنّ بنية التّرديد تقترب منّه، وتعتمد أيضا على هذا التّوافق، مع ملاحظة الــبعد المكانـــيّ فـــيه، والّـــذي يجمـــع بيـــن الدّالين أو الدّوالّ علـــى نحـــو بنائيّ مخصوص(الأسعد،1999).

وقـــد حـــدد ابـــن رشـــيق مفهـــوم الـــترديد بقوله:" هو أن يأتي الشّاعر بلفظة مـــتعلّقة بمعـــنى، ثم يردّها بعينها متعلقة بمعنى آخـــر في البيت نفسه، أو في قسّيم مـــنه" (القيرواني ،1972،ج1،323)،وقد عدّه القيروانيّ مـــن المجانسة، ومنه قول زهير بن أبي سلمى:

"من يلق يوما على علاته هرما يلق السّماحة منه والنّدى خلقا"

فعلّق"يلق" بـــ"هرم"،ثم علّقها بالسّماحة،فالدّالان"يلق ـــ يلق"في البيت السابق يحافظان علـــى بنائهما الشّكـــلي، ثم يحـــافظان على توافقهما العمـــيق، لكن تأتي إضـــافة لهــــا أهميتها في إنتاج المعنى،"..وهي اختلاف المنطقة التي يسلط كل دالّ فاعليته عليها،وهـــــــي إضـــافة لا تنــتقص مــــن الــتّوافق بين الدّالين، وإنّمــــا تنمّى فاعليــتها،وتمــدّها إلـــى مســـاحة واســـعة بـــل إنّ الــتّأمل يكاد يوجد المنطقتين الإضـــافيتين، لأنّ بنـــية السّـــطح ناتجـــا أوّلـــيا هـــو من يلق هرما، يلق السّماحة والنّدى،أيّ أنّ المخالفة السّطحيّة ارتدّت إلى موافقة عميقة، فهرم غير السّماحة،لكن

هـرما سـيتّحد مـع السّـماحة مـن خـلال صـفاته، لـيكون هو نفسه السّماحة المطلقة"(عبد المطلب،1997،370) .

وحـدّد مفهومـه التّبريزيّ، والبغداديّ بما يقرب من مفهوم ابن رشيق، وذكرا بعـض أمثلته،ثم قالا: "وقد يسمـى التّعطف أيضا"(التبريزي،1975،287 ،الحاتمي،1979، 15 المصـري،1983،253))، وقـال ابن الزّملكانيّ:" التّرديد أن تعلق لفظة بمعنى ثم تردّها بعينها، وتعلقها بمعنى آخر"(الزملكاني،1964،186) ،وذكر ابن أبي الإصبع المصـريّ أنّ مـن الـتـرديد نوعا يسمّى التّرديد المتعدد: "وهو أن يتردد حرف مـن حروف المعاني، إما مرة، أو مـرارا، وهـو الّذي يتغيّر فيه مفهـوم المسمّى ليتغيّر الاسم إمّـا لـتغاير الاتصال، أو تغاير ما يتعلق بالاسـم " (المصـري،1983،252)،ومثّل عليه بقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُم ﴾(الأنعام، 120).

ونلاحـظ أنّ ابـن أبـي الإصبع قد مدّ هـذا الشّكل البديعيّ إلى"حـروف المعانـي "(المصـري،1957،96)، كمـا يلاحظ أنّ التّرديد فيه يعتمد البنية العميقة أبدا؛ لأنّ تـردد الحرف، وإن توافق في السّطح،والعمق مـن حيث الوظيفة، فإنّ فاعليته الإنتاجيّة رهينة ببنية العمق، فنلحظ تردد الحرف"من" مع اتّصاله بضمير المخاطبين" مـنكم" ثـم ضمير الغائبين "منهم"، وهذا التغاير قد أدى في العمق إلى تغيّر مفهوم المسـمّى، لتغاير الاتصال،فصنع تحولا في السّياق جعل المؤمنين كافرين عند تحقق الشّرط (المصري،1957). وكذلك أشار إلى التبـاس التّرديد في بعض الأحيان مع باب التّعطف، وفرّق بينهما،موضّحا الموقع والتّعلق لكليهما(المصري،1983) .

ويـنقـل صـاحـب كـتاب مـواد البـيان الاخـتلاف بيـن علماء البديع حـول مصطلح التّرديد، ولعل أبعـد الآراء رأى لأبي علي الفارسي ويتضمن :"أنّ الـتّرديد هـو أن يأتـي بكلمتيـن حـروف أحدهمـا بعض حروف الأخرى مثل سـحـاب،ورحاب"(الكاتـب،1982،351)، ويعـده العلويّ ".... مـن الضّروب المتعلقة بالفصـاحة اللّفظـية مـن علم البديع، وجعله الضّرب العاشر، وجعل التّرديد صنفا منه.."(العلوي،1982، 359).

أمـا السّجلماسـيّ فإنّه يضـع التّرديد في قسم المناظرة والّتي تعني عنده"القول المركّب من جزئين كلّ واحـد منـهما موافق للآخر، في المادّة، والمثال، وقـد

أخـــذا مـــــن جهتي وصفهما في الجنس الملائمي من الأمو، وتعليق أمر ما آخر، ومحمولات آخر عليهما من جهة أخرى"(السجلماسي، 1980، 404).

والـــتّردد عـــنده: "قول مركّب مـــن جزئين متّفقي المادة، والمثال في كلّ جزء مـــنهما، مــــع كونهمـــا فـــي جنس الملائميّ ــ محمول عليه، ومعلّق به أمر ما غـــير الأول"(السجلماســي،1980،411)،"...فنجد السّجلماسيّ فـــي مفهومه هـــذا لا يختلف عمـــا ذكـــره السّابقون: لفظ يتردّد في الكلام، ويعلق، ويحمل على غير ما حمل أو علّق عليه في الأول، وهو تماما ما قصده السّابقون..."(الأسعد،1999،19).

بيـــنما جعله ابن الأثير بابا رئيســـا، ويدخل فيه التّصدير والتّعطف والمشاكلة، وردّ الأعجاز علـــى الصّـــدور،ويقول:" إنّ كل هذه الأبواب مادتها واحدة،لكنْ فرّق أهـــل البديع بينها بفروق، وقالوا :التّرديد مـــا تردد لفظه في البيت سواء كان أولاً، أو آخراً "(الحلبي،1980،260.البغدادي،1981،122 .ابن منقذ،1987،85). فبنية التّرديد من خلال ما سبق تعتمد على مرتكزين: المسافة المكانيّة، والتّوافق المعجميّ للدّال، ومع ذلك،فإنّ النّســـق اللّغوي لهذه البنية لا يمثل عمـــلية التقاء، وإنّمـــا عملية موازاة، فيحدث من خلالهـــا الـــتّجاوز المكانـــي للّفظتيـــن، لكـــن لكلٍّ منهما تعلق مغاير، فينتج بفاعلية هـــــذا الـــتّجاوز والـــتّغاير ازدواج دلالـــيّ فـــيه مـــن الـــتّرابط بقدر ما فيه من الـــتّغاير(الأســعد،1999،19)، وقـــد تمت مناقشته من قبل البلاغيين المحدثين كتشكيل من التّشكيلات التّكرارية(عبد المجيد،1998،94 ــ 95).

المجاورة:

وهـــي مـــن البـــنى التـــي تعتمـــد " التّردّد الصّياغي،مــــع غياب المســـاحة الصّـــياغية التي تفصل بين الدّالين، على معنـــى أنّ البعد المكانيّ يتمثّل في تجاور الـــدّوال المكـــررة، وبالـــرّغم من أنّ الصّياغة في هذه البنية تأخذ شكلا أفقيا؛ فإن المســـتوى العميق يأخذ شكلا رأسيا، نتيجة للتّراكم الدّلالي بفاعلية التّردد التّجاوريّ، الذي يحيل المعنى إلى طبقات بعضها فوق بعض"(عبد المطلب،1997،369).

ومصـــطلح المجـــاور مـــن المصـــطلحات التـــي انفـــــرد العســـكريّ ببحثه دون غـــيره مـــــن البلاغييـــن، وقـــارب بيـــن المعـــنى اللّغـــوي، والاصطلاحيّ

عـــندما أطلـــق علـــيه هذه التّسمية " فالمجـــاورة: هي الجوار، وهي: المصدر من جاورت"(ابن سيده، 1958، 173.البطليوسي،1981، 423)، ويقول المجاورة:" تردد لفظتين فـــي البيت، ووقوع كل واحد منهمـــا بجنب الأخرى، أو قـــريبا منها من غير أن تكون إحداهمـــا لغـــوا لا يحـــتاج إليها "(العسكري،1984،466)،وهو مما يدعم تحقيق المستوى العميق للمعنى.وتأتي المجـــــاورة ثنائيّة أحيانا،وثلاثيّة أحيانا أخرى ،فعلى مستوى الثّنائية يقول علقمة :

"ومطعم الغنم يوم الغنم مطعمه أنّى توجه والمحروم محروم"(عبدالمطلب،1997،369)

فقـــد تحققـــت المجاورة التّكراريّة مرّتين "الغنـــم ــ الغنم"و"المحروم ــ محروم" وهـــذا التّشـــكيل يوضح تحقق الرّصد المكاني للدالات التّجاوريّة،ففي الحالة الأولى دال(1) ــ دال (2) يأتي فاصـــل من المسافة المكانيّة ضمـــن مســـاحة زمانيّة بسيـــطة لا تلغي تـــحقق المـــعنى التّجاوريّ "الغنم يوم الغنم"(عبد المطلب،1997،369).

وعلى مستوى البنية الثّلاثية، يقول أبو هلال:

"كأن الكأس في يده وفيه عقيق في عقيق في عقيق"(العسكري،1984،467).

وفـــي هـــذه البنـــية كمـــا أشـــار محمـــد عبد المطلب "... يمتد الخط الدّلالي أفقـــيا وصـــولا إلـــى نقطـــة الارتكاز،ويتوقف عنـــدها مؤقتا،أو نهائيا،ليتحول من الأفقـــيـــّة إلـــــى الرّأسـيـــة بفـــاعلـــية الإلحـــاح على هـــذه النّقطة عن طريق التّكرار..."(عبد المطلب،1997،369.الأسعد،1999،15).

ردّ العجز على الصّدر:

ردّ العجـــز علـــى الصّـــدر مـــن البنى التّكراريّة التّي تتمحور، حول المحور التّوافقـــي(الأسـعد،1999). ومفهـــوم كلمـــة "ردّ " يؤكـــد العلاقة السّطحيّة بين الدّالين المكرّريـــن، ولهـــذا قال محمد عبد المطلب نقلا عن الدّسوقي عـــن ردّ العجز:"إنّه إرجـــاع العجـــز للصدر، بأن ينطق به،كما نطق بالصدر .... ولا يستغنى بأحدهما عـــن الآخـــر "(عـــبد المطلب،1997،66)، ويلاحظ البلاغيّون أهمية البعد المكاني في هذه البنـــية، إذ إنّ تلاشـــي هذا البعد ينقل البنية إلى صورة أخرى من صور التّكـــرار،

ويسميه ابن المعتز كما يقول محمد عبد المطلب بـ" رد أعجاز الكلام على ما تقدمها"(عبد المطلب،1997،372). وقد قسّمه البلاغيّون في الشعر إلى أربعة أقسام :

القسم الأول: تتسع فيه المساحة المكانيّة إلى أقصاها، حيث يكون الدّال الأول في صدر البيت، والثّاني في نهاية البيت،كقول الشاعر:

"سريع إلى ابن العم يلطم وجهه وليس إلى داعي النّدى بسريع"(الداية،د.ت،180)

فالدّال الأول في الصّدر"سريع"، والدال الثاني في العجز"بسريع" وقد فصلت بين الدّالين الأول، والثّاني أقصى المسافة المكانيّة.

والقسم الثّاني: تضيق فيه المساحة المكانيّة شيئا ما، حيث يأتي الدّال الأوّل في حشو المصراع الأوّل، والثّاني في نهاية المصراع الثّاني، كقول الصّمة القشيري:

" تمتع من شميم عرار نجد فما بعد العشية من عرار"(الداية،د.ت،180).

والقسم الثّالث: تزداد فيه المساحة ضيقا ، حيث يقع الدّال الأوّل في نهاية المصرع الأوّل، والثّاني في نهاية المصرع الثّاني،كقول أبي تمّام:

"ومن كان بالبيض الكواعب مغرما فما زلت بالبيض القواضب مغرما"(الداية،د.ت،180).

والقسم الرّابع تصل فيه المساحة بين الطّرفين إلى أقل أبعادها، حيث يكون الطّرف الأوّل في أوّل المصراع الثّاني،والآخر في نهايته كقول ذيّ الرّمة :

"وإن لم يكن إلا معرَّج ساعة قليلا فإني نافع لي قليلها"(الداية،د.ت،180).

ويلاحظ في كل هذه الأقسام أن اتّساع المساحة المكانيّة،أو ضيقها يرتبط بالدّال الأوّل،وتحركه من موقع إلى آخر، أمّا الدّال الثّاني فإنّه ثابت الموقع، وأهمل البلاغيّون قسم آخر، يكون موقع الدّال الأوّل في حشو المصراع الثّاني، والآخر في نهايته لأنّ المساحة تكون محدودة، بل إنّ ذلك قد يتعذر بالنّظر في البناء العروضي لأنّه ــ أحيانا ــ لا يسمح.(عبدالمطلب،1997،368.السبكي،1937، 435).

وفي الأقسام الأربعة السّابقة تم التّوافق بين الدّالين في السطح، والعمق؛ لأنّ بعض البلاغيين قد أضاف إلى بنية " ردّ الأعجاز"بعض الصور التّجنيسية التي يتوافق فيها الطّرفان على مستوى السطح،ويختلفان على مستوى العمق .

وردّ الأعجاز على الصّدور من البنى التي تأتي في الشّعر والنّثر على سواء،والأشكال البنائيّة السّابقة يمكن أن يأتي بعضها في النّثر أيضا

فعلى القسم الأول ـ اتساع المساحة المكانيّة إلى أقصاها بين الدّالين ـ يمثله قوله تعالى:﴿ وَيَخْشَى النَّاسَ والله أَحَق أَنْ تَخْشَاهُ ﴾(الأحزاب،37)،وقوله تعالى:﴿ قَالَ إنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنْ القَالِين﴾(الشعراء،168)،فكلمة "... قال من القول،وكلمة قالين من القلى وهو البُغض"(عباس،1987،308)،في حين أنّ طبيعة البناء الصّياغي للنثر لا يحتمل من الأشكال الثلاثة الأخرى إلا أن يكون الدّال الأول في حشو الفقرة،والثّاني في آخرها، وعلى هذا يأتي قوله تعالى: ﴿ قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لاَ تَفْتَرُوا عَلَى اللهِ كَذِبَاً فَيَسْحَتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَى﴾(طه،61) .

ونلاحظ من ذلك أن ردّ الأعجاز في النثر قريب من الجناس"إلا أنّ ردّ الأعجاز جاءت إحدى الكلمتين في أول الجملة، والثّانية في آخرها، ولا يشترطون ذلك في الجناس، والجناس لا بد فيه من اختلاف الكلمتين من حيث المعنى،وقد يتحد المعنى في بنية ردّ الأعجاز"(عباس،1987،308).

ونجد تعليقا لابن رشيق القيروانيّ على بنية ردّ العجز ، يؤكد فيه الوعي البلاغيّ بوظيفته السّطحيّة، والعميقة، فعلى مستوى السّطح يؤدّي مهمة صوتيّة نتيجة لتردد الدّال بعينه، إذ إنّه يحيل البيت إلى دائرة مغلقة بدايتها هي نهايتها"فيدل بعض الكلام على بعض"(القيرواني،1972،433) مما يعطي للمتلقي قدرة إنتاج قوافي الشعر، والفواصل في النثر.

وعلى مستوى العمق، فإنّ الدّلالة تتلاحم تلاحما شديدا بزيادة المائيّة فيها، وبتنمية المعنى ليدخل "ديباجة"جديدة بالرغم من أنّه اعتمد التّكرار السّطحي(الأسعد،1999).

العكس والتبديل:

بنية العكس والتّبديل من البنى التي تعتمد التّوافق السّطحي، والتّخالف في العمق، ويجسد في عمقها ازدواج الرّكيزة الإنتاجيّة على نحو قريب من بنية "التّقابل"، حتى أنّ القزوينيّ أطلق عليها مصطلح "العكس والتّبديل:فيقدم في الكلام جزء ثم يؤخر"(القزويني،1993،318).

إلاّ إنّ مــن البلاغيين مــن أسماه "التّبديل"فصــاحب خزانة الأدب يقول: "إنّ التّــبديل نــوع من التّصدير،ويعني به: أنْ يصير المتكلّم الأخير من كلامك أو ّلا، أو بالعكس كقولهم:اشكر لمن أنعــم عليك،وأنعم على من شكرك"(الحموي،1991،115).وعند الــنّظر في خط الدّلالة لبنية العكس والتّبديل" يكشف لنا عن كونها حــركة تقدميــة علــى معنى أنّ اللّغة تنمو وصولا إلى منطقة دلاليّة يحسن الوقوف عندها، وهذا بلا شك يصدق على معظم النّواتج اللّغوية "(عبد المطلب،1997،378).

لكــن التّأمل في بنية العكس يؤكد وجود منعطفات، أو إنّها عملية توقف مؤقتة تعــدل فــيها الصّــياغة خــطّ سيــرها، لتجــعله خطّا مزدوجا يعتمد على التّقديم، والتّأخــير الّــــذي تتبادل الدّوال المتمــاثلة، وهــو ما يدخله دائرة التّكرار؛ لأنّ الذّهن يتحرك إلــى الأمام، فيــدفع الصّياغة إلى متابعته، ثم يرتدّ للــوراء فتلاحقه الصّــياغة أيضــا، وبيــن الــتّقدم، والتّراجع تتوافق البنية السّطحية، وتتخالف بنية العمق(عبد المطلب،1997). ونجد في بنية العكــس والتّبديل أنّها " ...تعتمد عملية التّعلق فــي إنــتاج الدّلالة بمعنى أنّها بنية تركيبيّة لا إفراديّة، وهذا التّركيب لا يعتمد على التّنافــي بيــن الـــدّوال المكرّرة، بل إنّه يعمل على عقد علاقة تلازم بينهما، وهو تــلازم مــع المغايــرة، إذ إن اكــتمال بنية العكس بمجيء الطّرف الثّاني، يترتب علــيه تعــديل فــي المعنــى علــى نحــو من الأنحاء؛ لأنّ هذا التّغاير التّركيبي يقتضي ــ لضرورة ــ تغاير الناتج الدّلالي(عبد المطلب،1997،378) .

وبرغم أنّ عنــاصر بنية العكس تتوافق تمام الموافقة، فإنّها تقدم شكلا تعبيريّا فــريدا؛ لأنّ الــتقــابل فيــه ينتج التّــوافق، فهــو مؤشر على تداخل الدّلالات في العمــق أو ّلا، ثــم تداخل المستــوى السّطحي ثانيا. ففي قول المتنبي:

" إذا أمطرت منهم ومنك سحابة فوابلهم طل وطلك وابل"(عبد المطلب،1997،378)

نجــد بنــية العكــس والتــبديل واضحة كل الوضوح، فكلمة"وابل"الأولى الدّال الأول،وقعت "مبتدأ"،وعندما عكسها الشّاعر في عجز البيت جعلها "خبرا"، والشّــيء نفســه فــي بنــية "طــل" الدّال الأول، والتي وقعت خبرا،ثم عكسها، وأصبحــت مبتدأ،ويمــثل الشّــكل الــتّجريدي التّالــي مــا حصــل لبنــية العكــس فــي بيت المتنبي(عبد المطلب،1997) :

فوابلهم طل وطلك وابل

↓ ↓ ↓ ↓

مبتدأ خبر مبتدأ خبر

والشّيء نفسه نجده في قولنا:

"كلام الأمير أمير كلامنا"(ياسين،1997،113)

فكلمة "كلام" مبتدأ، وهو أحد الطّرفين في الجملة، وكلمة الأمير مضاف إليه، وقد وقع العكس بين طرف الجملة، وما أضيف إليه، حيث قدّم أوّلا:كلام على كلمة الأمير ــ المبتدأ على المضاف إليه،ثم عكس فقدم "الأمير" على الكلام ــ أي المضاف إليه على المبتدأ.

وفي قوله تعالى:﴿ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولج النَّهَار فِي اللّيل وَتُخْرِجُ المَيِّت مِنْ الحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاْء بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾،فوقع العكس بين متعلقي فعلين في جملتين" تولج الليل في النّهار"وجملة" تولج النّهار في الليل" وكذلك وقع بين جملتي" تخرج الحي من الميت" وجملة" وتخرج الميت من الحي"،فالعلويّ يجعله وجها من أوجه القلب أو التّبديل،والّذي يعني:عكس الكلمات في نظامها، وترتيبها مثل " كلام الملوك ملوك الكلام"(العلوي،1982، 94).

وبنية العكس تظهر جمال التّقابل بين المعاني، إضافة إلى موسيقا جميلة تسكبها على الكلام المتعاكس، وهذا يعتمد على قدرة المتكلّم عند استعمال الصّور اللّفظية الدّالة على تقابل جميل، كما أنّه يبرز الطّاقة التّعبيريّة للألفاظ المتعاكسة، فعندها نحسب بنية العكس من البنى التّكرارية المعتمدة على التّقدير المرسوم بدقة صناعيّة.لا شك أن متابعة الدّرس البلاغي في رصده للظّواهر البديعيّة، قد أكد حضور الخلفيّة التّكرارية التي مارست فاعليتها رأسيا وأفقيا، وهي فاعلية تتجه إلى إنتاج الدّلالة أحيانا، وإلى انتاج الإيقاع الخالص أحيانا ثانية، ثم مزج الإيقاع بالدّلالة أحيانا أخرى(الأسعد،1999).

والملاحظ أنّ الإغراق في هذا الجهد الوصفي للتّكرار، قد أدّى إلى تكاثر الأشكال البديعيّة ، وهذا التّكاثر أدى إلى نوع من التّداخل بين كثير من الأشكال

البديعيّــة،حـــتـــى أصــبـــح للشـــكل الواحد أكثر من مصطلح،وأصبح المصطلح الواحـــد يضم أكثر من شكل.ولكـــن في هـــذه الدّراسة سيتم التركيز على الأشكال التّكرارية الرّئيسة التي أشرت إليها سابقا(الأسعد،1999).

دور التّكرار الوظيفي في الدّراسات القرآنيّة

مصنفات المتشابه:

إن ظاهـــرة التّكرار ظاهرة ملموسة في أسلوب القرآن، ولها سماتها، ومفهومها الخـــاص، وأكـــثر من تصدى لها من علماء القرآن وخصّها بالمصنفات هم العلماء الذين عُنوا بمتشابه القرآن.والمتشابه مصطلح كثر القول فيه، ولكنّه ينقسم في النّهاية إلى قسمين حسب تصنيف الأئمة فيه:

أوّلا: المتشـــابه اللفظي،ويطلق عليه في علوم القرآن علم الآيات المتشابهات، أو علـــم المتشـــابه، وهو من علوم التفسير، وذلك أن يتشابه تركيبان أو أكثر من جهة اللفـــظ في موضعين مختلفين سواء في الآية أم في السّورة أم في القرآن كاملا، وقد تكون درجة التّشابه بينهما تامة، وقد تكون في بعض الأوجه.

ثانيا:علـــم المحكم والمتشابه:ويقصد بالمتشابه فيه آيات الصفاتوالأفعال،وموضع الإفاضة في هذا العلم هو علم الكلام(الكرماني،1991).ونجد أن المصنفات الجامعة لعلوم القـــرآن قد أفردت كل نوع منها بباب مستقل(البرهان،1972). والنوع الأوّل من أقسام المتشـــابه هـــو مجال دراستنا هنا،وذلك لأنّه جانب من جوانب أسلوب التّكرار، وقد خصـــه بالتألـــيف مجموعة من الأئمّة، منهم حمزة بن حبيب الزّيات"ت 158 هـــ"، والكسائي"ت 189 هـــ"وهؤلاء لم تصل مصنفاتهم، وأحمد بن جعفر المنادي"ت336 هـــــ"، في متشابه القرآن العظيم،والخطيب الإسكافي"ت 420 هـــ"، في درّة التّأويل فـــي متشابه التنزيل، ويعد كتابه أشهر مصنف في هذا المجال وصل إلينا، وللإمام محمـــود بن حمزة الكرمانيّ" البرهان في متشابه القرآن"وقد نشر هذا الكتاب بعنوان آخر هو"أسرار التّكرار في القرآن" بتحقيق عبد القادر أحمد عطا.

وتتابعـــت المؤلفات في هذا العلم فمنها"ملاك التّأويل القاطع في توجيه المتشابه من آيّ التنزيل"لابن الزبير الغرناطيّ "ت 627هـــ"، "وفتح الرحمن بكشف ما يلتبس

فـــي القرآن" للإمام أبي زكريا الأنصاريّ "ت926 هــ"، وخص الفيروز أبادي هذا العلـــم بقســـم مـــن مؤلفه"بصائر ذوي التميز"وهناك الكثير من المؤلفات لم تذكرها الدراسة.

وقـــد اعـــتمد اللاحقـــون علـــى السابقين في هذا الميدان،وتقاربت أقوالهم إلى حـــدّ نقـــل النّصـــوص عـــند بعضـــهم، فتقارب منهجهم في التّأليف مع منهج من ســـبقهم،وقد عمدوا إلى آيات القرآن ــ على التّرتيب القرآنيّ المعروف ــ ورصدوا كـــل آية أو تركيب تكرّر له مشابه في موضع آخر من القرآن، أو في غير موضع، ولـــم يحصـــروا المتشـــابه بمـــا كـــان تشـــابها كليّا في اللفظ بل انقسم عندهم إلى أنواع(الكرماني،1991،66 ــ 69):

1 ــ التّكرار اللفظي: وهو أن يتشابه التركيبان من جهة اللفظ تماما دونما زيادة أو نقصـــان نحـــو :"مـــن في السّماوات والأرض " في موضع و"من في السّماوات والأرض " في موضع آخر .

2ــ التّقديم والتّأخير:مثال ذلك قـــوله تعـــالى :﴿ قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِـــــي نَفْعًا وَلاَ ضَـــرًّا﴾(الأعـــراف،188)،وقوـــله تعالى في موضع آخر:﴿ قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلاَ نَفْعًا﴾(يونس،49) بتقديم وتأخير ضرا ونفعا.

3 ــ الزّيادة والحذف ويمثل عليه أصحاب المحكم والمتشابه قوله تعالى:﴿ قَالُوا وَجَدءنا آبَاءَنا ﴾(الأنبياء،53)،وقوله تعالى:﴿ قَالُوا بَل وَجَدنا آبَاءَنا ﴾(الشعراء،74)،بزيادة "بل" في الآية الثّانية.

4ــ إبدال حرف مكان حرف كقوله تعالى:﴿ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الجنّةَ وَكُلا مِنْهَا رَغَدا﴾(الـــبقرة،35)،وقوله تعالى في سورة الأعرا: ﴿ اسْكُن أَنْتَ وَزَوجُك الجنّةَ فَكُلا مِنْ حيثُ شِئتما ﴾(الأعراف،19)، بزيادة الفاء على فعل الأمر كلا.

5 ــ إبـــدال كلمـــة بأخـــرى نحـــو ﴿ ولئـــن رُدِدتُ إلى رَبِي ﴾(الكهف،36)، وقوله تعالى: ﴿ وَلئن رُجعت إِلَى رَبِّي﴾ (فصّلت،50).

6 ــ مجـــيء الكـــلام فـــي موضـــع علـــى نظم،وفي آخر على عكسه كقوله تعـــالى: ﴿ ادْخُلُـــوا البَابَ سُجَّداً وَقُولُوا حِطّة﴾(البقرة، 58)، وقوله تعالى:﴿ وَقُولُوا حِطّة وَادْخُلُوا البَابَ سُجَّداً ﴾(الأعراف،161).

7 ــ أن يأتــي اللفظ معرّفا في آية ونكرة في أخرى نحو:﴿ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيينَ بِغَيْرِ الحقِّ ﴾(البقرة،61)، وقوله تعالى: ﴿ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيينَ بِغَيرِ حقٍّ ﴾(آل عمران،21).

8 ــ يأتــي اللفــظ مفــردا فــي آية وجمعا في أخرى نحو:﴿ وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنا الــنَّارُ إلاَّ أيَّامــاً مَعْــدُودة ﴾(الــبقرة،80)، وقوله تعالى:﴿ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنا النَّارُ إلاَّ أيامٌ مَعْدُودَات﴾ (آل عمران،24).

9 ــ الفــك والإدغــام: نحــو": ﴿ وَمَــنْ يُشَاقِق الرّسول ... ﴾(النساء،15)، وقوله تعالى:"وَمَن يُشاقِ الله ..."(الحشر،4).

وذهب علماء المتشابه في تتبع أنواعه السابقة في النّص القرآنيّ كاملا، يجمعون كــل تركيب وما تكرر من نظائره المتشابهة في أحد الوجوه السّابقة، محاولين إبراز الحكمــة وبــيانها مــن تكرار هذه التّراكيب من جهة، وإبراز المعاني الّتي اقتضت تغايــر الآيات المتشابهات من جهة أخرى(الكرمانــي،1991،64). حتى ظهر عملهم هذا وكأنــه دراســة للتّكرار العام في القرآن الكريم.واكتفى المتقدم من هذه المصنّفات برصــد مواضــع المتشــابه، وأماكن تكرارها، ومن هذه المصنفات"متشابه القرآن العظيم" لأحمد بن جعفر المنادي(المنادي،1408هـ).

أمــا مــن جــاء بعده من علماء المتشابه بدءا من الإسكافيّ، فقد وقفوا عند كل تركيــب تكــرّر من المتشابه،وحاولوا بيان الحكمة من تكراره إذا كان التّشابه تاما وإبــراز المعانــي التي اقتضت التغاير إذا كان التّشابه غير تام بحذف أو زيادة أو اخــتلاف، وكانــت خلاصة كلامهم تعني أن يكون هذا التّشابه تكرارا جاء لغرض كالتّأكــيد والــتّقرير، ومما يؤيد ذلك أنّهم كانوا يلتمسون مخرجا لكلّ تركيب تكرر وشــابه غــيره، مؤكديــن أنّ غرض أحدهما ليس كغرض الآخر، وأنّ ما جاء له أحدهمــا ليس ما جاء له الآخر مما يؤدي في النّهاية إلى أنّهما تركيبان مختلفان في موضعين وغرضين مختلفين ففي قوله تعالى:﴿وَقُلْنَا يَا آدمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الجَنَّةَ وكُــلا مِــنْهَا ﴾ (الــبقرة،35). وقولــه تعــالى:﴿ وَيَــا آدمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الجَنَّةَ فَكُلا﴾(الأعراف،19)، ذهب الخطيب الإسكافي في تخريج هذه الآية إلى أنّ أحد الخطابين قــبل الدخــول، والثّاني بعد الدخول إلى الجنة، وبناء عليه جاءت" كلا":مرة بالواو، ومرة بالفاء(الخطيب الإسكافي،1973).

وذهب الكرمانيّ نفسه مذهبا قريبا من هذا في هذه الآيات، حيث قال مستعينا بما جـاء عـند الإسكافي:"... وإنما الذي في البقرة من السكون الذي معناه الإقامة فلم يصـلح إلا بـالواو؛ لأن المعنى جمع بين الإقامة فيها والأكل من ثمارها ولو كان بالفـاء مكـان الـواو لوجب تأخير الأكل إلى الفراغ من الإقامة؛ لأن الفاء للتّعقيب والتّرتيب، والذي في الأعراف من السكنى التي معناها اتخاذ الموضع سكنا، لأن الله تعالى أخرج إبليس من الجنة بقوله"اخرج منها مذؤوما مدحورا"(الأعراف،18)، وخاطب آدم فقال: "يا آدم اسكن أنت وزجك الجنة"(الأعراف،19)أي اتخذها لنفسك أنت وزوجك مسكنا، فكلا من حيث شئتما، فكانت الفاء أولى؛ لأن اتخاذ المسكن لا يستدعي زمنا ممـتدا يمكن الجمع بين الاتخاذ، والأكل فيه بل يقع الأكل عقيبه"(الكرمانـي،1991،119). ففـي هذا المثال يتبين لنا مسلك هذين العالمين في تخريج هاتين الآيتين المتشابهتين علـى أنّ إحداهمـا ليسـت تكـرارا للأخـرى،وإنّما كـل واحدة جاءت في مقام مختلف،يشفع لذلك التغاير اليسيـر في نظـــم كل منهما.

فالإسـكافي بهـذه الطـريقة في التحليل أراد بيان علاقة التّراكيب المكررة بما حولهـا من سياق عام، إذ لم ينظر إلى التّراكيب المكررة نظرة جزئية ضيقة، وإنّما نظـر إليها من خلال السّياق العام، حيث تختلف السّياقات الّتي يرد التّركيب المكرر فـيها، وهذا يعني أن التّركيب المكررقد يأتي لغرض آخر وفي موضع مختلف مما يحـول فـي النّهاية دون القول بأنّه مكرّر، فقوله تعالى:﴿ إِذَا السَّمَاء انشَقَّتْ*وَأَذِنَتْ لِـرَبِّهَا وَحُقَّـتْ*وَإِذَا الأَرْضُ مُـدَّتْ*وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ*وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ (الإنشـقاق،1 ـ 5)، فيقول الإسكافي: "للسائل أن يسأل عن تكرار قوله: " وأذنت لربها" والجواب أن يقال: إنّ الأول للسّماء، والثاني للأرض"(الخطيب الإسكافي،1973، 528)، وهذا الموضع لا يرى الإسكافي فيه بأسا إذ يقول" فَعُني بالثّاني غير المقصود بالأول من وصـف يوجب له حكما غير حكم الأول كان من مختار الكلام"(الخطيب الإسكافي،1973، 530). وعلـى هـذا النّحو وقفوا مع الآيات المتشابهة، حتى أنّ الكرمانيّ منع وجود الـتّكرار المطلق في القرآن، وذهب إلى أنّ كل ما وقع من ألفاظ مشتركة بين أثنين أو أكثر، فإنّ اللّفظ المشترك في كل آية يفيد معنى غير الّذي يفيده في الآية الأخرى مما يحول دون القول بالتّكرار(الكرماني،1991).

والـــتّكرار الذي يعنيه الكرمانيّ هنا ليس هو التّكرار الشكليّ أو التّشابه اللفظي، وإنّما يعني التّكرار بمعناه المطلق، وهو ما كان الثّاني فيه تكرارا للأول دون زيادة معـــنى أو غرض ما، فالتّكرار اللفظي حقيقة موجودة في القرآن الكريم، ولم ينكرها الكرمانـــيّ، ولكـــن محور أقواله في أنّ اللفظ المكرر أو التّركيب يأتي لغرض غير الغـــرض الّـــذي ذكر له أوّلا، ويوضح ذلك في قوله تعالى:﴿ اهدِنَــــــــا الصِّرَاطَ المُســـتَقِيمَ*صِـــرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ﴾ (الفاتحة،5 ـ 6)، فكرر لفظ الصّراط،وذلك أنّ الصّـــراط هـــو المكان المهيأ للسلوك، فذكر في الأوّل المكان، ولم يذكر السّالكين، فكـــرره مـــع ذكـــرهم فقـــال:" صراط الذين أنعمت عليهم" أي الذي سلكه" النبيّون والمؤمنون"(الكرماني،1991،112).

وذهب إلى أن قوله تعالى "...عليـــهم " من سورة الفاتحة " ليس تكرارا؛لأنّ كل واحـــد منهما يقتضيه اللفظ،وما كان هذا سبيله فليس بتكرار"(الكرمانـــي،1991،113)،وفي بعض المواضع كان الكرمانيّ يحمل التّكرار على التّوكيد،ويعده من مسوغاته كقوله تعـــالى:﴿ وَلَـــو شَـــاءَ اللهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهم ﴾(البقرة،253)ثم قال تعالى في نفس الآيـــة:" لو شاء الله ما اقتتلوا "فيقول:"كرر في الآية تأكيدا ....وقيل تكذيبا لمن زعم أن ذلـــك لم يكن بمشيئة الله "(الكرمانـــي،1991،113). وفي العرض الّذي سبق تدور بغية مصـــنفات المتشـــابه.وأشـــار مصـــنف"مـــلاك الـــتأويل" لابـــن الزّبير إلى بعض المواضـــع مـــن ذلك قوله تعالى:﴿ فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ*وَخَسَفَ الْقَمَرُ*وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَـــرُ﴾(القيامة،7).فيقول:" يُسأل عن إعادة لفظ القمر في الفاصلتين،والجواب عنه:أنّ ذلـــك لبـــيان أهـــوال القـــيامة وتعظـــيمها،والعرب تستعمل هذا عند قصد التّهويل والتّعظـــيم....وقـــد اجـــتمع فـــي آيـــة القـــيامة قصـــد التّعظـــيم الّـــذي حملـــه التّكرار"(ابن الزبير،1983، 1120).

وكذلـــك تكـــرار " مـــا " فـــي قوله تعالى:﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾(التغابن،1)،وقوله تعالى:﴿ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾(التغابن،4)،ففي الآيتين قصـــد "بهمـــا الاســـتيفاء والإحاطة بكل المسبّحين، وبهذه الإحاطة اقترن في الآية واتصـــل بهـــا قوله تعالى: ﴿ ويَعْلَمُ مَا تُسرّونَ وَما تُعْلِنُونَ ﴾(التغابن،4)،فحصل من ذلك إحاطة علمه سبحانه بما ظهر وما بطن وما اشتملت عليه السّماوات والأرض، فلما

اقــترن بهــذه الآية ما يعطي إحاطة علمه سبحانه بجزيئات "ما" في الجملة، وأنّه لا يغيب عنه شيء لم يحتج في قوله " يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ "إلى إعادة" ما"؛ لأن ذلــك يكون كالتكرار الذي لا يحرز المعنى، وأما الآية الأولى فلم يقترن بها ما يعطي ملفوظا به مع أنه قُصد الإحاطة فلم يكن بدٌّ من إعادة " ما " من أجل استئناف إحصـــاء وتأكيد"(ابن الزبير،1983،1084). أمّا مصنف"بصائر ذوي التّميز"للفيروز أباديّ، فقد استبطن أغلب ما جاء في البرهان للكرمانيّ نصّا وروحا، ولم تجد الدّراسة عنده جديــدا فــيما يخــص توجــيه المتشابه، وجاءت بعض المواضع في فتح الرحمن" للأنصاري" شاهدا على الخوض في أسلوب التّكرار كقوله تعالى:﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْــتَعِينُ ﴾(الفاتحــة،4)، فــيقول الأنصــاريّ:"كــرّر لفــظ إيّاك لقطع الاشتراك بين العامليــن"(الأنصــاري،1983،10).وكذلــك قوــله تعالى:﴿ لَّعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُــونَ﴾(يوســف،46)،فكــرر" لعل "رعاية للفواصل،إذ لو قال:لعليّ أرجع إلى النّاس فيعلمون،بحذف النّون جوابا لـــ"لعل " لفاتت الرّعاية(الأنصاري،1983،462).

وقــد حظيت المصنفات في هذا الموضوع وبخاصة عند المعتزلة باهتمام كبير؛ لأنهــا عماد مذهبهم، والأصل الّذي تقوم عليه عقائدهم، فإذا أحسنوا الدّفاع عن هذا الأصــل، واســتطاعوا عرضه في صورة واضحة مقنعة كانت عقيدتهم مقبولة لدى الــنّاس، وقادرة على الوصول إليهم وإقناعهم،"ويتفق المعتزلة مع أهل السّنة في أنّ الآيــات المحكمــات من القرآن هي الّتي لا تحتمل إلاّ معنى واحدا "(دوب ،1997،462) وأنّ الآيــات المتشابهات هي الّتي تحمل معاني كثيرة، ولهذا يجب تفسيرها وتأويلها على هذه المعاني الكثيرة.

ونجــد كتــبهم الّتــي تناولــت المحكم والمتشابه قد لوّنت أسلوبهم تلوينا خاصا وأعطــت ذلــك الأســلوب الطّــابع المميــز الــذي أصــبح منهجا خاصا لهم في البحث(الزركشي،1972، 79 ــ 81).وترى الدّراسة أنّ أسلوب المعتزلة في معالجة المحكم والمتشاب انحصرفي ثلاثة أمور:العقل، واللغة، والمجاز: فالعقل في تصورهم الحكم الفصــل بين الأمور، وحكمه لا يخطئ، ومن هنا كان في التّصور الاعتزالي تقديم العقل على النّقل والرّواية وما يدل عليه ظاهر اللفظ، وصريح العبارة. أما اللّغة: فقد توســعوا فــي استعمالها توسعا لا حد له في هذه المسألة خاصة عندما تحولت اللّغة

بيــن أيديهــم إلى أداة طيعة يشكّلونها كما يريدون، واتسعت عندهم دلالات الألفاظ فأصــبحوا يســتنبطون للفظ الواحد أكثر من معنى، ويقلبونه على وجوه المدلولات اللّغوية المختلفة التي يمكن أن يشير إليها، ثم ينتقون من هذه المعاني ما يشاءون.أمّا المجــاز:فهو سلاح ثالث كانوا يلجأون إليه حينما تستعصي عليهم اللّغة ولا تسعفهم العبارة،أو مدلولات اللّفظ،وعندئذ يَحْمِلون العبارة على المجاز، ويستنبطون منها لونا مــن ألوانــه الكثيرة المتعددة فيصبح لونا من الخيال والصّورة الفنية الّتي يراد بها معــنى أبعد مما يدل عليه الظاهر أو يشير إليه الشّكــــل الخارجي، ونلاحظ كذلك أنّ هؤلاء الــدّارسين، ومن خلال تلك الممارسة الطويلة لتأويل المــتشابه وتضلعهم فــي دراســته، والحديث عنه إلى وضع بعض المبادئ العامة لتأويل ألوان من هذه الآيات، بما يشبه النّظريات العامة المقررة عندهم(قصاب،1985، 309).من ذلك مثلا مبدأ "اللّطــف" الــذي تحدث عنه كثير من دارسي الإعجاز القرآني، ومنهم القاضي أبو الحسن عبد الجبار، والشريف المرتضي،وغيرهم من الدّارسين والباحثين الّذين أولوا مسألة المتشابه الكثير من الأهمية، فقد فسّروا آيات كثيرة من المتشابه تتعلق بأصل العــدل، فالآيات التي يشعر ظاهرها أن الله قد شاء الهداية لبعض النّاس، ولم يشأها للآخرين،وذلك بمانع لهم من الإيمان، وقال قائلون:الختم والطبع هو السواد في القلب كما يقال:طبع السيف:إذا صدئ إلى آخر ما قالوا من آراء(الأشعري،1969، 297).

ويتبين لنا مما مرّ:

أوّلا:أنّ العلماء الذين تناولوا علم المحكم والمتشابه في القرآن الكريم نجد عندهم إشارات إلى التّكرار داخل التّركيب،وبيان الحكمة من هذا التّكرار.

ثانــيا:العلاقة التي تربط بين المتشابه والتّكرار علاقة الكل بالجزء،فالتّكرار في التّراكيب القرآنية جزء من المتشابه الذي عُني به مجموعة من العلماء واحتل جانبا من علوم القرآن

ثالــثا:كانــت دراســتهم لمتشــابه القرآن دراسة لظاهرة التّكرار في جانب من جوانبها،وهو التّكرار الخارجي .

موجهـــا ما فيها إلى أوجه مختلفة تؤول في النّهاية إلى اختلاف المعنى أو الغرض، ولكـــنّه فـــي واقـــع الحقيقة يثبت براعته في تحليل أسلوب التّكرار ففي قوله تعالى: "الرّحمـــن الرّحـــيم"، يقـــول الطّبري:"إنّ لكل كلمة منهما معنى"(الطبري، 1984، 84).ثم أظهـــر أوجهـــا كثـــيرة يظهـــر مـــــن خلالهـــا تبايـــنها كقولـــه تعالى في سورة الفاتحـــة:﴿ اهدِنَـــــــا الصِّـــرَاطَ المُســـتَقِيمَ*صِـــرَاطَ الَّذِيـــنَ أنعَمـــتَ عَلَـــيهِمْ﴾(الفاتحـــة،5 ــ6)،فيبّيـــن الطّـــبري أنّ تكرار الصّراط جاء لغرض "الإبانة عن الصّراط المستقيم أي الصّراط هو "(الطبري،1984،106).

أما فخر الدّين بن ضياء الرّازي وقف عند بعض مسائل التّكرار،مما جعله يأتي بـــآراء ووجوه لبعض هذه المسائل ويناقشها، ومن هذه المسائل الدّقيقة والهامة الّتي تـــناولها الرّازي في التّكرار تكرار الشّيء بغير اللّفظ الأوّل كقوله تعالى:﴿وَمَن يَدْعُ مَـــعَ اللَّـــهِ إِلَهًـــا آخَرَ لا بُرْهَانَ لَهُ﴾(المؤمنون،117)، فيقول الرّازي: "يستحيل أنْ يكون لمدّعي الإله الثّاني برهان"(الرازي،فخر الدين،1981،110)، ويرى كذلك أنّ للتّكرار صورا ووجوهـــا يأتـــي عليها أوّلها:للتّأكيد،وثانيهما:أنْ يكرّر المكرَّر مع زيادة فيه للتّعظيم والتّفخـــيم كقوله تعالى:﴿الَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْبًا كَانُواْ هُمُ الْخَاسِرِينَ ﴾(الأعراف،92)، وفي بعض المسائل التي ورد فيها التّكرار كان يميل إلى اخـــتلاف مقصـــود الثّاني من الدّالين المكرّرين عن مقصود الدّال الأوّل.ومن خلال مناقشـــته لهذه المسائل ترى الدّراسة أنّ الفخر الرّازي يذهب إلى نفي التّكرار غير المفـــيد عن تراكيب القرآن الكريم، فالعنصر المكرّر الثّاني يؤدي غرضا، وفائدة لا يؤدّيهـــا الأوّل فـــي الغالب ولو كان تكرارا محضا لكانت فائدتهما واحدة، ولم يزد الثّانـــي علـــى الأوّل شـــيئا، فالتّكرار عند الرّازي يخرج إلى أكثر من معنى ومن أهمّها: التّأكيد، والتّنبيه، والتّقرير والتّفضيل.

أمـــا أبـــو حيان التّوحيدي الأندلسيّ، فكان له منهجه في التّفسير، فيحدّد الموقع ويقـــوم بتفســـير الآيـــة ويشـــرحها، ويحدّد الوظيفة البلاغيّة لها، ويقوم بنقل آراء المفسّـــرين السّابقين، فينقل عن الزّمخشري،والآخرين بعض التّعليقات حول الآيات المكرّرة(أبوحـــيان،1983،121). ولكثرة المسائل التي وقف عندها أبو حيان يصعب تحديد موقفـــه بدقـــة من هذا الأسلوب، فالتّكرار عنده ظاهرة ملموسة في اللّغة وتراكيبها،

ويـــنظر إليها من جانبي اللّفظ والمعنى، فهو يشير في بعض الأوقات إلى المواضع التي تخلصت التّراكيب فيها من التّكرار اللّفظي، ولم يعده ـــ التّكرار من الفصاحة، ولذلــك لجــأت اللّغة إلى المغايرة بين الألفاظ من ذلك قوله تعالى:﴿ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَــلَ الظُّلُمَــاتِ وَالــنُّورَ ﴾(الأنعــام،1) ،فالمغايرة وقعت بين لفظي"خلق" و"جعل"(أبوحيان،1983،97)..أمّا التّراكيب الّتي لا بد فيها من ظهور التّكرار اللّفظي،فكان أغلــب توجــيهه لها إلى التّوكيد والمبالغة(أبوحيان،1983،370).كقوله تعالى:﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْــيَا إِلاَّ لَعِــبٌ وَلَهْــو ﴾(الأنعام،32).فاللّعب واللّهو قيل بمعنى واحد،وكرّر تأكيدا لذم الدنيا(أبوحيان،1983،108).

وتــناول الــتّكرار السّــمين الحلبــيّ في تفسيره"الدّر المصون من علوم الكتاب المكــنون"، وكــان تناولــه يحمــل الصبغة النّحوية في معظمها، فيرى أنّ التّكرار العــام فــي القــرآن وخاصة تكرار القصص والمواعظ والعبارات له حالة خاصة ليســت لغــيره، إذ إنّها لا تمل من كثرة التّرداد(الســمين الحلبي،د.ت).ووقف عند قضية الــتّكرار بالتّرادف، ولم يتضح موقفه منها فاكتفى بعرض الآراء المطروحة، ومنها رأي الــنّحاس الّــذي لا يجــيز مــثل هــذا الــتّرادف فــي القــرآن وجوزه في الشّــعر(الســمين الحلبي،د.ت،539).ويشير السّمين إلى أنّ التّركيب الذّي يكرّر قد يُؤتى به لبــيان وتفســير الأوّل كقولــه تعــالى:﴿وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ*أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِيــنَ﴾(الشــعراء،132 ـــ 133)،فــتكرار أمدّكــم بأنعــام تفســير لجملــة أمدّكــم بما تعلمون(السمين الحلبي،د.ت،539).ومن الصعب تحديد موقفه من هذا الأسلوب بشكل عام؛ لأنــه فــي أغلب المسائل يذكر معظم الآراء التي قيلت فيها دون أن يزيد على هذه الآراء شيئا جديدا.

أمــا ابن عاشور في تفسيره التّحرير والتّنوير فإنّه يتحدث عن وظائف التّكرار ويخصّص التّوكيد في قوله تعالى:﴿ نَبِّىءْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ*وَ أَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيمَ* وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ﴾(الحجر،50 ـــ 51)،فيقول ابن عاشور"إنّ ضمير الفصل "هو"أفاد تأكيد الخبر بين الدّالين الأوّل والدّال المكرر،ويؤكد أنّ عذاب الله عــذاب ألــيم "(ابن عاشور،1980،57) ،ويلتفت ابن عاشور إلى تكرار الفعل لغرض الــتّهويل كقولــه تعالى:﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى*وَالْمُؤْتَفِكَةَ

أهْــوَى*فَغَشَّــاهَا مَــا غَشَّــى﴾(النجم،52 ــ 54)،فيقول:"المقصود من الاسم الموصول وصـــلته بيــن البنائين التّهويل؛لأنّ المتكلّم أراد أنْ يبيّن بالموصول والصلة وصف فــاعل الفعل،فلــم يجــد لبــيانه وتوضــيحه أكــثر مــن إعـــادة الفعل في الدّال المكرر"(ابن عاشور،1980،155).

ويـــنوّع ابـــن عاشـــور في وظائف التّكرار ما بين التّحذير،والتّوبيخ والتّعريض والتّخصــيص والتّضـــرع والتّفريع(القصص،المرسلات،القصص).أمّا الشّهاب الخفاجيّ في حاشــيته المســـماة"عــناية القاضي وكفاية الرّاضي" فقد وقف عند كثير من مسائل الــتّكرار التي وقف عندها السّابقون وأضاف إليها الكثير من آرائه، فهو ينظر إلى بعــض التّراكيــب نظـــرة عمــيقة يخالف فيها التّأويلات السّابقة ومن هذه المسائل التـــي وقـــف عـــندها الشّـــهاب فـــي الـــتّكرار ولا يغفلها اللطائف البلاغيّة سواء أحصـــلت بالتّكرار أم باجتنابه كقوله تعالى:﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَــا﴾(الإســـراء،7)،فـــيقول:" إنّ تكـــرار الإحســـان فـــي النّظم دون الإساءة إذ قيل فلهـــا ....إشـــارة إلى أنّ جانب الإحسان أغلب، وأنّه إذا فُعل ينبغي تكراره بخلاف ضــــده "(الشـــهاب الخفاجـــي،د.ت،11)،ولا نغفل هنا زيادة على ما ذكره الشّهاب وضوح التّركيـــب الثّانـــي اعتمادا على الأول للتّشابه القائم بين صيغتيهما،مما سوّغ اجتناب تكرار الإساءة.وقد وقف في تفسيره عند تكرار الإسناد أو التّعلق الذي يؤدي وظيفة المـــبالغة كقوـــله تعالى:﴿ قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّي﴾(الإسراء،100)،إذ أسند الفعـــل "تملكـــون "إلـــى الضّـــمير المـــتقدم" أنـــتم "كمـــا أنّـــه مســـند إلـــى واو الجماعة(الشهاب الخفاجي،د.ت،64).

أمـــا الألوسيّ في تفسيره"روح المعاني" فقد انبرى مدافعا عن التّكرار في القرآن اللفظي منه والمعنويّ وقال:" إنّه لا يخلو من فائدة لا تحصل من غيره كبيان اتّساع العـــبارة وإظهـــار الـــبلاغة، وزيـــادة التّأكـــيد والمـــبالغة...أو درء احتمال ورفع خيال"(الألوســـي،د.ت،30)، وقد وقف عند كثير من المسائل التي تقدم ذكرها عن وظائف الـــتّكرار عـــند المفسّـــرين، وخاصة وظيفة التّقرير والتّضرع والتّنبيه وغيرها من الوظائف.

أما جهود المفسرين المحدثين في ظاهرة التّكرار فلا تقاس بجهود القدامى من حيث الوفرة أو الجودة؛لأن القدامى لم يغادروا لمن بعدهم إلا القليل،وعلى الرغم من ذلك نجد أنّ المحدثين أتوا بجديد يحسب حسابه في هذا الميدان الذي يتّسع فيه القول جيلا بعد جيل.فنجد سيد قطب في كتابه"مشاهد القيامة يرصد"ظاهرة التّكرار أو تكرار اللاّزمة في سورة"الرّحمن" و"المرسلات"و"القمر" كما أنّه استبطن منه فواصل خاصة بالموسيقى والإيقاع كـ"الحاقة "و" القارعة"، وبيّن أنّ الموسيقى والإيقاع له جرسا وظلالا خاصا في تكرار هذه السّور(قطب،1954، 15 ــ 17).

أما الظلال فإنّه جهد كبير لا يمكن إنصافه أو الإحاطة به في هذه الدّراسة، ولكن يكفينا ذكره تكرار الفواصل الّتي تخرج لأغراض خاصة كالوعيد في قوله تعالى:﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا*وَأَكِيدُ كَيْدًا*فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا﴾(الطارق،15 ــ17) وجملة حديثه عن التّكرار في الظّلال كان حديثا أسلوبيّا يستند إلى الذّوق الجمالي، فقد قدم تخريجاته التي يتفرد بها في هذا المجال من خلال سورة الرّحمن الّتي يقول في مطلعها:" هذه السّورة المكيّة ذات نسق خاص ملحوظ،فهي إعلان عام في ساحة الوجود الكبير، وإعلام بآلاء الله الظاهرة"حتى يقول: ورنّة الإعلان تتجلى في بناء السّورة كلّها، وفي إيقاع تكرار فواصلها....فيتجلى فيه إطلاق الصّوت إلى الأعلى، وامتداده إلى بعيد فالرّحمن كلمة واحدة في معناها الرّحمة،وفي رنّتها الإعلان،والسّورة بعد ذلك بيان لمسار الرّحمة،ومعرض لآلاء الرّحمن "(قطب،1983، 106 ــ 108).

أما عائشة عبد الرحمن المعروفة بـ" بنت الشاطئ "، فإنّها تنظر إلى التّكرار على أنّه ظاهرة أسلوبيّة،وقد نبّهت إلى ذلك في موضعين من كتابها"التفسير البياني"، الأول: التّكرار المؤكد في المكيّ(بنت الشاطئ،1974، 57 ــ 58).فتقول:"يقوى التّأكيد فيه بتكرار الجملة مرتين نفيا للشّكل وإبعادا للارتياب، وما أكثر ما يلقانا هذا التّكرار المؤكد في السّور المكيّة الأولى، حيث العهد بالرّسالة قريب،والحاجة إلى اليقين النّفسي أقوى وأمس، وتبدو أهمية هذا التّكرار اللّفظي في قصار السّور بوجه خاص، فلا مجال للإطالة بإعادة لفظ أو تكرار جملة، إلاّ أنّ تكون لهذه الإعادة أهميتها القصوى في التّأثير والتّقريع والإقناع والجزم "(بنت الشاطئ،1974، 57 ــ 58)

والثانــي:"الـتّكرار فـي الإطناب والإيجاز "(بنت الشاطئ،1974،68).ومما سبق نجد أنّ المفسّـرين وقفـوا عند مسائل التّكرار داخل التّركيب أكثر من وقوفهم عند التّكرار العـام، والسـبب راجع إلى تفسيرهم القرآن آية آية، وتركيبا تلو تركيب، ولم يكن تفسـيرهم علـى أسـاس قضايا أو ظواهر لغويّة وأساليب، وكان بعضهم يرى أن غرض التّكرار في الغالب التّوكيد والإفهام(المطردي،1986).

ويتبيـن لنا كذلك أنّ المفسّرين لم يختصوا التّكرار بحديث مفصّل مستقل، وفي الوقت نفسه لم يتناسوه، وكان حديثهم عنه يدور حول قطبين: فقسم منهم لا يرى في الـتّكرار بأسـا ولا منقصة في بلاغة الكلم، وأنّ له دورا في البلاغة وحسن النظم، ومـن ثم لم يحاولوا نفيه عن كثير من تراكيب القرآن، ومنهم من سلك طريقا آخر نحـو تقلـيل وظـيفة التّكرار في تراكيب القرآن وذكروا سبلا مخلفة لتبرئة النّص القرآنـيّ منه، ولكن على الرّغم من اختلاف الفريقين كان جل اهتمامهم منصبا على بـيان فـائدة التّكرار قل أو كثر،وبيان الحكمة منه، ومساهمته في مساندة التّركيب ليرتقي علم البلاغة به.

علوم القرآن:

أما مصنفات علوم القرآن فقد تناولت ظاهرة التّكرار، وتركزت دراسة أصحابها حـول الجانـب البلاغـيّ "الأسلوبيّ"في إطار النّص القرآنيّ كاملا، فانقسمت هذه المصـنّفات إلـى قسـمين: القسم الأول:تناثرت فيها علوم القرآن، وجمعت التفسير والمعانـي والإعراب، ولم تقف عند جانب واحد مشيرة إلى كثير من القضايا التي تـتعلق بالقـرآن بشكل مختصر، والتّكرار منها، ومن هذه المصنفات تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة، ومجاز القرآن لأبي عبيده .

والقسم الثاني: وهي المصنفات المتأخرة التي اكتملت فيها مباحث علوم القرآن، وفصلت القول في كل مبحث، وأفردت للتّكرار بابا فيها، ومن هذه المصنفات"الإتقان فـي علوم القرآن" و"ومعترك الأقران في إعجاز القرآن"للسيوطي، و"الفوائد المشوّق إلـى علـوم القـرآن وعلـم البـيان" لابـن قـيّم الجوزيّـة، و"البرهان في علوم القرآن"للزركشيّ.

فالمصنف الأول الذي يطل علينا من القسم الأول هو "مجاز القرآن" لأبي عبيده، وقد سلك فيه أبو عبيده طريقين: أولا: يعمد أحيانا إلى تأويل اللفظ الثاني تأويلا مجازيا صارفا معناه إلى ما يتفق ومنهج القرآن الكريم من تنزيه الله سبحانه وتعالى أنْ يوصف بما توصف به الحادثات،وهو القديم الأزلي، الّذي ليس كمثله شيء،وهذه الطّريقة هي الغالبة عليه في هذا المجال ويمثله قوله تعالى:﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لأَبِيهِ يَا أَبتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾(يوسف،4). فأبو عبيده يخرّج التّكرار إلى جانب المجاز الذي يفيد التّوكيد(أبو عبيده،1981،12).

ثانيا:أو يعمد إلى اللّفظين معا فيؤولهما تأويلا مجازيا ليستقيم المعنى وأصول الاعتقاد،ويزول الأشكال كقوله تعالى:﴿ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِّن بَعْدِ ضَرَّاء مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلِ اللّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴾(يونس،21)، ففي الآية يؤول أبو عبيده المكر ويفسره، فالمكر من النّاس"مجاز ليدل على الجحود بالنعمة(أبو عبيده،1981،276)"، وفسّر المكر من الله "بأنه أخذ وعقوبة واستدراج لهم"(أبو عبيده،1981،276)"،وتفسير اللّفظين هنا مختلف ، فكل لفظ أوله بما يناسبه،ويليق به .

وفي موضع آخر يؤول اللفظين تأويلا مجازيا متّفقا كقوله تعالى: ﴿ فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُواْ لِقَاء يَوْمِهِمْ هَذَا ﴾(الأعراف،50)فيقول: "مجازه نؤخرهم، ونتركهم كما تركوا أمر ربّهم يوم القيامة"(أبو عبيده،1981،215)"، وشملت إشاراته تكرار اللّفظ المفرد والتّركيب، وشملت أيضا أشكال التّكرار: وهي إعادة اللفظ باختلاف يسير كقوله تعالى:﴿ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى ﴾(القيامة،34)، وأشار أبو عبيده إلى التّكرار داخل التّركيب في أثناء إعرابه للآية في قوله تعالى:﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ ﴾(يوسف،20) فقال في إعراب"دراهم":"جررته على التّكرار والبدل"(أبو عبيده،1981،304)"، فقوله على التكرار أي من جهة تكرار العامل"الباء" تقديرا، وقوله البدل:من جهة أن الثاني هو الأول.

أما ابن قتيبة فإنّه يبيّن أنّ التّكرار في القرآن لم يكن من ضروب الفضول أو الزّيادة وإنّما جاء لزيادة المعنى أو تأكيده أو لضرورة في التّعبير، وابن قتيبة لا يقتصر في بحث التّكرار على اللفظ وحده أو العبارة بل يعمّم فينظر إلى التّكرار في

القرآن كظاهرة عامة،"فيتكلم عن التّكرار في القصص،وفي بعض المعاني القرآنيّة،والصور الأخرى في القرآن كلّه ثم يتدرّج،ويبدأ في تخصيص التّكرار بالآية،ويقابلها بالعبارة،فيبحث تكرار العبارة ثم تكرار الكلمة،ولا يرى في كل هذه الحالات فضولا بل يرى أنّه زيادة اللفظ لحكمة ينشدها القرآن."(سلام،1981،86)،وأشار ابن قتيبة إلى وظائف التكّرار ومنها:

أولا: قد تجيء للتوكيد فيقول: "ومن مذاهبهم التّكرار والإفهام كما أنّ من مذاهبهم الاختصار من أجل التّخفيف والإيجاز"(ابن قتيبة،1981،86)، كقوله تعالى:﴿ كَلا سَوْفَ تَعْلَمُونَ*ثُمَّ كَلا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾(التكاثر،3 ــ 4)، وقوله تعالى:﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا*إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾(الشرح،5 ــ 6)، وقوله تعالى:﴿ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى*ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى﴾(القيامة،34 ــ 35)، فيقول ابن قتيبة:"كل هذا يراد به التّوكيد للمعنى الذي كرر به اللفظة .... وقد يقول القائل للرجل اعمل اعمل، وللرامي ارم ارم كما قال الشاعر:

كم نعمة كانت لكم   كم نعمة وكم وكم ""(ابن قتيبة،1981،87)

ثانيا:حسم الأمر كما جاء في تفسيره قوله تعالى:﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾(الكافرون،1)

ثالثا: لبيان فضل المكرّر، وحسن موقعه ويمثله قوله تعالى:" فبأي آلاء ربّكما تكذبان"، فإنّه تعالى عدد في هذه السّورة نعماءه تذكيرا لعباده ونبههم على قدرته، ولطفه بخلقه، ثم ذكر كل صفة وصفها، وجعلها فاصلا بين كل نعمتين ليفهمهم النّعم ويقرّهم بها"(ابن قتيبة،1981،24).فابن قتيبة يكاد يرى في كل آية جاء فيها التّكرار حكمة مغايرة للآيات الأخرى .

وأفرد ابن قيّم الجوزيّة بابا مستقلا للتّكرار في مصنفه"الفوائد المشوّق"ويعرفه بقوله:" أنْ يأتي المتكلّم بلفظ ثم يعيده بعينه سواء كان اللفظ متفق المعنى أو مختلفا، أو يأتي بمعنى ثم يعيده، وهذا من شرطه اتّفاق المعنى الأوّل والثاني، فإن كان متّحد الألفاظ والمعاني، فالفائدة في إتيانه تأكيد ذلك الأمر وتقريره في النّفس، وإنْ كان اللّفظان متفقين، والمعنى مختلف فالفائدة في الإتيان به للدّلالة على المعنيين المختلفين"(ابن قيم الجوزيّة،د.ت،159).

وقد أشار في مصنفه إلى أنّ التّكرار قد يكون في اللفظ أو في المعنى،وإذا كان

فـــي اللفظ والمعنى فالفائدة منه التّوكيد والتّقرير (ابن قيم الجوزيّة،د.ت،111) . وقسّمه إلـــى ثلاثة أقسام ما تكرر لفظه ومعناه متّحد كقوله تعالى : ﴿ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ *ثُمَّ قُتِلَ كَـيْفَ قَـدَّرَ ﴾(المدثـر، 19 ــ 20)ومـــا تكـــرر منه المعنى دون اللفظ من خلال ذكر الخـــاص بعـــد العام كقوله تعالى:﴿ فِيْهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّان ﴾(الرحمن،68)،وما تكرّر لفظـــه ومعـــناه مختلف كقوله تعالى:﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ*لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ*وَلا أَنـــتُمْ عَـــابِدُونَ مَـــا أَعْـبُدُ*وَلا أَنَـــا عَـــابِدٌ مَّـــا عَـــبَدتُّمْ*وَلا أَنـــتُمْ عَـــابِدُونَ مَا أَعْـبُدُ ﴾(الكافـرون،1 ــ 5)، فمعـــناه أنّنـــي محمد لا أعبد في المستقبل ما تعبدونه أنتم الآن،ولا أنّـــتم تعـــبدون في المستقبل ما أنا عابد له، ولا أعبد قط آلهتكم حتى أكون الآن عابدا لما تعبدون، ولا أنّتم عبدتم قط إلهي حتى تكونوا له الآن عابدين.

وناقش الزّركشي التّكرار بحديث مفصّل، ومستقل وجعله القسم الرّابع عشر من أقســـام التّوكيد في كتابه " البرهان في علوم القرآن"، وكانت مناقشته مناقشة موسعة ومختصـــة بالآيـــات القرآنـــيّة،فقد رفـــع من شأن هذا الأسلوب،وجعل له فائدة لا تـــنكر(الزركشـــي،1972). والـــتّكرار عـــنده قد يكون باللّفظ نفسه أو المعنى المرادف للفظ(الزركشي،1972). وقد غلّط من هوّن من شأن التّكرار، ومن أنكر كونه من أساليب الفصـــاحة، وعـــدّه مـــن محاســـنها، وجعـــل فائدته العظمى التّقرير والتّأكيد، وقد قيل:"الكلام إذا تكرّر تقرّر"، وهذه إشارة مسبقة منه إلى أنّه ينظر إلى التّكرار نظرة عامـــة، ومـــا كـــان منه بين التّراكيب(الزركشي،1972).وقد نصّ الزّركشي على فوائد التّكرار،وهي:

1 ــ التّأكـــيد، وعـــدّ التّكرار أبلغ من التّأكيد، لأن في المكرّر زيادة معنى ليس في الثّاني،كقولـــه تعالى:﴿ كَلا سَوْفَ تَعْلَمُونَ*ثُمَّ كَلا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾(التكاثر،3 ــ 4)، فينقل عـــن الزّمخشـــري أنّه عدّ الثّانية أبلغ في الإنشاء فقال:"وفي"ثم"تنبيه على أنّ الإنذار الثاني أبلغ من الأوّل"(الزركشي،1972،11،الزمخشري،د.ت).

2 ــ في مقام التّعجب كقوله تعالى:﴿ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ *ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾(المدثر،19ــ20).

3 ــ في مقام التّعظيم والتّهويل كقوله تعالى:﴿ الْحَاقَّةُ*مَا الْحَاقَّةُ﴾(الحاقة،1 ــ 2).

4 ــ زيادة التّنبيه على ما ينفي التّهمة ليكمل تلقي الكلام بالقبول كقـــوله تعالى:﴿ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ*يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ﴾(غافر،38 ــ 39).

5 ـ إذا طال الكلام وخشي تناسي الأوّل أعيد ثانيا تطرية له، وتجديدا لعهده كقوله تعـالى:﴿ إِذْ قَـالَ يُوسُـفُ لأَبِيهِ يَا أَبتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾(يوسف،4).

6 ـ فـي مقـام الوعـيد والـتّهديد كقوـله تعالى:﴿ سَوْفَ تَعْلَمُونَ*ثُمَّ كَلا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾(التكاثر،3 ـ4). وذكر أيضا بعض أشكال التّكرار، كتكرار الإضراب بـ"بل"، وتكـرار الأمـثال، والقصـص فـي القرآن،وذكـر مسـوغات تكرار القصّة في القـرآن"(الزركشي،1972، 24 ـ 26).وأشار كذلك إلى أنّه يستثقل أحيانا تكرار اللفظ نفسه فـيعدلون إلـى المعنى كقوله تعالى:﴿ فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا﴾(الطارق،17) فيقول الزّركشـي"إنّـه لما أعيد اللفظ غيّر" فعّل" إلى"أفعل"،فلما ثلّث ترك اللفظ أصلا فقال رويدا"(الزركشي،1972،33).

ويتبيّن من خلال ذلك أن الزّركشي ركّز درسه في التّكرار من حيث إنّه ظاهرة أسلوبيّة، وتكرير للتّراكيب، وعلى الرغم من جعله إيّاه فرعا للتّأكيد إلا أنّ تناوله له كـان أوسع من ذلك وأشمل، ومع أنّ الزّركشي ركّز بحثه في أسلوب التّكرار بوجه عـام إلا أنّـه لم يغفل التّكرار داخل التّركيب، ولكنّه جاء عنده في مواضع أخرى خـارج باب التّكرار، وتحت مسميات مختلفة يمكن إخضاعها في نهاية المطاف إلى التّكرار، وحملها عليه.

أمـا السّيوطي فقد ناقش التّكرار وأفرد له بابا في مصنفه"معترك الأقران" وعدّه في"الإتقان"من الإطناب، وقال في معترك الأقران:إنّ التّكرار أبلغ من التّأكيد، وعدّه من محاسن الفصاحة، وذكر فوائده(السـيوطي،1988،258). وقد نقل السّيوطي في مصنفه أغلـب ما ورد عند الزّركشي ، وزاد بعض الزيادات الأخرى التي وردت عند من سـبقه. وتجـد الدّراسة أنّ علماء القرآن تناولوا باب التّكرار بشكل شامل من حيث كونه ظاهرة أسلوبيّة، وسمة بارزة في أسلوب القرآن الكريم، وكان تناولهم للتّكرار بشتى الأشكال التي يأتي عليها، فتناولوا التّكـرار في التـّراكيب لكـن تناولهم جاء تحـت مسـمّيات مختلفة يمكن إخضاع كثير منها إلى التّكرار كما أنّهم عوّلوا على التّكرار في المعنى.

الإعجاز والبلاغة والنّقد الأدبيّ:

الإعجاز:

لـم يغفل المصنّفون من العلماء في الإعجاز القرآنيّ جانب التّكرار، كون مفهوم الإعجاز قد تطوّر في التّاريخ الإسلاميّ، فبدأ باعتباره دليلا على النّبوة،وشاهدا على مصـدر القرآن الرّباني، ثم انتقل ليكون دراسة بيانيّة بلاغيّة للتّعبير القرآنيّ يبحث فـي مختلف مباحث البلاغة وأساليب البيان في القرآن، ثم انتقل ليشمل جميع الأدلّة الدّالـة علـى أنّه كلام الله. وكانت دراسات الإعجاز تركز جانبا كبيرا على أسلوب التّكرار في القرآن لكونه:

أولا: جانبا ملموسا في الأسلوب القرآنيّ.

ثانيا: أنّ التّكرار كان أحد الأبواب الّتي حاول الملحدون الدّخول منها للطّعن في القرآن الكريم.

ومـن أوّل المصـنفات التي تطالعنا في باب الإعجاز"رسائل الخطّابيّ" ت 388 هـ"، والرّمانـي" 386هـ"،والجرجانيّ"471هـ" في الإعجاز: وأوّل هذه الرّسائل رسـالة الخطّابـيّ المسـمّاة"بـيان إعجـاز القرآن"،فوقف فيها عند التّكرار تكرار التّراكيـب والقصـص أو الـتّكرار العـام، وسـمى كـثرة الـتّكرار بـ"التّكرار المضـاعف"(الخطابي،1968،40)كتكرار اللاّزمة في سورة المرسلات والرّحمن، وقد ردّ دعوى من طعن بالتّكرار في القرآن مبينا أنّ القرآن يخلو من التّكرار المعيب؛ لأنّ تكـرار الكـلام على ضربين(الخطابي،1968،40): أحدهما مذموم وهو ما كان مستغنى عنه،غير مستفاد به زيادة معنى؛ لأنّه يكون حينئذ فضلا من القول، وليس في القرآن شيء من هذا النّوع. والضرب الثاني: ما كان بخلاف هذه الصفة، فيحسن استعماله فـي الأمـور المهمـة الّتـي قـد تعظـم العناية بها، ويخاف بتركه وقوع الغلط والنسـيان فـيها، والاسـتهانة بقدرها.وقد أخبر الله عزّ وجل عن السبب الذي من أجلـه كـرّر القصـص والأخبار في القرآن الكريم فقال سبحانه:﴿ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ﴾(القصص،51) وقال تعالى:﴿ وَصَرَّفْنَا فِيْهِ مِنْ الوَعِيْدِ﴾(طه،113)(الخطابي،1968،52 ـ53).

أمـــا الرّمانـــي فلــم يختص التّكرار بباب مستقل، وإنّما وردت إشاراته في أثناء رســالته والّتي تبرز موقفه منه، ومن هذه المواقف أنّه فضّل لفظ القرآن على قول العرب؛ لأنّ لفظ القرآن أبعد من الكلفة بتكرار الجملة(الرماني،1968،77).

ونطالع في هذا الجانب كتاب الباقلاني"إعجاز القرآن"، ومع رسوخ هذا المؤلف في علم الإعجاز إلا أنّ الإشارة فيه إلى التّكرار إشارة سريعة، حيث عدّه المصنّف مــن الــبديع في أساليب العربيّة، وتحدث كذلك عن التّكرار العام، وذكر أنّ إعادة القصة الواحدة بألفاظ مختلفة تؤدي معنـــى واحدا من الأمر الصّعب الّذي تظهر فيه الفصـــاحة، وإعـــيد كثـــير من القصص في مواضع مختلفة على ترتيبات متفاوتة، ونـــبّهوا بذلك على عجزهم عن الإتيان بمثله، وبهذا يكون التّقديم والتّأخير والتّكرار في سياق الآيات والسّور إظهارا للإعجاز في القرآن الكريم(الباقلاني،د.ت،).

أمـــا الـــرّازي فقد فصّل القول في هذه المسألة في كتابه"نهاية الإيجاز في دراية الإعجـــاز "، وردّ علـــى الطّاعنيـــن فـــي القرآن من جهة التّكرار، ولاسيما تكرار القصص،ومختصـــر ما يذهب إليه:" أنّ عادة الفصحاء جارية بأنّهم يكررون القصة الواحـــدة فـــي مواضع لأغراض مختلفة، وذلك من الفضائل لا من المعائب، وإنّما يعاب التّكرار إذا كان في الموضع الواحد، والله تعالى أنزل القرآن على رسوله في ثـــلاث وعشرين سنة حالا بعد حال"(الرازي،فخر الدين،1985،195).ويرى الرّازي أنّه ليس المعتبر بتكرار اللفظ؛ لأن الحروف والكلمات متكررة في الكلام كلّه، وإنّما المعتبر بالأغراض والمقاصد(الرازي،فخر الدين،1985،196).

أما الزّملكاني في مصنفه"البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن"، فقد تناول التّكرار مـــن خـــلال وظـــيفة التّأكـــيد، وجعلـــه الفن الخامس من القسم الثّالث في مصنفه المذكور،وبيّـــن أنّه من أساليب الفصاحة،ثم ذكر بعض أشكال التّكرار فمنها ما جاء بالمصـــدر،ومنها الحـــال المؤكـــدة، ومنها البدل؛ لأنّ الأول كالممهد للثاني، ومنها عطـــف البيان،وضـــمير الشأن،والفصل،وهذه الإشارات عند الزّملكاني نجدها داخل التّركيب البيانيّ للآيات القرآنية وقد أدرجها في باب التّأكيد(الزملكاني،1974،233 ـــ 235).

البلاغية:

أمّــا المصنفات البلاغية والنقدية والأدبية القديمة فإنها تناولت موضوع التكرار بالحديــث، وأفــردت في كثير من مصنفاتها أبوابا للتكرار في أثنائها، وجعلت هذه المصــنفات التكرار نوعا من الأنواع البديعية، وأسلوبا من أساليب اللغة، وقد نظر البلاغيون والنقاد إلى التكرار على أنه ظاهرة من جهتين:

أولا: أنهــا تكرار تراكيب،وجمل وكلام، وهذا من الشائع في أغلب مصنفاتهم، وكتــبهم كتكرار القصص والأخبار، ثانيا:أنها تكرار ألفاظ ومفردات، وهذا الجانب أقل شيوعا من الجانب الأول .

وأول مــن يطالعــنا في هذا الجانب البلاغي الجاحظ فإنه يجعل التكرار قسيما للإكــثار والــتطويل(الجــاحظ،1991،151)،ويمثل على ذلك بتكرار قصة موسى، وهود وهــارون وشعيب في القرآن الكريم(الجاحظ،1991،105).وقد ذكر الجاحظ إعادة الألفاظ دون أن يحــدد المقصــود بها،ولكن ظاهر كلامه يشير إلى أن المقصود هو تكرار اللفــظ المفرد في مقام لغوي واحد،كالخطبة مثلا فيقول:"ما سمعنا بأحد من الخطباء ... يرى إعادة بعض الألفاظ وترداد المعاني عيبا"(الجاحظ،1991،ج4،105).

أمّــا أبــو هلال العسكري فيذهب مذهبا قريبا من البلاغيين الذين سبقوه ويرى أن الــتكرار فــي غاية الحسن إذا جاء في موقعه كقوله تعالى: ﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَن يَأْتِــيَهُمْ بَأْسُــنَا بَــيَاتاً وَهُــمْ نَــآئِمُونَ*أَوَ أَمِــنَ أَهْــلُ الْقُــرَى أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُــحًى وَهُــمْ يَلْعَــبُونَ*أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ اللّه... ﴾(الأعراف،97 ــ 99).ويرى العسكري أن غــرض الــتكرار الأساســي هــو التوكــيد فيقول: "استعملوا التكرار ليتأكد القول للســامع"(العســكري،1984،212)،كقوــله تعــالى:﴿ كَــلا سَــوْفَ تَعْلَمُونَ*ثُمَّ كَلا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾(الــتكاثر،3 ــ 4). فيكون التأكيد كقول القائل:ارمِ ارم"(العسكري،1984،213)، وبهذا القــول يذهب مذهب ابن قتيبة في الصفات المتتابعة مثل "عطشان نطشان"، وقال:" كرهوا إعادتها ثانية فغيروا منها حروفا"(العسكري،1984،213).

ويعرض له ابن رشيق القيرواني بابا في كتابه العمدة سماه باب التكرار، وذكر فيه الأبواب التي تكرر العرب فيها الكلام وهي: " باب الرثاء.. أو على جهة الوعيد

والـــتهديد، أو علـــى وجه التوجع، أو التفخيم وساق عليه مثالا من شعر للحسن بن سهيل حيث يقول:

إلى الأمير الحسن استجدتها ... أي فـــرار ومناخ ومحــلّ

أي فـــرار ومنـــاخ ومحـــل ... لخائف ومستريش ذي أمل"(القيرواني، 1972، 89)

ويـــنظر ابـــن رشـــيق إلـــى تكـــرار المعانـــي فـــي إطـــار تكرار التراكيب والكلام،ويضـــرب له مـــثالا مـــن شعر امرئ القيس"(القيرواني،1972،690).ويجعل ابن رشـــيق للتكرار مواضع يحسن فيها،ومواضع يقبح فيها، وقال:"أكثر ما يقع التكرار فـــي الألفـــاظ دون المعانـــي، وهـــو في المعاني دون الألفاظ أقل، فإذا تكرر اللفظ والمعنى فذلك خذلان يصيبه"(القيرواني،1972،683)

أمـــا ابن سنان الخفاجي فإنه يستقبح التكرار إلا أقله، "بأن يجتنب الناظم تكرار الحروف المتقاربة في المخارج، وتكرار الكلمة بعينها أقبح"(الخفاجي،1982،103)، ويرى ابن سنان أن شيخه أبا العلاء بن سليمان قد أجاز التكرار الذي يكون لداع بلاغي ما نحو قول الشاعر:

"ألا حبذا هند وأرض بها هند ... وهند أتى من دونها النأي والبعد

فقـــال:مـــن حبه لهذه المرأة لم ير في تكرار اسمها عيبا؛ لأنه يجد في التلفظ باسمها حـــلاوة "(الخفاجـــي،1982،103)، ويلخص حديثه عن التكرار بنصائح للكتاب والشعراء فـــيقول:"فمـــتى وجـــدت المعنى عليه ولا يتم إلا به لم تحكم بقبحه، وما خالف ذلك قضيت عليه ونسبته إلى سوء الصناعة"(الخفاجي،1982،96).

ويـــرى عبد القاهر الجرجاني التكرار أحد فنون الكلام التي يقوم عليها، فالتكرار جانب في التركيب والنظم،مثله مثل التقديم والتأخير، والإضمار والإظهـــار، والتعريف والتنكـــير، وقد جعله مقابلا للحذف كمقابلة التعريف للتنكير، والإظهار للإضمار، وهذه الوجوه جميعا يجب أن تستعمل على ما ينبغي لها(الجرجانـــي،1978)، وظاهر كلام الجرجاني أنه يرى أن غـــرض الـــتكرار ومغزاه تأكيد الكلام وإحكامه(الجرجاني،1978) ، بل إنه حمل التوكيد على الـــتكرار" فهـــو مجيء من بعد نفوذ الحكم "(الجرجاني،1978،264)، أي بعد أن يستقل الكلام المكرر بنفسه.

وعـدّ البغدادي التّكرار من عيوب الألفاظ والمعاني إذا جاء في غير محله لأن الـبلاغة أقـرب إلى الاختصار وتقريب المعنى(الـبغدادي،1981)، والتكرار في الألفاظ عنده أن تعاد الكلمات نفسها أو حروف الصلات والرباطات، وما جرى مجراها في المـدة القريـبة كقوله:" له،وعليه"أو "منه،وعليه"، فإن فصل بين الحرفين بكلمة زال قبحه(البغدادي،1981،).

وقـد تطـرق ابـن الأثـير إلـى الـتكرار وتناولـه بشيء من التفصيل في كـتابه"المـثل السـائر"،فـتطرق إلى تكرار الألفاظ سواء أكانت أفعالا أم أسماء أم حـروفا(ابـن الأثـير،1962).وتـناول صورا من التكرار النحوي داخل التركيب،يمكن إدراجها تحت تكرار الألفاظ المفردة(ابن الأثير،1962)،أما ابن أبي الإصبع المصري،فقد قسـم الـتكرار إلـى قسـمين: همـا مـا جـاء مـنه بالمفردات ويمثل له بقوله تعالى: ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ (الواقعة،10)، وما جاء بالتركيب(المصري،1957).

أمـا السجلماسـي: فقد قسّم كتابه المنزع البديع إلى عشرة أجناس، جاء التكرار الجـنس العاشـر فـيها، وقسـم التكرار إلى نوعين أحدهما التكرار اللفظي وسماه مشاكلة، والثاني التكرار المعنوي وسماه مناسبة (السجلماسي،1980).

ويسـمي ابـن البـنّاء المراكشـي فـي كـتابه"الـروض المـريع في صناعة الـبديع"تكـرار اللفـظ والمعـنى واحـد بالمواطأة، وتكرار اللفظ والمعنى مختلف بالمشاركة(ابن البناء المراكشي،1985) ويشير إلى أن التكرار منه ما يقبح، ومنه ما يحسن ذلـك على حسب الحاجة إليه(ابـن البناء المراكشي،1985). ثم يستعرض أغراض التكرار فمـنه ما يكون للتقرير، والتوكيد كقوله تعالى: ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا*إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْـرًا﴾(الشـرح،5 ـ6)(ابن البناء المراكشي،1985)، ثم يستعرض التكرار في الفنون البديعية: مثل التصـدير، والـترديد، ثـم يعـرض الجانـب الثانـي مـن الـتكرار الخـاص باللفظ وهو المشـاركة(ابـن البـناء المراكشي،1985). وذكر الطيبي في كتابه"التبيان في علم المعاني والبديع والبـيان"، أن مـن التكرار ما يجيء للاستيعاب،ونقل بذلك قول ابن الحاجب النحوي: "العرب تكـرر الشيء مرتين ليستوعب تفصيل جميع جنسه باعتبار المعنى الذي دلّ عليه اللفظ المكرر كقولك:بينت له الكتاب كلمة كلمة،أي مفصلا باعتبار كلماته"(الطيبي،1987،ج1،340).

وجعــل العلوي التكرار من توابع التوكيد، وأثنى على موقعه في البلاغة، وعلو مكانــه فقال: "وكم من كلام هو عن التحقيق طريد حتى يخالطه صفو التأكيد، فعند ذلــك يصير قلادة في الجيد"(العلوي،1982،176)،ويذكر عليه أمثلة من الحديث الشريف وكلام البلغاء،يبين فيها أن التكرار أوصلها إلى غاية الفصاحة(العلوي،1982).

وذكــر ابن معصوم أغراضا مختلفة للتكرار زيادة على ما مرّ: منها زيادة في التنبــيه، والــتلذذ بذكر المكرر (ابن معصوم،1969)، وجعل التهانوي التكرار من أنواع إطــناب الزيادة، وهو أبلغ من التأكيد، وله فوائد منها:التقرير وغيرها، ويفرق بينه وبين التوكيد(التهانوي،1966).

أمّا الأدباء فلم يعطوا ظاهرة التكرار اهتماما كبيرا، وكانت إشاراتهم مبثوثة في ثنايا مصنفاتهم، ومن هذه الإشارات نستطيع أن نتعرف على موقفهم، وتنحصر هذه الــنظرة فــي حدود الألفاظ المفردة، ووقفوا عند الكلمة إذا تكررت في النص كاملا سواء أكانت في تركيب واحد أم في غير تركيب، ولم يغفلوا تكرار التراكيب.

فذهب قدامة بن جعفر إلى أن تكرار التراكيب يكون عند مخاطبة الذي ليس من ذوي الأفهام(ابــن جعفر،1980). ويذكر ثعلب في قواعد الشعر مصطلح"المطابق"، ويريد بــه تكرار اللفظ بمعنيين مختلفين كقوله تعالى: ﴿ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّــتٍ﴾(ابراهيم،17)(ثعلب،1948). ويتحدث ثعلب عن الإيطاء: وهو تكرار القافية بمعنى واحد كقول حاتم :

" أماويّ إن يصبحْ صداي بقفرة   من الأرض لا ماء لدىّ ولا خمرُ
يفك به العــاني ويــُوكَلُ طيِّباً   وما إن تعرّيه القــداحُ ولا الخمرُ

فكرر الخمر بمعنى واحد")(ثعلب،1948،62).

وينظر ابن طباطبا إلى التكرار نظرته إلى التطويل الذي لا يُلجأ إليه إلا إذا كان لا مناص منه، إذ يقول:"فإذا استعصى المعنى وأحاط بالمراد الذي إليه يسوق القول بأيســر وصف، وأخف لفظ،لم يحتج إلى تطويله وتكراره"(ابن طباطبا،1982،11). وعاب تكرار اللفظ بمعنى واحد لا جدوى منه، فجعله من الأبيات المستكرهة.

ويتحدث الصولي عن التكرار من جهة اللفظ حيث يقول:" وقد تحمل العرب اللفظ على اللفظ فيما لا يستوي معناه كقوله تعالى:"وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سيئةٌ مِثْلُهَا"(الشورى،40)"(الصولي،د.ت،35 ـ36).

وجعل الثعالبي من عيوب شعر المتنبي تكرار اللفظ في البيت الواحد من غير التحسين(الثعالبي،1983). وقد أفرد بابا لما تكرر في شعر المتنبي من معانيه في غير موضع ، أورد فيه الأبيات المتحدة في المعنى أو المتقاربة(الثعالبي،1983).

والتكرار عند ابن شيث القرشي من ضروب البلاغة في النثر والشعر (ابن شيث القرشي،1988)، وحدد مفهوم التكرار: "وهو أن يأتي بثلاث أو أربع كلمات موزونات، ثم يختم بأخرى تكون القافية إما على وزنهن، أو خارجة عنهن كقولنا: لا زال عالي المنار، حامي الذمار"(ابن شيث القرشي،1988،106).

أما النويري في كتابه"نهاية الأرب" فأشار إلى التكرار ضمن حديثه عن التأكيد،وقال: "ومنها التأكيد:وهو تقوية المعنى وتقريره إما بإظهار البرهان، وإما بالعزيمة كقوله تعالى" فورب السماء والأرض إنه لحق"، أو بالتكرار كقوله:الله الله، الأسد الأسد .... وهذا في التنزيل كثير" (النويري،د.ت،89)، وينقل النويري عن قدامة بن جعفر أنه جعل البلاغة ثلاثة مذاهب، وجعل التكرار ثالثها(النويري،د.ت).ومما سبق يتبين لنا:

أولا: أن علماء الإعجاز وقفوا عند ظاهرة التكرار، ولكنه التكرار العام"نصوصا وقصصا وعبارات"من أجل إظهار الحكمة منه في القرآن، ومن ثم في الكلام العام،وأنه نوعان، معيب، وغير ذلك، بالإضافة إلى تأكيدهم على أن هذا التكرار أسلوب في اللغة والأدب لا يمكن إنكاره.

ثانيا: ينظر البلاغيون والأدباء إلى التكرار نظرتين: أولهما أنه تكرار تراكيب وكلام. وثانيهما: أنه تكرار ألفاظ مفردة، فكان تناولهم للتكرار من جانبيه السابقين تناولا بلاغيا من حيث أثر المكرر لفظا أو تركيبا فرصدوا الشواهد الممثلة له.

أما جهود المحدثين في التكرار،فإنّها لا تقاس بجهود القدامى من حيث الوفرة أو الجودة؛ لأنّ القدامى لم يكادوا يغادروا لمن بعدهم إلاّ القليل وعلى الرّغم من ذلك سنجد أنّ المحدثين أتوا بجديد يحسب حسابه في هذا الميدان الذي يتسع فيه القول جيلا بعد جيل، فالدراسات التي تناولت أسلوب التكرار انقسمت إلى قسمين:

ثالـثا: إن هـذا الـتكرار فـي ذاتـه يخـدم غرضـا أصـيلا من أغراض الدعوة،وهـو تنبـيه القلـب علـى الحق،وإقامـتها علـى الشـريعة التـي تحمل الدعـوة(الخطيـب،د.ت). وتـرى الدراسة أن دراسة الخطيب تنحصر في جمع جهود القدماء وتنسيقها، ومناقشتها، وترجيح بعض مسائل الخلاف فيها.

أمـا الباحـث فايـز القـرعان فقـد قام بدراسة البديع، واستخرج الملاحظات البديعية،التي اتسمت بأسلوب الإيقاع التكراري، وهي التكرار الخالص، ورد العجز على الصدر، والترديد، وتشابه الأطراف، والمجاورة والعكس والتبديل، ثم رصدها فـي شـعر جمـيل بـن معمـر، فـدرس أبنيـتها اللغويـة، ثم تحقق من سماتها الأسلوبية،وكشـف عن دلالاتها المختلفة، من خلال الدلالات الاستدعائية الناتجة عن ألفاظ التكرار، والدلالة السياقية:الناتجة من علاقة بنية الدوال بالسياق اللغوي، ونتج عن الدراسـة أن ظاهـرة التكرار،لم تكن مفردات سطحية إيقاعية فحسب بل كان الإيقاع الخارجي وسيلة للوصول إلى الإيقاع الداخلي العميق في الصياغة الشعرية(القرعان،1996).

وتناول في دراسة أخرى التقابل والتماثل في القرآن الكريم، فنظر إليه من خلال المفهـوم الكامل للتقابل والتماثل على أساس أن ثمة ثلاثة أقسام في كل تقابل وتماثل في القرآن الكريم تتحرك فيها وهي:

أولا: الـتقابل والـتماثل الذي يعتمد على المفرد هو نمط بسيط. ثانيا: وأن الذي يعـتمد علـى طرف مفرد، وآخر تركيبي، أو على طرف تركيبي، وآخر هو نمط مركـب. ثالثا: وأن الذي يعتمد طرفين يحتويان المفرد المتعدد، أو المفرد والتركيب في كل طرف هو نمط معقد.فوجد في نهاية الدراسة أن تقابلات القرآن الكريم تتجه نح النمط الثاني وهو المركب(القرعان،1994).

وتـناول موسـى ربابعـه أسـلوب الـتكرار مـن خـلال بحث منشور تحت عـنوان"التكرار في الشعر الجاهلي دراسة أسلوبية"،فبين فيه أن للتكرار في الشعر الجاهلي مستويات متعددة وهي:

أولا:تكرار الكلمة.

ثانيا:تكرار البداية .

ثالثا:تكرار اللازمة .

" ونظــر إلــى الــتكرار من هذه المستويات على أنه نمط أسلوبي صوتي يتصــل بالذات المبدعة من حيث موقفها، واختيارها أسلوبا ما،كما أنه يتصــل بالمتلقــي من حيث تجاوبه مع أسلوب التكرار التي يلح عليها الشــاعر، وإلــى جانــب كــون الــتكرار أداة أســلوبية وثيقة الصلة بالجانــب الأســلوبي القــائم علــى الاختــيار، فإنــه يسهم في تلاحم البناء،ويشــكل نغمة موسيقية توحي بالطريقة التي ينشد بها الشعر في المحــافل والأســواق، كمــا أن التكرار يرتبط بأجواء طقوسية معينة كالرثاء مثلا.."(ربابعة،1990،159).

أمــا الباحــث زهير أحمد المنصور، فقد درس ظاهرة التكرار من خلال بحث منشور في جامعة أم القرى تحت عنوان"ظاهرة التكرار في شعر أبي القاسم الشابي "دراسة أسلوبية"، وكان جهد الباحث واضحا،فبين في دراسته ما يلي:

أولا:أن أسلوب التكرار ارتبط ارتباطا وثيقا بنفسية الشاعر،وبناء حياته، إذ يقوم التكرار على جملة من الاختبارات الأسلوبية لمادة دون أخرى، ولصياغة لغوية دون أخــرى ليتبيــن للباحــث من خلال أسلوب التكرار سرّ ميل الشاعر إلى هذا النمط الأسلوبي دون غيره.

ثانــيا: أن الشــاعر وفق في بناء هذه الظاهرة من خلال شعره ليجعل منها أداة فاعلــة داخــل النص الشعري، وأن يوظفها توظيفا دقيقا لتصبح أداة جمالية تحرك فضاء النص الشعري،وتنقله من السكون إلى الحركة الموسيقية.

ثالثا: أثبت الباحث أن تكرار الكلمة،واللازمة، وتكرار البداية قادرة على تكوين ســياقات شــعرية جديــدة ذات دلالات قوية، ومثيرة لدى المتلقي تعمل على جذب انتباهه، وشده ليعيش داخل الحدث الشعري المصور(المنصور،1421هـ).

أمــا الباحثة خولة محمود رفيفان الأسعد، فقد تناولت أسلوب التكرار من خلال دراســتها"التشكيل التكراري في السور المدنية ظاهرة أسلوبية"، فكشفت الباحثة فيها عــن وظيفة أسلوب التكرار من خلال المفردات البلاغية التي تتشكل ضمن الإطار العام لبنية التكرار في السياق القرآني وبالتخصيص في السور المدنية.

ومـــن هذه الدراسات البلاغية السابقة ترى الدراسة أن جهود البلاغيين انقسمت إلىقسمين:

القســـم الأول: اتجـــه في منهجه الدّراسات البلاغيّة القديمة، فتناول في دراسته التّكرار العام.

القسم الثاني: كان اتجاهه مستقلا في معالجة الموضوع، مما جعلهم يربطون هذا الأسلوب بظواهر، وعلاقات لم يشر إليها الباحثون السابقون في دراساتهم.

الفصل الثاني

أبنية التكرار في السور المكيّة

بنية التّكرار الخالص:

التّكرار الخالص من أعمق ظواهر الحياة التي نعيش،فيظهر في الأدب من خلال تناوب الحركة والسّكون، أو تكرار الشّيء على أبعاد متساوية، نردد من خلاله لفظا واحـدا أو معـنى واحدا،أمـا الطّبـيعة فيظهر فيها من خلال حركة القلب انقباضا وانبسـاطا، وحـركة الأمـواج مدّاً وجزراً، والليل والنهار .... فهو قانون الحركة والعمل،وقـانون الحـياة في انبساط وانقباض شهيق وزفير نوم وسهر ذلك لأنّ كل جسم يحتاج إلى فترة راحة بين حركتين،والحركة الدّائمة غير ممكنة(غريب،1951).

وتعـد بنـية الـتكرار الخالص بتشكيلاتها المختلفة من الأبنية التي تتشكل على المستوى العمودي في حالة تكرار رؤوس الآيات أو نهاياتها،وتأخذ أبنية التكرار في التشـكل حسب ورود الدال الأول،والدال المكرر،وقد اختلفت صور وآلات التكرار فـي البنـية فمـنها مـا يكون في المفردة، أو في المفردتين،أو في التركيب البنائيّ المتكامل،وفـي استعراضـي الأبنية في النص القرآني المكيّ وجدت أنّها تتشكل في مستويات متعددة:

أولا:مستوى تكرار رؤوس الآيات

مسـتوى تكرار رؤوس الآيات من أكثر الأساليب ورودا في الآيات المكيّة،وقد جـاء مـن خلال صور متعددة، وكان من أبرزها تكرار الجملة الفعليّة في رؤوس الآيات كقوله تعالى:

﴿ وَجَاؤُواْ أَبَاهُمْ عِشَاء يَبْكُونَ*قَالُواْ يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِـندَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لِّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ*وَجَآؤُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴾ (يوسف،16 ــ 18).

وعند النّظر في بنية هذا المستوى ندرك الشّكل التّالي للتكرار:

وجاءوا أباهم عشاء يبكون......

وجاءوا على قميصه بدم كذب .....

نلاحظ من الشّكل التّجريدي أنّ جملة الدّال الأوّل قد تشكّلت من الفعل الماضي" جاء"الّذي تعلق به الفاعل من خلال واو الجماعة،وكذلك جملة الدّال المكرّر، ولكن الاختلاف واقع في متعلّقات الدّال الأوّل، والدّال المكرر، فالدّال الأوّل تعلق به المفعول به" أباهم" وظرف الزّمان" عشاء"أما الدّال المكرّر فقد تعلق به الجار والمجرور"بدم" وكذلك الصّفة "كذب"وفي هذا يقول ابن الزّملكانيّ متحدثا عن البلاغة في التّعبير بالفعل المضارع "يبكون "والمتعلق بجملة الدال الأول فيقول:"جاءت الحال في صورة المضارع ليريك صورة ما هم عليه وقت المجيء ، وأنّهم آخذون في البكاء يجددونه شيئا بعد شيء "(ابن الزملكاني،1974،141 ــ 142).

فالباطل في جملة الدّال الأوّل يفضح نفسه،ويخزي أهله ....لقد جاءوا أباهم عشاء،وتلك أوّل إمارات الكذب الّذي جاءوا به معهم ....إنّهم جاءوا ملففين في ظلام الليل،خوفا من أن يفضحهم ضوء النّهار، ويمزق هذا القناع الزّائف المموه بتلك الدّموع الكاذبة....إنّ العين إذا التقت بالعين كشف لها ذلك عن كثير من خفايا النّفس،وقرأت على صفحة الوجه مالا يصرّح به اللسان،ولا تبوح به الكلمات....ولهذا يجرؤ الإنسان على أنْ يقول في الظلام ما لا يكن ليقوله في النّور حين تلتقي العين بالعين"(الألوسي،د.ت).

وفي جملة الدّال المكرر نجد محاولة لتسويغ الكذب،والجريمة،فصبغوا قميص أخيهم بالدّم ولطّخوه به ظآنين أنّ هذا كاف وكفيل بإقناع الأب، وحالتهم صورة الإنسان حين تستبد به المعصية ،فهي تحقره، وتسفّه عقله، ووصف الدّم في جملة الدّال المكرّر بأنّه كذب أي ليس الدّم المدّعى أنّه لصاحبه.

وتبعا لذلك نجد الاختلاف حاصل في جملة الدّال الأوّل،وجملة الدّال المكرر من خلال التّوابع التّوضيحية لكل دال منهما على الرّغم من حصول التّكرار اللّفظي في جملة الدّال الأوّل، وجملة الدّال المكرر. وفي تكرار رؤوس الآيات قد يضاف إلى الفعل إضافات تحقق وقوعه كقوله تعالى:

﴿ وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ اللّهِ مِن شَيْءٍ إِلاَّ حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ* لَمَّا دَخَلُواْ عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَاْ أَخُوكَ فَلاَ تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ (يوسف،68 ـ 69)

(فلمّا) الّتي سبقت الدّال الأول، والدّال المكرّر"حرف وجود لوجود عند سيبويه،وبعضهم يقول:حرف وجوب لوجوب،وهي ظرف بمعنى حين عند ابن السّراج،والفارسيّ،وابن جني"(الدرة، 1986،14)،و(لمّا) في حالة كونها ظرفا كما قال ابن السّراج تفيد حدوث الدّخول الفعلي على سيدنا يوسف:

ولما دخلوا من حيث أمرهم ....

ولما دخلوا على يوسف أوى........

فقد امتدت جملة الدّال الأوّل لتشمل الجار والمجرور" من حيث"،والجملة الفعلية "أمرهم"، ثم تعلق بجملة الدال الأول المفردة المميزة للتّكرار"يعقوب"لتقابل في ذلك مفردة الدّال المكرر"أخا يوسف"، فجملة الدّال الأول حققت التزام أولاد يعقوب عليه السّلام بوصية أبيهم،مما يوحي لنا بأنّهم فعلا حريصون على الطاعة المطلقة،وكذلك يعقوب حريص من خلال وصيته لأبنائه على البحث عن يوسف،فأغنت جملة الدّال الأوّل عن ذكر جمل كثيرة وهي أنّهم ارتحلوا،ودخلوا أرض مصر.....

أمّا جملة الدّال المكرر فإنّها تؤكد الإيواء بعد الدّخول،وأطلق هنا مجازا على الإدناء والتّقريب،وإنّما أدناه ليتمكن من الإسرار إليه بقوله:أنا أخوك،فجملة" قال إني أنا أخوك"،والمتعلقة بجملة الدّال المكرر بدل اشتمال من جملة"أوى إليه أخاه"،وكلّمه بكلمة مختصرة بليغة إذ أفاده أنّه أخوه الّذي ظنّه أكله الذئب،فأكّد الخبر بأنْ والجملة الاسميّة،وبالقصر الّذي أفاده ضمير الفصل، أي أنا مقصور على الكون أخاك فلا أخفي عنك هذه الحقيقة(ابن قيم الجوزية،د.ت،).

وقد تلتقي جملة الدّال الأوّل جملة الدّال المكرر في دلالة الاتّصال والتّوافق والمماثلة كقوله تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا *وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا * وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِـــنْ أَزْوَاجِـــنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا * أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلامًا ﴾(الفرقان،72 ــ 75).

الّذين لا يشهدون الزّور............

والّذين إذا ذكروا بآيات ربهم ......

والّذين يقولون ربّنا هب ....

" أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاما"

فهذه صفات عباد الرّحمن الّذين استحقوا أعلى الدّرجات في الجنّة، وتتضح من جملـــة الدّال الأول، وهي البعد عن الزّور،وتجنب الكذب،ويتكرر المشهد نفسه لكن بصفة ثانية تحملها جملة الدّال المكرر الأولى، وجملة الدّال المكرر الثانية، والمتمثلة بقبول المواعظ،والابتهال إلى الله عزّ وجل.

فالمماثلة متحققة من توالي ذكر صفات عباد الرّحمن، وتأتي النّتيجة لتضم تعلق جملـــة الـــدّال الأول بجملتي الدّال المكرر معا بـــ"أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَاماً "، وفي القرآن أبنية مماثلة لذلك.ويأتي قوله تعالى:

﴿ وَسِـــيقَ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِلَى جَهَنَّمَ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُـــمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُواْ بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ *قِيلَ ادْخُلُو~اْ أَبْـــوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ*وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَواْ رَبَّهُمْ إِلَى الجَنَّةِ زُمَراً حَتَّى~ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾ (الزمر،71 ــ73).

كمـــثال لـــتعلق جملـــة الـــدّال الأول بجملـــة دلالية تعاكس جملة متعلق الدّال المكرر،وتختلف عنها :

وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِلَى جَهَنَّمَ زُمَراً....

وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَواْ رَبَّهُمْ إِلَى الجَنَّةِ زُمَراً...

إلا أنّ جملـــة الـــدّال الأوّل تتشـــكل مـــن الفعل المبني للمجهول"سيق"، ونائب الفاعل"الّذين"، وكذلك جملة الدّال المكرّر"سيق الّذين اتّقوا"، ولكن الفرق واسع بيّن ما بيـــن جملة الدّال الأوّل وجملة الدّال المكرر، فجملة الدّال الأوّل "سيق"بالنسبة لأهل النّار دالة على الهوان والعقاب، ولأهل الجنّة دالة على الإكرام، وحسن الثّواب.

وما أجمل قول الزّمخشريّ في هذا المقال :

"فـــإن قلـــت كـــيف عـــبّر عن الذّهاب بالفريقين جميعا بلفظ السّوق قلت المـــراد بســـوق أهـــل الـــنّار طـــردهم إلـــيها بالهوان،والعـــنف كمـــا يفعـــل بالأســـارى،والخارجين علـــى السّـــلطان إذا ســـيقوا إلـــى حـــبس أو قتل،والمراد بسوق أهل الجنّة سوق مراكبهم لأنّه لا يذهب بهم إلاّ راكبيـــن وحـــثها إسراعا إلى دار الكرامة،والرّضوان كما يفعل بمن يشـــرّف،ويكرّم مـــن الوافديـــن علـــى بعـــض الملـــوك فشتّان ما بين السّوقين"(الدرويش،1988،415).

ومن خلال ما سبق نجد تسلط جملة الدّال الأوّل"سيق"على" الّذين كفروا"، والّذي تعلـــق بهـــم دخولهم النّار زمرا، فهذه المساحة البنائيّة اتسعت لتشرح لنا أنّ العقاب حاصـــل لا محالـــة لمن كفر بالله عزّ وجل، وفي جملة الدّال المكرر"سيق"والمتعلق" بالّذيـــن اتقوا" ، والّذي يشكل وجملة تعلقاته الفوز،والنّجاح بالجنّة، ولا يكتفي التعلق بذلـــك، وإنّمـــا يتـــبعه الخلود الدّائم في الجنّة،وهي غاية عالية يصل إليها صاحب التقوى(السيوطي،1990).

أمّـــا الصّـــورة الأخرى من صور تكرار جملة الدّال وضعها في سياق النّفي أو النّهـــي أو الاستفهام كقوله تعالى: ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ*وَلاَ الظُّلُمَاتُ وَلاَ الـــنُّورُ* وَلاَ الظِّلُّ وَلاَ الحَرُورُ* وَمَا يَسْتَوِي الأَحْيَاءُ وَلاَ الأَمْوَاتُ*إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَآءُ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي القُبُورِ ﴾(فاطر،19 ـ 22).

وما يستوي الأعمى والبصير ...

وما يستوي الأحياء والأموات ....

نجد أنّ المفهوم الدّلالي للنفي ينطلق من دائرة الحكم العام، أو القاعدة التّأسيسية وهي عدم الاستواء، فعلم الله عزّ وجل أزليّ مطلق، فالفعل" يستوي " في جملة الدّال

الأول تسلط على الأعمى والبصير، والظّلمات والنّور، والظّل والحرور، وتأتي نتيجة ذلك في نهاية الأية الكريمة بنفي الاستواء بين الأعمى والبصير، والظّلمات والنّور، والظّل والحرور، والأحياء والأموات، وتكرار النفي إثبات لعدم تحقق المساواة.وتأتي جملة الدّال المكرر بالنفي كذلك،كانتقال جزئي،وتأكيد بصورة أخرى لجملة الدّال الأول، وهي عدم تحقق المساواة بين الأحياء والأموات(الأسعد،1999).

أمّا صيغة الاستفهام فتحدد المطلب البلاغيّ،متمثلة في إطار البنية التّكرارية،وتأخذ تفردها في كل آية وقعت فيها ففي قوله تعالى: ﴿ أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لاَ تَجِدُواْ لَكُمْ وَكِيلاً *أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفا مِّنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لاَ تَجِدُواْ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا ﴾(الإسراء،68 ــ 69).

أَفَأَمِنتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ..........

أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى ....

فينطلق المفهوم التّكراري الاستفهامي في جملة الدّال الأول من دائرة الإنكار،والمقترن بـ"الفاء"العاطفة على محذوف تقديره أنجوتم فأمنتم فحملكم ذلك على الإعراض، مبينا لهم أنّه قادر على هلاكهم في البّر وإنْ سلموا من البحر.وفي جملة الدّال المكرر"أم أمنتم أنْ يعيدكم فيه تارة أخرى"تأتي كانتقال إلى استفهام إنكاريّ يعكس نوع الأمن الّذي طرحته جملة الدّال الأول، فالمعنى مختلف حول الأمن والّذي جاء في سياق الاستفهام، فجملة الدّال الأول تطرح أمن البّر، أمّا جملة الدّال المكرر تطرح أمن البحر، وسيّان ما بين البر والبحر(الشوكاني،1994).

ويأتي هذا التّسلسل الإخباري حول الأمن كوسيلة تعليمية للإقناع والتّأثير بشكل أسرع؛لأنّ من خُسف به البّر لا يجد له عند الله تعالى وكيلا،ومن أُغرق في البحر لا يجد له تبيعا،فالعلاقة ما بين جملة الدّال الأول وجملة الدّال المكرر تشبه علاقة الاتّحاد"من الكلّ إلى الجزء"(الشوكاني،1994 ،291).

ويتكرر الاستفهام في قوله تعالى :

﴿ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُون َ * أَمَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ

وَمَــن يَــرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنــتُمْ صَادِقِينَ * قُل لا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ (النمل،63 ــ 65).

أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَن......

أَمَّن يَبْدَؤُا الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ.........

كدلالـــة جديدة على قدرة الخالق،فدلالة جملة متعلق الدّال الأوّل"أمّن يهديكم"لا تماثل دلالة جملة متعلق الدّال المكرر" أمّن يبدؤا الخلق ثم يعيده"إلاّ أنّ عدم المماثلة بينهما تشــكل اتّحـــادا، فجملـــة الـــدّال الأوّل الهـــادي هو الله عزّ وجل في ظلمات البّر والبّحر،والّذي يبدأ الخلق في جملة الدّال المكرّر من العدم هوالله، فالاتّحاد يصل إلى أعلـــى مستوياته بين جملتي الدّال الأوّل والدّال المكرّر من خلال قوله تعالى"لا يعلم مـــن في السماوات والأرض والغيب إلا الله وما يشعرون أيان يبعثون"، فالله محيط بخلقـــه مـــنذ بـــدء الخليقة يهديهم في ظلمات البّر والبّحر، فلا هادي لهم إلاّ الله ولا خالق لهم من العدم إلاّ الله(الزحيلي،1991).

وقـــد يأتي الاستفهام لأغراض مختلفة من خلال جمل التّكرار والمتمثل في قوله تعالى :

﴿ أَوَلَــمْ يَــتَفَكَّرُوا فِــي أَنفُســهِمْ مَــا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْــنَهُمَا إِلا بِــالْحَقِّ وَأَجَــلٍ مُّسَــمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاء رَبِّهِمْ لَكَافِــرُونَ*أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَــاءتْهُمْ رُسُــلُهُم بِالْبَيِّــنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (الروم،8 ــ 9).

أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي~ أَنْفُسِهِمْ......

أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ ......

تكـــرر الاســـتفهام في جملتي الدّال الأوّل، والدّال المكـــرّر، ولكنّه أتي في جملة الدّال الأوّل"أولم يتفكّروا"للإنكار، والواو للعطف على مقدّر قـــد سبـــق والمعنى أنّ أســـباب التّفكر حاصلة لهم من خلال جملة"في أنفسهم"، والّتي وقعت موقع الظّرف للتّفكر، فلو تفكّروا فيها كما ينبغي لعلموا وحدانيّته، وصدق أنبيائه.

أمـــا تكـــرار الاســـتفهام في جملة الدّال المكرّر" أولم يسيروا" فقد أفاد التّقريع والتّوبـــيخ لعـــدم تفكـــرهم فـــي الآثار، وتأمّلهم لمواقع الاعتبار، والمعنى من جملة الاســـتفهام أنّهم قد ساروا، وشاهـــدوا" كيف كان عاقبة الّذين من قبلهم، من طوائف الكفّار والأمم التي أهلكت بسبب كفرها وجحودها(القنوجي،1989).

وتأتي صيغة النّهي من خلال أسلوب التّكرار بالمطلب البلاغيّ كذلك كما في قوله تعالى:

﴿ وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللّهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِـيَامَةِ مَـا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ *وَلَوْ شَاء اللّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلكِن يُضِـلُّ مَـن يَشَـاء وَيَهْدِي مَن يَشَاء وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * وَلاَ تَـتَّخِذُواْ أَيْمَـانَكُمْ دَخَـلاً بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُواْ الْسُّوءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾(النحل،92 ــ 94).

فجملـــة الـــدّال الأول"ولا تكونـــوا كالّتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا"تأكيد لوجوب الوفاء،وتحريم النّقض، أيّ لا تكونوا في نقض الأيمان، كالمرأة التي أنحَتْ علـــى غـــزلها، بعد أنْ أحكمته وأبرمته، فجعلته أنكاثا، أي أنقاضا منها، جنونا منها وحمقـــا، ففـــي التّمثـــيل في جملة الدّال الأول إشارة إلى أنّ ناقض يمينه خارج من الرّجال الكمّل، داخل في زمرة النّساء بل أدناهن وهي الخرقاء.

أمـــا النّهـــي المتسلط في جملة الدّال المكرر"ولا تتّخذوا أيمانكم دخلا بينكم"فهو تصـــريح بالنّهي عنه، بعد أنْ نهى عنه ضمنا في جملة الدّال الأول"تتّخذون أيمانكم دخـــلا بيـــنكم"، لأخـــذه فـــيما تقـــدم قيدا للمنهيّ عنه تأكيدا عليهم،ومبالغة في قبح المنهي.فالنّهي المتسلط على أخذ الأيمان "دخلا"يفيد الإثبات:أيّ أنّ الفعل المنويّ فعله اتخـــاذ الأيمان دخلا بينهم لتعلق التّراكيب السّابقة "كالّتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثـــا "، بـــه فهم يتخذون أيمانهم دخلا بينهم،لكن الصورة القاسية هي التي تسلط النهي عليها في جملة الدال المكرر من خلال جملة "ولكم عذاب عظيم"(القاسمي،1994).

وقــد يــتعلق الفعــل المكــرر المســبوق بالنهـــي في بداية كل آية بموضوع معين،فيوحـــي التقسيم بانفصالها عن بعضها، إلا أن ذلك يتحد في المستوى العميق ليشكل في نهاية كل آية قضية اجتماعية كقوله تعالى :

﴿ وَلاَ تَقْــرَبُواْ الــزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاء سَبِيلاً * وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَــرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلاَ يُسْرِف فِّــي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا * وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُواْ بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً ﴾ (الإسراء،32 ــ 34)

وَلاَ تَقْرَبُواْ الزِّنَى~ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً.......

وَلاَ تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ..

فالنهـــي واحد،والناهـــي واحد،وكذلـــك النية المشتملة على النهي واحدة،فالنهي موجـــه مـــن الله عـــز وجـــل إلـــى البشـــر بعـــدم القـــرب من الزنى،وقرب مال اليتـــيم،فجملة الـــدال الأول"ولا تقـــربوا الزنى"تنهى عن اقتراب الزنى والنّهى عن اقـــتراب الزّنى أبلغ من النّهي عن الزّنى نفسه،وفي النّهي عن الاقتراب،معنى النّهي عن المقدمات التي قد تفضي إليه،ويقال لغة:"قَرِبَ الشيء يَقْرَبُه، قُرْبًا،وقُرْبَانا،أي دنا مـــنه وباشـــر"(حبـــنكة،2002،611).وقد تعلق بجملة الدّال الأوّل الجملة الاسميّة"إنّه كان فاحشـــة "،والفاحشة كل قبيح تجاوز حد ما يحتمل، ويفضي عنه عادة من القول أو الفعل:

> "وجـــاء فـــي القـــرآن استعمال الفاحشة،والفحشاء،والفواحش، في الكبائر والمتصلة بشهوات الفرج،ولم يكتف هذا التعلق بأنه فاحشة بل تجاوز ذلك إلـــى أنّـــه "ســـاء ســـبيلا"،والفعـــل ساء يقال في إنشاء الذّم على سبيل المـــبالغة،وهو مثل"بئس"،والمعنى وبئس الزّنى سبيلا إلى تحقيق شهوات الفـــرج،وقد شدد الله عزّ وجل في النّهي عن الزّنا،وجاء في القرآن بشأنه ستة نصـوص متكاملة الدّلالات فيما بينها"(حبنكة،2002،611).

ولما فرغ سبحانه من ذكر النّهي عن إتلاف النّفوس أتبعه بالنّهـــي عن اقتراب مـــال اليتـــيم فـــي جملة الدّال المكرّر، فالخـــطاب موجه لأولياء اليتيم، والنّهي عن قـــربانه مـــبالغة في النّهي عن المباشرة وإتلافه، ثـــم بيّن سبـــحانه أنّ النّهي عن قـــربانه لـــيس المراد منه النّهي عن مباشرته فيما يصلحه، بل يجوز لوليّ اليتيم أنْ

يفعــل فــي ماله ما يصلحه، وذلك يستلزم مباشرته فقال: "إلاّ بالّتي هي أحسن"حتى يــبلغ اليتــيم أشده،وهي الغاية القصوى من النّهي في هذه الآية.فجملة الدّال،والدّال المكــرّر جــاءت بأســلوب الخطــاب الجماعــيّ لتحمــيل الجماعة إثم القرب من الزّنى،وكذلك إثم أكل مال اليتيم دون حق. ومثل هذا البناء يتكرّر مرارا في القرآن الكريم لكل بناء منه حالة مميزة لا تشابه الأخرى"(حبنكة،2002،الفرقان،72 ــ75).

ويأتــي تكــرار رؤوس الآيات من خلال الجملة الاسميّة،ومكوناتها،بعد الجملة الفعلية كقوله تعالى:

﴿ وَمِــنْ آيَاتِــهِ أَنْ خَلَقَكُــم مِّــن تُــرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ*وَمِنْ آيَاتِــهِ أَنْ خَلَــقَ لَكُــم مِّــنْ أَنفُســكُمْ أَزْوَاجًــا لِّتَسْــكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْــنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ*وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّــمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْــتِلَافُ أَلْســنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِيــنَ*وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِــكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ*وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِــنَ السَّــمَاء مَاء فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾(الروم،20 ــ 24).

ومن آياته أن خلقكم من تراب ....

ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا ...

ومن آياته خلق السّماوات والأرض ....

ومن آياته منامكم بالليل والنّهار ....

ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا ....

فشبه الجملة من الجار والمجرور في جمــــلة الدّال الأول" ومن آياته" وقعت خــبرا مقدّمــا، وتعلــق الخــبر بمســاحة صــياغيّة متّســعة من خلال المصدر المــؤول"خلقكــم"وهــذا الــتّعلق امــتدّ ليشــمل جمل الدّال المكرّر بإسلوب متغاير ومختلف،كان الهدف منه إثبات الخلق والبعث لله عزّ وجل(صالح،1993).

ففي جملة الدّال الأول"ومن آياته أن خلقكم" وجملة الدّال المكرّر الأولى ذكر فيها بـدء خلـق الإنسان آية آية،إلى حين بعثه من القبور، وختم هذه الآية بمتعلق تأخر مساحة صياغة كبيرة على مستوى السّطح، والعمق ليشمل قيام السّماوات والأرض لكونهمـا مـن العـوارض اللاّزمـة؛ لأنّ كلا من السّماء والأرض لا يخرج عن مكانه،فيتعجـب الإنسان من وقوف الأرض، وعدم نزولها، ومن علو السّماء وثباتها بغـير عمـد، ثـم أتبع ذلك بالنّشأة الأخرى وهي الخروج من الأرض، وذكر من الأنفـس أمريـن: الأول تعلـق بجملـة الـدّال الأول، والثّانـي تعلق بجمل الدّال المكـرر،فجملة مـا يتعلق بالنّوع الإنسانيّ من آيات:ستة أشياء اثنان أصول،واثنان لوازم،واثـنان عوارض،وسـتة مـتعلقة بالآفـاق:اثنان أصول،واثنان لوازم واثنان عوارض،وهذا ما أكّد عليه تكرار آيات الخلق(صالح،1993).

وقـد تـتكرر فـي رؤوس الآيـات جملـة الـدّال الأول، ومتعلقاتها أكثر من مرة،ويظهر ذلك في قوله تعالى :

﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَـاتِ لِقَـوْمٍ يَعْلَمُـونَ*وَهُـوَ الَّذِيَ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ وَهُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُواْ إِلِى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (الأنعام،97 ـ 99).

وهو الّذي جعل لكم النّجوم ....

وهو الّذي أنشأكم ....

وهو الّذي أنزل ....

ففي سياق تعـداد خلق الله عـز ّوجل كانت الآيات تتكرر فجاءت جملة الدّال الأول: "وهـو الّذي جعل لكم النّجـوم " للـدّلالة على الخلق والاهتداء لبني البشر فـي ظلمـات الـبرّ والبّحر، وقد أضاف الظّلمات إلى البرّ والبّحر لكونها ملابسة لهما(ابن عاشور،1980).

واسـعة أنّ الشّـيطان أيّ جنسـه ليس له قوة، ولا تسلط على المصدّقين بلقاء الله عـزّوجل، ويفوضـون أمورهم إلى الله تعالى، فعندها تأتي جملة الدّال المكرّر"إنّما سلطانه على الّذين يتولونه"لتؤكد أنّ سلطان الشّيطان على الّذين أطاعوه، فالهاء في لفظ"سلطانه" في الدّال المكرّر تعود على الشّيطان، والهاء في"به" لله تعالى، وهو مما جـاء فـي التّنزيل من ضميرين مختلفين، ليخدم هذا السّياق النّحوي مفهوم التّسلط والقوّة من حيث المساحة اللّفظيّة(الزحيلي،1991).

فالمقابلـة بيـن جملة الدّال الأول، والدّال المكرّر، سيتعلق بهما نتائج وعلامات ملائمـة لكـل حالة منهما، فالشّيطان ليس له سلطان على الّذين آمنوا وستكون لهم الجنّة، أمّا من كان له سلطان عليهم فيكون لهم العذاب يوم القيامة(الزحيلي،1991).

ثانيا:مستوى تكرار أواخر الآيات

لقـد انصبت عناية القرآن بالاهتمام في إذكاء حرارة الكلمة عند العرب وتوهّج العـبارة فـي مـنظار حياتهم، وحدْب البيان القرآنيّ على تحقيق موسيقى اللّفظ في الجملـة، وتـناغم الحروف في تركيبه،وتعادل الوحدات الصّوتية في مقاطعه،فكانت مخـارج الكلمـات في نهاية الآيات المكيّة متوازنة النّبرات،وتراكيب البيان متلائمة الأصـوات،فاختار لكـل حالـة مـرادة ألفاظهـا الخاصة التي لا يمكن أن تستبدل بغـيرها،فجاء كل لفظ متناسبا مع صورته الذّهنية من وجه، ومع دلالته السّمعية من وجـه آخـر،فالذي يستلذ السّمع،وتسيغه النّفس،وتقبل عليه العاطفة هو المتحقق في العذوبـة والرقة الّذي يشرإب له العنق، وتتوجس منه النّفس هو المتحقق في الزّجر والشّـدة،وهنا ينبه القرآن المشاعر الدّاخلية عند الإنسان في إثارة الانفعال المترتّب علـى مـناخ الألفـاظ المختارة في مواقعها فيما تشيعه من تأثير نفسّي معيّن سلبا وإيجابا،وهذا ما نلمسه من تكرار مستوى نهاية الآيات المكيّة،والتي تتشكل من أربع صور مختلفة البناء ، أولها تكرار مفردة واحدة في آخر كل آية كقوله تعالى:﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الأَوَّلِينَ*وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلاَّ كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِؤُونَ*كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ*لاَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ﴾ (الحجر،10 ـ 13).

الأوّلين.....

الأوّلين ....

ففــي هــذه الصّــورة يــتم تكــرار آخر مفردة في الآية، في آخر الآية الّتي تليها،وبذلك تحقق مفهوم التّكرار في أواخر الآيات بشكل أحادي.ففي الدّال الأوّل"في شــيع الأوّليــن"جاءت المفردة مضافة إلى ما قبلها من ألفاظ، ثم جاء الدّال المكرّر " الأوّليــن" مضــافا إلــى"سُــنَّة"، لكــن الفــرق واضــح بيّن ما بين دلالة الدّال الأوّل،والــدّال المكرر،فالإرســال فــي الــدّال الأوّل كــان إلــى ســائر الأمم،وأتباعهم،وســائر فــرقهم،وطوائفهم،وهذا مــا أشــاعه في إطلاق لفظ "شيع" المضــافة إلى الدّال الأوّل(تعيلب،1995). أما الدّال المكرر"سنّة الأوّلين"فيأتي من خلال تناغم لفظي ينسجم ودلالة الدّال والدّال المكرّر،لكنّ المعنى يتجه إلى مضي الطريقة التــي ســنها الله في هلاكهم حيث فعلوا ما فعلوا من التّكذيب،فكان هذا التّكرار في الــدّال الأوّل،والــدّال المكّــرر بمثابة وسائل لاستيعاب الموقف،وتخفيف الآلام عن رسول الله صلى الله عليه وسلَم لما يلاقيه قومه من جحود ونكران(تعيلب،1995).

وتكرار المفردة في نهاية الآيات يتّسع أيضا ليشمل أسلوب المجانسة بين اللّفظين كقوله تعالى: ﴿ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْاْ مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُواْ خَيْرًا لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ*جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآؤُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللّهُ الْمُتَّقِينَ*﴾ (النحل،30 ــ 32).

ولنعم دار المتّقين......

يجزي الله المتّقين......

فالدّال الأوّل "المتقين" ورد مضــافا إلى ما سبقه والّذي أكســبه صياغة معنويّة جديدة وهي الجنّة،أمّا الدّال المكــرّر فقد وقــع مفعولا به، الّذي تسلط عليه الفعل " يجزي"ليكسبه مساحة صياغيّة علــى مستوى العمق، فيكــون المعنى عندها أنّ الله يجــزي المتّقيــن الجــنة(الحلبي،1991)، وتأتي الصــّورة الثّانية مــن صــور تكرار نهايةالآيات من خلال الجملة الاسميّة، أو شبه الجملة، وتتكرر متوالية بين آيتين مع المحافظة على التّوزيع المكانيّ في أواخر الآيات كقوله تعالى:

﴿ لِّلَّذِيـنَ أَحْسَـنُواْ الْحُسْـنَى وَزِيَـادَةٌ وَلاَ يَـرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلاَ ذِلَّةٌ أُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * وَالَّذِينَ كَسَبُواْ السَّيِّئَاتِ جَزَاء سَـيِّئَةٍ بِمِـثْلِهَا وَتَـرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُم مِّنَ اللّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُـمْ قِطَعًـا مِّـنَ اللَّـيْلِ مُظْلِمًـا أُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾(يونس،26 ـ 27).

أولئك أصحاب " الجنة "هم فيها خالدون.....

↕

أولئك أصحاب " النار " هم فيها خالدون....

فجملـة الدّال الأول تعاكس جملة الدّال المكرّر من خلال المساحة المكانيّة لكلّ دال منهما،فالإشـارة فـي جملة الدّال الأول متجهة إلى المتصفين بالصّفات السابقة لها،وهم من أحسنوا الحسنى وزيادة، فهؤلاء يتّسع لهم المكان الطّيب وهو الجنّة. أما الإشارة في الدّال المكّرر فتتجه إلى أصحاب النّار،متضمنا معنى الخلود سواء أكان فـي الجـنّة أو فـي الـنّار، وإطلاق لفظ الخلود في الدّالين لبيان أنّ الجزاء على الفريقيـن فـي النّهاية واقع ، وغير منقطع(الزمخشري،د.ت) ، ويأتي قوله تعالى:﴿ أَوَ لَمْ يَـرَوْاْ إِلَـى مَـا خَلَقَ اللّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلاَلُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالْشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِلّهِ وَهُمْ دَاخِـرُونَ * وَلِلّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَالْمَلآئِكَةُ وَهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ ﴾(النحل،48 ـ 49).

وهم داخرون......

وهم لا يستكبرون......

فالخطاب موجه إلى بني البشر من خـلال الاستفهام الـذي تسلّط على ما خلق الله،والّذي يوضحه سياق جملة الدّال الأول"وهم داخرون" فعند رؤية ما خلق الله عزّ وجل سيكونون خاضعين صاغرين، ولفظة "داخرون"صفة من يعقل عبّر عنها بلفظ مـن يعقل، والجملة الاسميّة"وهم داخرون"وقعت حالا متداخلة من الضّمير المستتر في "سجّدا".

أما الدّال المكرر"وهم لا يستكبرون"فهي دالة من خلال السّياق على الملائكة فهم لا يستكبرون عن عبادة ربّهم،والمفارقة التي وقعت ما بين جمـلة الدّال الأول،والدّال

المكّرر على مستوى السّطح اللفظي يتمحور حول النّاحية النّحوية، فالخبر في جملة الــدّال الأوّل جاء اسما ظاهرا،وفي جملة الدّال المكّرر جملة فعليّة، وهذا التّناغم ما بيــن جملـــة الدّال والدّال المكّرر ينتج لنا دلالة معنويّة، وموسيقيّة تؤدي إلى تأكيد المعنى المراد(الدرويش،1988).

وتأتي الصورة الثالثة لتكرار نهاية الآيات من الجمل الفعلية المثبتة منها والمنفية كقوله تعالى:

﴿ قُــلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللّهِ الَّتِيَ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِي لِلَّذِينَ آمَنُواْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُــونَ*قُــلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْــيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِاللّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ (الأعراف،32 ــ 33).

يعلمون.....

ما لا تعلمون......

وقوــله تعالى:﴿ أَتَى أَمْرُ اللّهِ فَلاَ تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ* يُنَزِّلُ الْمَلآئِكَـــةَ بِالْـــرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنذِرُواْ أَنَّهُ لاَ إِلَـــهَ إِلاَّ أَنَاْ فَاتَّقُونِ*خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾(النحل،1 ــ 3).

وتعالى عمّا يشركون......

تعالى عمّا يشركون.......

أتـــت جملة الدّال الأوّل" وتعالى عمّا يشـــــركون" مسبـــــوقة بالنّهي فيقول ابن عاشور: "الّذي أفاد التّسوية والمعنى لا جدوى من استعجاله؛ لأنّه لا يعجل قبل وقته المؤجل له،والجملة مستأنفة استئنافا ابتدائيا؛ لأنّ الــوعيد والزّجر إنّما لأجل إبطال الإشـــراك،فكانت جملـــة أتى أمر الله كالمقدّمة، وجملة"سبحانه وتعالى عمّا يشركون "كالمقصد"(ابن عاشور،1980،100 ــ 101). أما جملة الدّال المكرّر"وتعالى عمّا يشركون" " فإنّهـــا أتـــت بعد الاستدلال بخلق السّماوات، والأرض أكبر من سائر الأدلّة، ولكنّهم رغـــم هـــذه الأدلـــة يشـــركون بـــالله تعـــالى، وجملـــة" تعـــالى عمـــا يشركون معترضة"(ابن عاشور،1980،100 ــ 101).

أما الصّورة الرّابعة من صور التّوزيع المكانيّ لتكرار أواخر الآيات،ابتعاد جملة الـدّال،أو المفردة عن آخر الآية مساحة بسيطة كقوله تعالى:﴿ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِـي الْـيَمِّ فَانظُـرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ*وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لا يُنصَرُونَ*وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُم مِّنَ الْمَقْبُوحِينَ ﴾(القصص،40 ـ 42).

ويوم القيامة.......

ويوم القيامة........

جـاءت جملـة الـدّال الأول"ويـوم القيامة" في هذه الصّورة متعلقة بسياق من كفـر،بعد مسـاحة مكانـيّة متّسعة من الآية، فأصبح إماما للشّر،فعندها يدعى إلى الـنّار،فلذلك قال:"ويوم القيامة لا ينصرون"، أي لا يجدون من ينصرهم فيدفع عنهم عـذاب الـنّار، أمّا جملة الدّال المكّرر"ويوم القيامة هم من المقبوحين"، تأتي كتأكيد لجملـة الـدّال الأول، ولكـن بتغيـير بسـيط فـي السّـياق مـن خـلال الضّمير"هم"،واسم الإشارة"هذه"الّذي سبق جملة الدّال المكرر ليبين تهوين أمر الدّنيا بالنّسبة للآخرة"(ابن عاشور،1980).

ثالثا:مستوى التّكرار المتوازي،أو فواصل الجمل للبناء التّركيبي:

يطلعـنا السّياق القرآنيّ على ضرب آخر مـن التّنوع، والتّكرار اللفظي وهو مـا يطلق عليه التّكرار المتوازي، والذي يأخـذ توازيا محددا داخل الآيات التي يتشـكّل بناؤها خلاله، وينتج من هذا التّوازي دلالات عميقة تربـط بين جملة الدّال الأول،أو مفـرداتها، وجملـة الـدّال المكّرر، ومفرداتها ويتفرع من هذا المستوى صـورة التّوازي المتّسع المستند إلى آيتين أو أكثرقوله تعالى:﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَا الإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ*وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاء بَعْدَ ضَرَّاء مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴾(هود،9 ـ 10).

ولئن أذقنا الإنسان منّا رحمة ثم نزعناها منه إنّه ليؤس كفور..........

ولئن أذقناه نعماء بعد ضرّاء مسته ليقولنّ ذهب السّيئات عنّي إنّه لفرح فخور.....

فيأتـي أسلوب التّوازي بين هاتين الآيتين، ليعمق من دلالة المعاكسة بينهما على مستوى العمق،مع اختلاف دلالة المفردات المتباينة ضمن هذا البناء التّركيبي فيقول ابن عاشور في ذلك:

"فالواو في جملة الدّال الأول عاطفة،واللّام موطئة للقسم ولفظ الإذاقة مستعمل في إيصال الإدراك على وجه المجاز،واختياره لما تشعر به من إدراك أمر محبوب؛لأنّ المرء لا يذوق إلا الّذي يشتهيه، و"الرّحمة" أريد بها رحمة الدّنيا،والمراد بها النّعمة السّابقة قبل نزول الضّر،ولفظ "النّزع" حقيقته خلع الثّوب عن الجسد،واستعمل في جملة الدّال الأول على طريق الاستعارة،ولذلك عُدّي بحرف الجرّ "من" دون عن؛لأنّ المعنى على السّلب والافتكاك،فذكر "من" تجريدا للمجاز""(ابن عاشور،1980،12).

أمّا جملة"إنّه ليؤوس كفور""جواب للقسم، وجرّدت من الافتتاح باللّام استغناء عنها بحرف التّوكيد،وبلام الابتداء في خبر" إنّ"واستغنى بجواب القسم عن جواب الشّرط "(ابن عاشور،1980،13).. وبهذا الأسلوب اللّفظي يكون الإنسان قد وصل إلى أقصى غايات اليأس والكفر. أمّا جملة الدّال المكّرر، فهي تتميم لجملة الدّال الأول لأنّها حكت حالة ضد الحالة الّتي قبلها، فالضّمير في جملة"أذقناه"عائد إلى الإنسان للاستغراق بالمعنى المتقدم.(ابن عاشور،1980) ليعطي السّياق في نهاية الآية تأكيدا على أنّه لا يشكر الله على النّعمة بعد البأساء،ولا يتفكر في وجود خالق الأسباب وتأمّل الأحوال، فالبناء المتوازي بين جملة الدّال، والدّال المكّرر يؤكد حصول المخالفة والمعاكسة. وقد يحصل التّعاكس في الآية نفسها على مستوى تكرار التّوازي كقوله تعالى:﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾(إبراهيم،7).

لئن" شكرتم"..........لأزيدنكم ....

↕

ولئن" كفرتم".........إنّ عذابي لشديد..

فالتّوازي جاء في الآية للمقابلة على مستوى اللفظ والمعنى،ونلمح ذلك من لفظ" شكرتم"في جملة الدّال الأول ويقابلها في الدّال المكرر جملة "كفرتم"،ليخلق من هذا التّناوح بين الألفاظ وقعا موسيقيّا رتيبا يشعر من خلاله السّامع أنّ شكر النعمة له الزيادة،والكفر له العذاب. فجملة الدّال الأول " لئن شكرتم"موطئة للقسم،والقسم

مســتعمل فــي التّأكيد،والشّــكر مــؤذن بالــنّعمة، ولذلــك حــذف مفعــول "شكرتم"،ومفعول"لأزيدنّكم"ليقدر"عامّا" في الفعلين(ابن عاشور،1980).

وفــي جملــة الــدّال المكرّر استغنى بــ" إنّ عذابي لشديد "عن"لأعذبنّكم عذابا شــديدا"، لكونه أعم وأشمل على مستوى السّطح والعمق، والمعنى إنّ عذابي لشديد لمــن كفــر فأنــتم إذن منهم. وقد يتسع مفهوم تكرار البناء الموازي ليأخذ مساحة صياغيّة متسعة ليشمل من خلاله موضوع الآيات الكريمة كقوله تعالى :

﴿ أَلَــمْ تَــرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَــرْعُهَا فِــي السَّــمَاء*تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللّهُ الأَمْــثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ*وَمَثلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴾(إبراهيم،24 ــ 26).

ضرب الله مثلا ◄── كلمة طيبة كشجرة طيّبة أصلها ثابت وفرعها في السّماء

↕ ↕

ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض .....

فتكرار التّوازي واضح بيّن،كما يقول سيد قطب:

"فمشــهد الكلمــة الطيّــبة كالشّــجرة الطّيبة، أصلها ثابت، وفرعها في السّماء.....والكلمة الخبيثة كالشّجرة الخبيثة، اجتثت من فوق الأرض مــا لها من قرار،فهو مشهد مأخوذ من جوّ السّياق القرآنيّ، ومن قصة النبييــن والمكذبين،ومصــير هؤلاء،وهــؤلاء بوجــه خاص،وشجرة النبوة،وظلّ إبراهيم أبي الأنبياء عليها واضح، وهي تؤتي أكلها كلّ فترة أكلا جنيا طيبا"(قطب،1983،154 ــ 155).

إنّ الكلمــة الطّيبة في جملة الدّال الأوّل ــ كلمة الحق ــ كالشّجرة الطّيبة ثابتة سامقة مثمرة،والكلمة الخبيثة في الدّال المكرّر ــ كلمة الباطل كالشّجرة الخبيثة،فهذا هــو واقــع الحياة كما تطرحه جملة الدّال الأوّل،والدّال المكرّر،وإن أبطأ تحققه في بعض الأحيان(قطب،1983).

وقــد يــتم تكــرار فواصل الجمل في أماكن مختلفة تتراوح بين مجيئها في أوّل الآيات،أو الآية،وفي سياق الآية كقوله تعالى:

﴿ وَاللّهُ جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الأَنْعَامِ بُيُوتًا

تَسْــتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًــا وَمَــتَاعًا إِلَى حِينٍ*وَاللّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلاَلاً وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴾ (النحل،80 ــ81).

فــإذا قسّــمنا الآيتيــن إلى جملها التّكرارية بشكل عمودي،كان التّرتيب تكرار فواصل الآيات،وابتعاد بسيط عن بداياتها:

والله جعل لكم من ....

وجعل لكم من جلود الأنعام ....

والله جعل لكم ممّا ....

وجعل لكم سرابيل ....

فتكرار الجمل على مستــــوى السّطح، يخلق لنا وقعا موسيقيّا خاصا،وخاصة بتكرار لفظ الجلالة " الله"،الــّذي ورد مــرة بعد مــرة أخرى من خلال جملة الدّال الأول، وجمــل الــدّال المكــرر، الّذي يجمع بينهما تعداد النّعم الّتي ألهم الله النّاس إليها،وكلّها من الألطاف الّتي أعدّ الله لها عقل الإنسان، وهيأ له وسائلها(البقاعي،1995).

وقــد يــتم تكرار فواصل الجمل في أماكن مختلفة على مستوى أسلوب الشّرط المــتوازي مــن سياق الآية نفسها كقوله تعالى:﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ الرُّشْدِ لاَ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَافِلِينَ ﴾ (الأعراف،146).

وإن يروا كلّ آية لا يؤمنوا بها ....

وإن يروا سبيل الرّشد لا يتخذوه سبيلا ...

وإن يروا سبيل الغيّ يتخذوه سبيلا ....

ومن هذا التّكرار بين جملة الدّال وجملتي الدّال المكرر نشعر بالإيقاع الصّوتي على مستوى السّطح اللفظي، الذي يحدثه تناوب الشــرط على الفعــل"يروا"،وجوابه الذي اقترن بالنّهي مرة في جملة"لا يتخذوه"،والإثبات مرة أخــرى في جملة "يتخذوه سبيلا".وبهذا التّشكيل يشبه ما سمي عند القدماء بــ"التّطريز"كقوله تعالى:﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا

الْكَافِــرُونَ*لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ*وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ*وَلا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ*وَلا أَنــتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ*لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ (الكافرون،1 ــ 6). وقد يمتدّ اتساع المسافة للمــتردد الصّوتي ليشكل فاصلة إيقاعيّة بين كل آية،أو بعض الآيات كما في سورة المرســلات يــتكرّر قوله:﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾(المرسلات،15). حيث بلغ تكرار هذه الآية عشر مرات، مشكلة بذلك إحساسا عميقا بالمستوى الصّوتي.

وقــد تأتــي أيــة لتفصــل بين مجموعة من الآيات،والّتي تكررت رؤوسها في بداياتهــا،فيأتي نسقها السّطحــي مميزا أقــرب إلى التّطريز البلاغيّ كقوله تعالى:

﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ * وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ * وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ*وَإِذَا الْعِشَــارُعُطِّلَتْ *وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ * وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ * وَإِذَا الــنُّفُوسُ زُوِّجَــتْ*وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ*بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ*وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِــرَتْ*وَإِذَا السَّــمَاء كُشِــطَتْ*وَإِذَا الْجَحِــيمُ سُــعِّرَتْ*وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ*عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ﴾ (التكوير، 1ــ 14).

نلحــظ مــن خــلال المستوى السّطحي للفظ الافتتاح المشوّق بــ" إذا"؛ لأنّ" ذا" ظرف يستدعي متعلقا يؤذن بذكــر جواب بعــده،فإذا سمعه السّامع ترقّب ما سيأتي بعده،فيتمكّــن الخبر الّذي سمعه من نفسه كمال التّمكن(ابن عاشور،1980)."وتعداد الجمل الّتــي أضــيف إلــيها اثنتــي عشــرة مــرة بعد"إذا" إطناب، وتكرار اقتضاه قصد التّهويل،والتّهويل من مقتضيات الإطناب والتكرار"(ابن عاشور،1980،140).

وفي إعادة"إذا"إشارة إلى أنّ مضمون كلّ جملة من جمل التّكرار مستقل بحصول مضــمون جملــة الجــواب عــند حصــوله بقطع النّظر عن تفاوت زمان حصول الشّــروط،"فــإنّ زمــن ســؤال المــوؤدة، ونشر الصّحف أقرب لعلم النّفوس بما أحضــرت،وأقرب مــن زمــان تكويــر الشّمس ،وما عطف عليه مما يحصل قبل البعــث"(ابن عاشور،1980،140).والجملة الفاصلة التي وقعت في وسط الدّال المكرّر"بأي ذنب قتلت"بيان وتفصيل لجملة سئلت ،لتفصل الحديث بعضه عن بعض مسافة أفقية بسيطة.

واللافــت للــنظر أيضــا صــيغة الماضي للجمل؛ لأنّ" إذا"مستعملة في معنى الاســتقبال تنبيها على تحقق وقوع الشّرط مما جعل السّياق في الآيات السّابقة يأتي بأسلوب صيغة الماضي (ابن عاشور،1980).

وكانت الجمل الّتي جعلت شروطا لــ"إذا"مفتتحة بالمسند إليه المخبر عنه بمسند فعلــيٍّ دون كونهمــا جمــلا فعلــية، ودون تقديــر أفعال محذوفة تفسرها الأفعال المذكورة،وجــواب الشّــروط الاثني عشر هو قوله: "علمت نفس ما أحضرت"، وقد ذُكر في الآيات اثنا عشر حدثا: ستة منها تحصل في آخر الحياة الدنيوية، وستة منها تحصل في الآخرة(ابن عاشور،1980).

رابعا:مستوى التّكرار الخالص للمفردات:

يأتي هذا المستوى ضمن مستويات التّكــرار السّابقة،فقد دخل في مستوى تكرار بداية الآيات وآخرها،وكان ذلك على المستوى العمودي والأفقي للآيات القرآنيّة في السّــور المكــيّة، وقــد اتّسع استخدامه بالمقارنة مع مستويات التكّرار، وتشكيلاته المخــتلفة. فــتكــرار مفــردة في آية واحدة دون الاهتمام لتوزيعها المكاني متعدد الورود في الآيات المكيّة كقوله تعالى: ﴿ حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِي النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ ﴾ (النمل،18).

←"واد النّمل" ←"قالت نملة" ←" يا أيّها النمل" ←

فالمســتوى الأفقيّ للآية يشير إلى تكرار مفردة " النّمل"، فالدّال الأوّل أتوا على واد" الــنّمل"جاء مضافا إليه ، ليكون سكان هذا الوادي من النّمل، أمّا الدّال المكّرر الأوّل"قالت نملة"، فجاء" فاعلا" للفعل"قالت"، وفي الدّال المكّرر الثّاني" يا أيّها النّمل" مــنادى(الطبرســي،1986). وبعد تأمل هذه الآية، ومجاوزة حالة الانبهار بهذه المخلوقة العجيــبة، نــتأمل الأســلوب الخطابــيّ الّذي تضمن معنى الحذر والإشفاق والإباء والذّكاء، فاختزل في ثناياه ألوانا بلاغيّة تفوهت بها هذه المخلوقة، والّتي تكرر لفظها أكــثر مــن مــرة، فالــنّملة عــندما قالت"يا أيّها النّمل"، فإنها نادت،بــ"يا"، ونبّهت بــــ"أيّهــا"،وعيّنــت بــ"النّمل"،وعندما قالت:" أدخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون"،فإنّها أمرت،بــ" ادخــــلوا"،ونصّت بــ"مساكنكم"،وحذرت

بـــــ"لا يحطمنّكم"، وخصّت بـــ"سليمان"، وعمّمت بـــ"جنوده"، واعتذرت بـــ"وهم لا يشـــعرون"(عــوده،1999). ويقــول ابن الجوزيّ عن قوله :" قالت نملة": " أي صاحت بصـــوت، فلمّـــا كان ذلك الصّوت مفهوما عبّر عنه"بالقول"، ولما نطق النّمل كمـــا يـــنطق بنو آدم فقيل:"ادخلوا " وألهم الله تلك النّملة معرفة سليمان معجزة له "(ابن قيم الجوزية،د.ت،126). وبنية هذا المستوى متعددة جداً في السور المكية(النمل،الزخرف،الشورى، الأحقاف،المطففين،الـــــنحل،الأعراف طـــــه،الطور،الذاريات ،مريم،المؤمـــــنون، العنكـــــبوت، القصص،الروم،الجن،الصافات،ص، الزمر،النمل،الإسراء،لقمان ابراهيم،يونس).

خامسا:مستوى التّرجيع في المحاورة:

وهو من المستويات الّتي أشار إليه العلويّ في تعريفاته(العلــوي،1982). ويتم خلاله تكـــرار صيغة السّؤال"قال"، ويقابلها تكرار صيغة الرّد المقابلة، فكأنّما نكرر السّؤال والصّيغة ترجيعا لما سبق وتعلّق به كقوله تعالى:

﴿ وَاضْــرِبْ لَهُــم مَّثَلاً أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءهَا الْمُــرْسَلُون*إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْــهِمُ اثْنَيْنِ فَكَــذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ*قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنزلَ الرَّحْمن مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ تَكْذِبُونَ*قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ*وَمَا عَلَيْنَا إِلاَّ الْبَلاَغُ الْمُبِينُ*قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ*قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾(ياسين،13 ــ 19).

فقالوا إنا إليكم مرسلون ...... قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا ....

قالوا ربّنا يعلم أنا إليكم مرسلون ....

قالوا طائركم معكم أئن ذكرتم بل أنتم قوم مسرفون ....

فالآيـــة تصـــر على تكرار المحاورة على مستوى السّطح،مما يؤدي إلى متابعة حسّـــية مـــتحققة مـــن المســـتوى الصّـــوتي للمحاورة،ويؤدّي إلى تعميق المستوى الدّلالـــي،وهذا ما نلمسه في الآيات السّابقة الّتي ساقت لنا قصة أهل القرية المكذّبين لرسلهم على طريقة أسلوب القرآن في إيراد القصة للعظة والعبرة،حيث تنهض كلّ آية بخطوة مرحليّة في إطار المهمة الدّعوية(الماوردي،1992).

وهذا التّكذيب من المتلقين اقتضى تأكيد المهمة الدّعــوية بمؤكد واحــــد، علّها تلقــى اســتجابة فـــي نفوسهم، لأنّ جملة الخبر الإسنـــاديّ الأوّل جاءت خالية من التّوكــيد، لأنّه مجرد إخبار لخالي الذّهن منه، ومن ثم جاءت الآية الثّانية تؤكد مهمة الرّسل الدّعوية بعد أن لاقت دعوتهم التّشكيك فيها: "فقالوا إنا إليــكم مرسلون"، إلاّ أنّ هــذا التّوكــيد لــم يجابــه إلا بمــزيد من الإعراض، والتّشكيك حتى بلغ مبلغ الإنكــار:"قــالوا مــا أنــتم إلا بشــر مثلنا وما أنزل الرّحمن من شيء إن أنتم إلاّ تكذبون"،وجريا عــلى عادة الرّسل في احتواء أقوالهم،وصبرهم على تكذيبهم، وعدم اليأس مــــن هدايتهم، فقد أعادوا الكرّة

علــيهم أملا في هدايتهم،فلجأوا إلى تعزيز دعوتهم بمؤكدات أخرى علّها تضع حدا لإنكارهم،فجــاءت الآيـــة التّالية"قالوا ربنا يعلم أنّا إليكم لمرسلون" لتؤدي هذه الغاية بمؤكــدات ثلاثـــة:" إنّ التوكيد" و" لام التّعليل"، إلى جانب علم الله سبحانه الذي هو أقوى عوامل هذا التّوكيد(الماوردي،1992).

وهــذا التّدرج في مراحل عرض الخبر الدّعوي، والّذي جسده مستوى التّرجيع فـــي المحـــاورة فـــي الآيـــات السّـــابقة، وصـــفه علمـــاء الـــبلاغة بالطّلبـــي والابتدائـــي،والإنكاريّ، وفق استجابة المتلقي، وقد أشار إليها صاحب التّسهيل معللا مقتضـــى عرض الآيات بين الإبلاغ والإنكار فقال: " إنّما أكّدوا الخبر الإسناديّ "أنّا إلـــيكم لمرســـلون"بـــاللام؛ لأنّه جواب المنكرين بخلاف الموضع الأوّل، فإنّه مجرد إخبار "(الكلبي،د.ت،161).

فمستوى التّرجيع في المحاورة من خلال التّدرج في عرض الخبر جسد سنة من ســنن الحــياة البشــريّة في الإعراض، والإنكار إزاء الهداية والإرشاد، فضلا عن طرحه للمنّهج الرّاقي للتّخاطب وأدب الحوار(الأسعد،1999).

سادسا:مستوى التّكرار الخالص:

يقــع هــذا المســتوى في نهاية المستويات السّابقة؛ لأنّه من المستويات الّتي لا يحدها التّوزيع المكانيّ بين الــدّال الأوّل، والدّال المكّــرر،على العكس من مستوى الــتكرار الخالص للمفردات، الذي يحــدّه التوزيع المكاني ويدخل فـــي بنى أغلب

المستويات ولهذا جعلت مستوى التّكرار الخالص آخر المستويات التّابع لبنية التّكرار الخالص، وقد جاءت أمثلة هذا المستوى متعددة الصّور، تربط بينها عدّة علاقات مختلفة، كل علاقة تشكل صورة مختلفة(الأسعد،1999).فقد جاءت صور المفردات المكرّرة داخل الآيات بواسطة العطف من الأبنية المستخدمة بكثرة كقوله تعالى: ﴿ اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ*وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الجاثية،12ـ 13). ويتشكل مستوى التّكرار الخالص في الآيات من البناء التّالي: " سخر"لكم البحر" ـــــ و سخر لكم ما في السماوات ".

ويأتي عطف الضّمائر المنفصلة في قوله تعالى:﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (الفاتحة،4).فالبناء التّركيبي للآية يأتي على الشّكل التّالي :

إيّاك نعبد ـــــ و إيّاك نستعين ـــــ

فسياق الآية من خلال العطف المتسلّط على الدّال المكرّر"وإيّاك نستعين"أوجد بناء منطقيا للفكرة، فقسّمها إلى أصول، ثم فُرّعت هذه الأصول إلى جزئيات تستغرق في مجملها الاحتمالات العقليّة للقضيّة ليأتي بعد ذلك الاستشهاد من واقع معرفة الرّازي الواسعة بتاريخ الأديان حيث يقول:

"كل من اتخذ لله شريكا،فإنّه لا بد وأن يكون مقدما على عبادة ذلك الشّريك من وجوه:إمّا طلبا لنفعه،أو هربا من ضرره،وأمّا الّذين أصروا التّوحيد،وأبطلوا القول بالشّركاء والأضداد،ولم يعبدوا إلاّ الله،ولم يلتفتوا إلى غير الله فكان رجاءهم من الله وخوفهم من الله،ورغبتهم في الله،فلا جرم أن يعبدوا إلا الله،ولم يستعينوا إلا بالله،فلهذا أتى سياق قوله"إيّاك نعبد وإيّاك نستعين"قائما مقام قوله" لا إله إلا الله "(الرازي،فخر الدين،1980،245).

ويذكر الأنصاريّ تكرير"إيّاك نعبد وإيّاك نستعين"في"فتح الرحمن" فيقول: "كرر إيّاك لفائدة التّقديم وهي قطع الاشتراك بين العاملين"(الأنصاري، 1983،10،الكرماني، 1991). وكذلك قوله تعالى:﴿ لَّعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (يوسف،46)،فكرّر" لعلّ"رعاية للفواصل"(الأنصاري،1983).

وقد يتم توالي حروف العطف على الدّال المكرّر لتشكل بذلك نسقا صوتيا مفعما بالحدث كقوله تعالى:﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ*الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ*وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ*وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴾(الأنبياء،1 ــ 4).

الّذين هم في صلاتهم خاشعون .

الّذين هم عن اللّغو معرضون .

والّذين هم للزّكاة فاعلون .....

فالعطف في النّسق السّابق"والّذين"، من عطف الصفات لموصوف واحد،وتكرير الصّفات المعطوفة تقوية للثّناء عليهم، وإعادة تكرير"الّذين"دون الاكتفاء بعطف صلة علـــى صلة للإشارة إلى أنّ كلّ صفة من الصّفات موجبة للفلاح، فلا يتوهم أنّهم لا يفلحون حتّى يجمعوا بين مضامين الصّلاة كلّها، والإعراض عن اللّغو، وفعل الزّكاة وتكريــر الضّمير المنفصل"هم"، مع الاسم الموصول من أجل زيادة تقرير الخبر في ذهن السّامع(ابن عاشور،1980).

ويأتـــي بعـــد ذلـــك صورة تكرار الدّوال القائمة على النّهي المتسلّط على الدّال المكرر كقوله تعالى:﴿ اتَّبِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلاَ تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ*وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ﴾ (الأعراف،3 ــ 4).

اتبعوا .... ولا تتّبعوا......

وقـــد يـــنعكس هذا التّركيب فيأتي الدّال الأوّل منهيّا، والدّال المكّرر مثبتا كقوله تعـــالى:﴿ وَلاَ تَسُبُّواْ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ فَيَسُبُّواْ اللّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾(الأنعام،108).

لا تسبّوا .... فيسبّوا......

وقد ترتبط الدّوال المكرّرة، بعلاقات أخرى، كالتّشبيه في قوله تعالى :﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَـذُوا مِـن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاء كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَـانُوا يَعْلَمُـونَ * إِنَّ اللَّـهَ يَعْلَـمُ مَـا يَدْعُـونَ مِـن دُونِـهِ مِـن شَـيْءٍ وَهُـوَ الْعَزِيـزُ الْحَكِيمُ ﴾(العنكبوت،41 ــ 42).

مثل الّذين اتّخذوا من دون الله أولياء ← "كمثل" العنكبوت اتّخذت بيتا.

والنتيجة الصّياغية للتشبيه تأتي بقوله:" وأنّ أوهن البيوت لبيت العنكبوت"

بنية التّرديد:

التّرديد من البنى البديعيّة الّتي تجمع بين الدّالين أو الـدّوال على نحـو بنائيّ مخصوص يعتمد البنية العميقة في السّياق، " وتعتمـد على تكرار الدّال وترديده مع متعلّقاته في كلّ مرّة، مشكّلة اتّساعا في مسـاحة المعنى الدّلالي العميق، ومن خلال اخـتلاف مواقع الدّوال يتشكل لدينا إيقاعا صـوتيا، مما يجعل بنية التّرديد مميزة فـي أسـلوبها البنائـيّ الّذي يؤدي إلى تقسيم السّياق اللّغوي إلى بناءين متوازيين أسـلوبيا، فـي جملة الدّال الأوّل ثم جملة الدّال المردد"(الأسعد،1999،76 ـ 77). ويعتمد تقسيم مستويات بنية التّرديد على نوعية الدّال المردد فيه، فيأتي الفعل مرددا فيكون ضـمن مسـتوى تـرديد الأفعال، وقد يأتي الدّال المردد اسما فيكون ضمن ترديد الأسـماء، أو حـرفا ليكون ضمن مستوى ترديد الحرف"(الأسـعد،1999). والفرق بين التّكرار والترديد واضح بيّن ميزه ابن أبي الإصبع فقال:

> "إنّ اللفظـة التي تكرر في البيت ولا تفيد معنى بل الثانية عين الأولى هي التّكرار،واللّفظة الّتي يرددها النّاظم في بيته تفيد معنى غير المعنى الأوّل هـي الترديد،وعلى هذا التّقدير صار للتّرديد بعض مزية يتميز بها على التكرار،ويتحلى بشعارها "(عكاوي،1992،305).

ومـن هـذا الفرق بين التّكرار والتّرديد يتم الانتقال للدّال من تركيب إلى آخر يتـبعه انـتقال في المعنى،ليؤدي وظيفة جديدة في مكانه الجديد والمعنيان يجمعهما معنى دلاليّ معين، إمّا الاتصال أو الانفصال أو التّأكيد أو غيره من المعاني العميقة وقد وردت بنية التّرديد في السور المكيّة بصورة مكثّفة ولافتة"(الأسعد،1999).

أولا:مستوى ترديد الأفعال:

ويتشكل التّرديد في هذا المستوى من خلال ترديد الفعل مرتين، ولكن لكل منهما متعلّقات، وسياقات بنائيّة تختلف عـن الآخر،فيتسـلط الدّال الأوّل فـي جملته على متعلقات تشكل السّياق اللّغوي له، ثم يأتي الدّال المردد ليشكّل سياقا تركيبيا له،إلاّ أنّ هذه البنية مع اعتمادها على إحداث الإيقاع الصّوتي النّاتج مـن تكرار الدّال مرّتين تـؤدي اختلافا على المستوى العميق للبنية، وهذا الاختلاف قـد يؤدي إلى الاتصال

خلق........ خلاّق..

فـــالفعل"خلق"، والمتعلق بخلق السّماوات والأرض امتدّ مساحة صياغيّة ليشمل خلـــق الأنفـــس بــــــ" أن يخلق مثلهم"، ويتّسع مجاله التّوضيحي ليشمل جملة الدّال المكـــرّر"الخـــلاّق العليم"، ليؤكد من خلاله أنّه قادر على الخلق ومعها خلق الأنفس مضـــافا إلـــيها العلـــم الواسع في كلّ شيء، ولذلك جاء الدال المكّـــرر من خلال بنية المبالغة (ابن عاشور،198).

وكذلـــك قوله تعالى:﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنْ الأَنْعَـــامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلاثٍ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴾(الزمر،6)، فالبناء السّياقي للآية يوضحه الشّكل التّجريدي التّالي :

"يخلقكم" .... في بطون أمهاتكم

↓

" خلقا" ..... من بعد خلق .....

فـــأتى الدّال الأوّل من خلال الفعل"يخلقكم"، وعبّر عنه بصيغة المضارع، لإفادة تجـــدد الخلق وتكراره، فيأتي الدّال المردد"خلقا"، من خلال بنية المبالغة ليؤكّد تجدد الخلـــق من خلال استحضار صوره الّتي يمر بها(الألوسي،د.ت)، ومنه قوله تعالى:﴿ فَلا تُطِـــعِ الْمُكَذِّبِيـــنَ*وَدُّوا لَـــوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ*وَلا تُطِعْ كُلَّ حَلاَّفٍ مَّهِينٍ*هَمَّازٍ مَّشَّاء بِنَمِيمٍ ﴾(القلم،8 ـــ 11).

تدهن.......

فيدهنون .....

فـــالفعل"تدهـــن"مشـــتّق مـــن الإدهان، ويفيد معنى الملاينة "، وكذلك الدّال المردد "يدهـــنون لكن دلالة الإدهان في الدّال الأوّل متّجهة إلى الرّسول عليه السّلام، وفي الـــدّال المردد تتجه إلى المكذّبين، والتّقدير ودّوا منك أن تدهن لهم، فيدهنوا لك أي تواجههـــم بحسن المعاملة فيواجهونك بمثلها، فالبنية التّركيبية في الدّال الأوّل تتجه إلـــى المفـــرد، وهـــو النبي عليه السّلام، أمّا الدّال المردد فإنّها تتجه نحو الجماعة المكذبين(ابن عاشور،1980).

ثانيا: تغيير عائد إلى اتّصال الفعل بمتعلقات متّصلة متغايرة كقوله تعالى:﴿ اقْرَأْ بِاسْـمِ رَبِّـكَ الَّـذِي خَلَـقَ* خَلَقَ الإنسَانَ مِنْ عَلَقٍ*اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ*الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ*عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ*كَلاَّ إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَى﴾(القلم،1 ـ 7).

فالـتّرديد حصـل بين الدّال الأوّل"علّم"، والّذي تعلق بما بعده من خلال مفعولي "علّـم"، واللذيـن حذفا وقدّر"علّم ناسا الكتابة"، فيتجه المعنى من خلال السّياق إلى عموم الكتابة، أمّا الدّال المردد" علّم الإنسان"، تعلق بمفردة جديدة لم تذكر في الدّال الأوّل وهـي"الإنسـان"، ليخصّه الله تعالى بالعلم إتماما لنعمة الرّبوبيّة عليه، وبهذا يكـون الـدّال الأوّل أفاد العمومية، لينقل بعدها السّياق من خلال الدّال المردد إلى تأكـيد خصوصيّة العلم بالإنسان، وبهذا يحصل التّطابق الدّلالي ما بين الدّال الأوّل والـدّال المردد(ابن عاشور،1980). وورد في الآيات المكية أنماطا مشابهة لذلك(الأحقاف، الزخرف، فصلت،النمل،الجاثية).

ثالثا:اختلاف يعود في تحولات الفعل الزمانية"الماضي، المضارع الأمر"، ومنه تـرديد بين الأمر والماضي والمضارع كقوله تعالى:﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلآئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إَلاَّ إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴾(الإسراء،61).

اسجدوا .... أمر

سجدوا .... ماضي

أأسجد .... مضارع

وبهذا التّرديد تتعمق دلالة السّياق مـن خلال لفظ "السّجـود"الّذي تناوب على السّياق بتحولات زمانية مختلفة،فالدّال الأوّل"اسجدوا" أمر يشمل جميع الخلائق وقت خلـق آدم، فكـان التّنفـيذ وقـت الأمـر مـن الملائكة، مما جعل السّيـاق يأتي بصـيغة الماضي"سجدوا"، أما إبليس الّذي يستنكر السّجود؛ لأنّه أفضل في الخلق من آدم فلم يسجد للأمر وأخذ يستفهم فعبر السّياق بالحاضر المستمر الذي لا ينقطع حـتى قـيام السّـاعة لدوام المعصية النّاتجة من عدم السّجود(ابن عاشور،1980). ومن الصّور التّرديد بين الماضي والمضارع كقوله تعالى:

﴿ وَلَـوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنْ هَـذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ وَقَالُواْ لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ الأمْرُ ثُمَّ لاَ يُنظَرُونَ * وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلاً وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا

يَلْبِسُونَ * وَلَقَدِ اسْتُهْزِىءَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِؤُونَ ﴾(الأنعام،7 ـ 10).

للبسنا.........عليه ...

يلبسون ....

فنجد من البناء التّركيبي للآيات في جملة الدّال الأوّل، والدّال المردد احتباك في المعنى على المستوى العميق للسّياق؛ لأن كلا اللّبسين هو بتقدير من الله عزّ وجل،فحرمهم التّوفيق، فالتّقدير وللبسنا عليهم في شأن الملك المنزل(ابن عاشور،1980).

والسّياق في جملة الدّال الأوّل والدّال المردد منظور منه إلى حمل اقتراحهم على ظاهر حاله من إرادتهم الاستدلال، فلذلك امتدّ سياق الآية على مستوى السّطح والعمق وأجيبوا عن كلامهم إرخاء للعنان، وإلاّ فإنّهم أرادوا بكلامهم التّعجيز والاستهزاء فعقب على ذلك بقوله: "ولقد استهزىء برسل من قبلك"(الزمخشري،د.ت،146).

ثانيا:مستوى ترديد الأسماء:

يتكرر أسلوب ترديد الأسماء بشكل لافت في الآيات والسّور المكيّة، وترى الدّراسة أنّه يأتي في المرتبة الأولى بعد مستوى ترديد الأفعال، ويرد هذا المستوى من خلال صورتين: الصّورة الأولى:أن تأتي الدّوال المرددة في مرتبة التّعلق النّحوي، مختلفة عن بعضها تبعا لاختلاف التّعلق فيما بينها كما في قوله تعالى:﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلاً *وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾(الإسراء،84 ـ 85).

فالدّال الأوّل"الرّوح"متعلق بـ"يسألونك"، بينما الدّال المردد متعلق بالجواب"قل"،وهذا الاختلاف في التّعلق على المستوى السّطحي أدى إلى تلاحم الروابط بين متعلقي الدّال المردد،فلا بدَّ أن يكون لكل سؤال جواب، فالّذين يسألون عن الرّوح أجيبوا بمن يقول: "الرّوح من أمر ربي"، فالإجابة أحدثت اتّصالا وترابطا أدّى إلى توثيق البناء التّركيبي للآيات من خلال موضوعها والآيات الّتي سبقتها،واللاّحقة لها(ابن عاشور،1980). وقد تنحرف دلالة التّعلق النّحوي من الإضافة

إلـــى جرها بالعامل مباشرة بحرف الجر، ويتردد ذلك من خلال الدّال الأول والدّال المـــردد فـــي قوله تعالى:﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ ﴾(النحل،111).

فـــالدّال الأول"نفـــس"وقـــع مضافا إلى"كل"، وهي بمعنى الذّات والشّخص كقوله تعـــالى: "إنّ الـــنّفس بالـــنفس"، و"النّفس"في الدّال المردد وقعت ومن خلال الموقع الإعرابـــي مجرورة، ويشير الدّال من خلال الجر إلى شخص الشّخص، فالاختلاف بيـــن الدّاليـــن بالاعتـــبار، ولكن التّرديد بين الدّالين ينتج دلالة على مستوى السّطح والعمـــق السّـــياقي للآية مفادها أن إتيان النّفس من خلال ذاتها يختلف عن المجادلة والدّفـــاع عنها، فيتلاحم المجيء مع المدافعة حتى توفى كل نفس حقها عند الله عزّ وجل(ابن عاشور،1980).

وتتلاقى بنية ترديد الأسماء مع مستوى تكرار رؤوس الآيات، مشكلة من خلال ذلـــك بنـــية تركيبيّة مميزة في السّور المكيّة والقرآن الكريم كقوله تعالى:﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُـــم مِّـــن طِيـــنٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلاً وَأَجَلٌ مُّسمًّى عِندَهُ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ*وَهُوَ اللّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ (الأنعام،2 ـــ 3).

الذي خلقكم من طين..............

هو....

الله في السماوات وفي الأرض......

فالخطـــاب فـــي الآيـــة موجـــه إلى الّذين كفروا، لذلك أتى بالدّال الأول من خلال الضّـــمير المنفصـــل"هو"، ليحقق من خلاله تعـــريف المســـند والمسند إليه معا من خـــلال أسـلوب القصـــر فـــي ركنـــي الإســـناد وما تعلق بهما، أي هو خالقكم لا غيره،فينســـحب بعد ذلك حكم القصر على المقصور من خلال جملة"ثم قضى أجلا وأجـــل مســـمى"، أما الدّال المردد"هو الله"، فمتعلق بجملة الدّال الأول؛ لأنّ الجملة معطوفـــة على جملة الدّال الأول، فيكون السّياق اتجه بخطابه من خلال العطف إلى جمـــيع السّـــامعين،فيدخل فيه الكافرون، وهم المقصود الأول من هذا الخطاب؛ لأنّه تعليم وإيقاظ وتذكير بالنّسبة إليهم وغير الكافرين، وبهذا البناء التّركيبي اتّجه النّص مـــن الخـــاص إلـــى العـــام ليوضـــح الحقـــيقة الكـــبرى أنّه خالقكم، ويعلم سركم

وجهــركم(ابــن عاشــور،1980). أما الصّورة الثّانية: أنْ تأتي الأسماء المرددة في نفس مرتــبة التّعلــيق النّحوي، ولكن باختلاف العامل،فالدّال الأوّل إن أتى مجرورا، فإنّ الدال المردد يأتي مجرورا لعامل آخر كقوله تعالى:

﴿ وَقَــالَ الشَّــيْطَانُ لَمَّــا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومُواْ أَنفُسَكُم مَّا أَنَاْ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾(إبراهيم،22).

ما أنا .... بمصرخكم..........

وما أنتم .... بمصرخي........

فهــذا الــتّوازي الّذي حصل من خلال التّرديد، والإيقاع الصّوتي لتقسيم الجمل الظّرفــية مــن خــلال الجار والمجرور أحدث إيقاعا وضّح حالة الشّيطان، وحالة أتباعه،فنفى عن نفسه اللّوم للآخرين"ما أنا بمصرخكم"، ثم نهاهم عن لومه في جملة الــدّال المــردد"وما أنتم بمصرخي"، من خلال عطف الدّال المردد على جملة الدّال الأول،لبــيان أنّ عملية الاستغاثة من خلال الصّراخ لا تجدي من الفريقين، فكلاهما لا يســتطيع أن يدفــع الضّــرر عن نفسه(ابن عاشور،1980). ويأتي من مستوى ترديد الأســماء التّقســيم المــتّوازي المبني على التّعليق النّحوي باختلاف العامل كقوله تعــالى:﴿ نُسَــارِعُ لَهُــمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لا يَشْعُرُونَ*إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ*وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لا يُشْرِكُونَ﴾(المؤمنون،56 ـــ 59).

نجــد من خلال البناء التّركيبي للآيات أن الاسم الموصول"الّذين"تردد لأكثر من مــرة في الآية، دون الاكتفاء بعطف الصّلات على بعضها؛ لأنّ المقصود من سياق التّرديد تقسيم كلّ فريق على انفراد اتّصف بهذه الصفات، فأهل الإيمان ومن اتّصف بهذه الصّفات كثر لا يعلمهم إلاّ الله(ابن عاشور،1980). ومنه قوله تعالى:﴿ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ*بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ﴾(القمر،45 ـــ 46).

بل السّاعة موعدهم ......

و .....

والسّاعة أدهى وأمر .....

فالبـــناء الـــتجريدي يؤكد ترديد"الســـّاعة"، ليمتد مـــن خلاله على مستوى السّطح إلـــى"موعدهم"في الدّال الأوّل، و"أدهى وأمر"في الدّال المردد لقصد التّهويل، فتكون جملـــة الـــدّال المـــردد من خلال المتعلقات النّحوية ــ العطف ــ خبرا في المعنى مســـتقلا عن الخبر الأوّل، فيسير سياقه مسير المثل المتضمن معنى التهويل. ويرد هـــذا البـــناء في قوله تعالى:﴿ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِـــنُونَ*أُولَـــئِكَ عَلَـــى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾(لقمان،4 ــ 5). فالتّقسيم واضح بين جملة الدّال الأوّل"وأولئك على هدى من ربّهم"، والدّال المردد"وأولئك هم المفلحون"، ليعطي السّياق عمقا دلاليّا من خلال التّأكيد على أنّ الّذين"يقيمون الصّلاة ويؤتون الزّكاة"هؤلاء على الهدى والفلاح من ربهم(ابن عاشور،1980). ويأتي هذا البناء فـــي قوله تعالى:﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَـــوْمَ الْجَمْـــعِ لا رَيْـــبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ*﴾(الشورى،7). فنلاحظ خاصية التّوازي التي نشأت من خلال ترديد المفردة " فريق "

في الجنّة

فـــ" فريق ".....

في النّار

فهذا التّوازي الّذي نشأ من خلال التّرديد والإيقاع الصّوتي أدّى إلى تقسيم الإيقاع ووضّح حالة الجزاء يوم القيامة، والّتي لا تخرج عن هاتين الحالتين فريق بما عمل فـــي"الجنّة"، وفريق بما عمل في"النّار"(ابن عاشور،1980). وقد يحدث التّرديد بين دالين يتسلط عليهما عاملين مختلفين أحدهما مثبت والآخر منفي من خلال العامل المتسلّط علـــى الدّال المردد كقوله تعالى﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الأَرْضِ لِيُخْرِجوكَ مِنْهَا وَإِذًا لاَّ يَلْبَـــثُونَ خِلافَـــكَ إِلاَّ قَلِيلاً*سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلاَ تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلاً *﴾(الإسراء،76 ــ 77).

الدّال الأوّل :"سنّة:من قد أرسلنا........

الدّال المردد:"ولا تجد"لسنتنا"تحويلا.

فسنة الله الواردة في الدّال الأوّل واحدة، وإن اختلف المرسل لهذه السّنة، ولذلك عـــبر عـــن هـــذه السُّـــنة بحـــرف التّحقـــيق"قـــد"، فيأتي بعد حرف التّحقيق الدّال

المردد"لسنتنا"، ليؤكد من خلال النفي للسامع الوارد إليه الخبر أنّ السّنة التي جاءت بهـا الرسـل سـنة واحـدة لا تحول عنها، وأنّ الخبر حاصل على يقينه. أما قوله تعالى:﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاء وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴾(الروم،54). يشير سياق الآية إلى تسلط فعلين متوازيين من ناحية الرتّبة العامليّة،فكلاهما فعل ماض"خلقكم .... وجعل"،ليدلا على عظمة خلق الخالق(ابن عاشور،1980).

فبنية التّوازي بين الفعلين حدثت من ناحية الفعل الأول"خلق"، ليتسلّط من خلال هـذا الـتّوازي علـى الدّال الأول والدّال المردد، وعند التّدقيق في البناء التركيبي للآيـات نجـد أنّ"قوة، وضعف"نكرتين أفادتا النّوعية، فـ"ضعف"المذكورة ثانيا هي عيـن"ضـعف"المذكـورة أوّلا، و"قـوة"المذكـورة ثانـيا هـي عين"قوة"المذكورة أوّلا،وبهـذا الإيقـاع الدّلالـي للألفاظ يكون دليلا على قدرة الخلق، والبعث لله عز وجل(القرعان،1994).

وقـد يكون الدّال المردد معطوفا على عامل واحد مع تعلق تابع مختلف كالاسم الموصـول فـي قولـه تعالى﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلا مَن شَاء اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُم قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾(الزمر،68).

من في السماوات

فصعق ......

ومن في الأرض...

فـالعطف جمـع بيـن الدّاليـن تفصيل يوم القيامة من تهويل، وتمثيل لمجموع الأحوال،ممـا ينذر الكافرين، ويبشّر المؤمنين، ويذّكر بإقامة العدل والحق، فالتأخير والتّقديم بين متعلقات الدّال الأول، والدّال المردّ "السّماوات والأرض"كان بسبب زمن وقت الصّعق. مما جعل السّياق يأتي بصيغة الماضي من خلال الفعل"صعق"، ليؤكد مـن هذه الصيغة أنّ يوم القيامة محقق الوقوع(ابن عاشور،1980). التّرديد يفصّل نتائج الصعق حسب أوليّة الخلق، ففي الدّال الأول يصعق" من" في السّماوات، وفي الدّال المـردد"من" في الأرض، لكن سياق الصّعق من خلال الآية يستثني بعض من شاء الله عدم صعقه(مغنية،1981،الطبرسي،1986).

وقــد يأتـــي اسم الإشارة المردد معطوفا على عامل واحد مع تعلق تابع مختلف كقوـــله تعـــالى:﴿ وَجَعَلُـــواْ لِلّهِ مِمِّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُواْ هَـــذَا لِلّهِ بِـــزَعْمِهِمْ وَهَـــــذَا لِشُـــرَكَآئِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلاَ يَصِلُ إِلَى اللّهِ وَمَا كَانَ لِلّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَآئِهِمْ سَاء مَا يَحْكُمُونَ * ﴾(الأنعام،136).

هذا لله......

قالوا .....

وهذا لشركائنا.....

والعطـــف فـــي جملة الدّال الأوّل، والدّال المردد أفاد الصّرف والتّقسيم من خلال الفعـــل المتسلّط على جملة السّياق"جعلوا "فالدّال الأوّل" هذا لله" إشارة إلى النّصيب المعيـــن لله عـــز وجـــل، أما الدّال المردد"هذا لشركائنا" إشارة إلى النّصيب المعين للشّركاء، واسما الإشارة يشار بكل واحد منهما إلى أحد النّصيبين على الإجمال، إذ لا غـــرض فـــي مقـــام السّـــياق الدّلالـــي فـــي تعييـــن ما جعلوه لله، وما جعلوه لشـــركائهم،فاختار مـــن أجل ذلك المعنى العميق من خلال الفعل" ذرأ" للدّلالة على المعنى المراد، فالمقصود من الإشارة ومن خلال إيقاع التّقسيم بيان شرائعهم الفاسدة في نتائج أموالهم، فجعلوا لله نصيبا، ولغيره نصيبا آخر(الزمخشري،د.ت).

فالتّقســـيم يعطـــي السّياق من خلال الدّال الأوّل، والدّال المردد شموليّة شركهم بالله، فعبّر عنها بقوله:"ساء ما يحكمون"(ابن عاشور،1980) ، وقد تتسع المسافة السّطحية بيـــن المـــتعلق، والدّال المردد في سياق التّرديد من خلال الاسم الموصول في قوله تعالى:﴿ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِؤُونَ﴾(النحل،34).

فأصابهم سيئات

... ما

وحاق بهم.....

فـــالدّال المـــردد الاســـم الموصول في"ما كانوا به يستهزءون"، وقع من خلال السّياق في جملة مترابطة بنائيا من خلال الفعل"حاق"للدّلالة على تمكن العذاب منهم وعـــدم إفلاته لأحد منهم، فالدّال المردد من خلال الفعل حاق اتصال للدّال الأوّل من جهـــة السّـــطح والعمق السّياقي، فالجزاء الّذي أصابهم والّذي عبر عنه الدّال الأوّل كـــان ســـببه"سيئات ما عملوا"، عندها أحاط بهم العذاب الّذي كانوا به يستهزءون.

فالخطـــاب موجــه من هذا السّياق الدّلالي إلى المشّركين الّذين أنكروا الوحدانيّة لله تعالى فأصابهم من ذلك النّكران العذاب المحيط(ابن عاشور،1980).

وتتشـــكل بنية التّرديد مع بنية التّكرار في السياق المكيّ، ليشكلا بنية مميزة كما فـــي قولـــه تعـــالى:﴿ فَأَصْــحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ*وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْــحَابُ الْمَشْــأَمَةِ*وَالسَّــابِقُونَ السَّابِقُونَ*أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴾(الواقعة،8 ــ 11). فالبناء التّركيبـــي أفاد التّقسيم والتّصنيف: صنف منهم أصحاب الميمنة وهم أصحاب الجنّة مـــن الجهـــة اليمـــنى،"واليمن جهة عناية وكرامة في العرف واشتق من اليمن أي البركة "(ابن عاشور،1980،286)،وصنف وهو الدّال المردّد"أصحاب المشئمة"وهياسم جهة مشتق من"الشّؤم،وهو ضد اليمين والشّؤم الضّر وعدم النّفع "(ابن عاشور،1980،286).وقد سميا في الآية "أصحاب اليّمين"و"أصحابالشّمال، فجعل الشّمال ضد اليمين، كما جعل المشأمة ضد الميمنة إشعاراً بأنّ حالهم حال شؤم وسوء.

ويشـــيرالبناء التّركيبـــي كذلـــك إلى إظهار لفظي" أصحاب الميمنة "و "أصحاب المشئمة" بعد الاستفهام دون الإتيان بضميريهما، لأنّ مقام التّعجب، والتّشهير يقتضي الإظهار، وعدم الإضمار، وبهذا الأسلوب يكون البناء التّركيبي للآية قد أفاد السّامع قـــدرة علـــى التّمـــيز مـــن خـــلال أســـلوب التّعجب والاستفهام الّذي تعلق بالدّال الأول،والدّال المردد"(ابن عاشور،1980). ويأتي قوله تعالى:﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾(لقمان،12).

فـــالدّال الأول فـــي هذا البناء التّركيبي للآية لفظ الجلالة"الله"، والّذي تسلط عليه فعـــل الأمـــر"اشكر"، فشكر الله من الحكمة،والحكمة تدعو إلى معرفة حقائق الأشياء علـــى حقيقتها لقصد العمل بمقتضى العلم،ولذلك جيء بصيغة نفع الشّكر في الثّبوت للشّـــاكر" فإنّمـــا يشـــكر لنفســـه"؛لأنّ لام التّعليل المتصلة بنفسه مؤذنة بفائدة شكر الله،فـــيكون الـــدّال الأول حقّـــق من خلال البناء التّركيبي المتّصل به تخصيص الله بالشّـــكر. أمّا الدّال المردد ومن خلال بناءه التّركيبي، فإنّه يتعاكس من ناحية الدّلالة مـــع الـــدّال الأول،فالكفـــر يتـــنافى مـــع الشّـــكر لله،ولذلـــك البـــناء جيء بالفعل المضارع"يشكر"لبيان استمراريّة الشّكر لله،واستمرار غنى الله عن الكائنات،فإضفاء الشّكر والتّعظيم لله ناتجه من خلال نسبة الشّكر إليه وتعلق الشّكر بالله وحده.

ثالثا:مستوى ترديد الحرف:

لقـد تميز الحرف القرآنيّ بوظيفة معنويّة مكثّفة في السّور المكيّة والمدنيّة على السّـواء، حيـث لا يقوم حرف مكان حرف آخر يرادفه في المعنى، أو يقترب من معنـاه، فمستوى ترديد الحرف يقوم على ترديد حروف المعاني والعطف أكثر من مرة (الأسعد،1999)، فيتغيّر المعنى تبعا لتغيّر المتعلّق المتّصل من ناحية المعنى بالدّال المـردد كقولـه تعـالى:﴿ لأُقَطِّعَـنَّ أَيْدِيَكُـمْ وَأَرْجُلَكُـم مِّـنْ خِلاَفٍ ثُمَّ لأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾(الأعراف،124).

لأقطّعن ....

لأصلّبنكم ....

فـترديد حرف القسم في جملة الدّال المردد" لأصلّبنكم" قد عمق مؤدى الفعل في الذهـن والشعور، ليصبح الفعل من خلال الترديد أكثر حكما، وأشد إيلاما، أما الدّال الأوّل" لأقطّعـن"،فهـو تخصـيص للحكـم بقطع الأيدي والأرجل، فترديد الحرف مـن خـلال الـدّال الأوّل والـدّال المـردد عمّـق الحكم ليتجه به من الجزء إلى الكلّ"(ابن عاشور،1980).

وتـتوالى صور ترديد الحرف للأحداث القرآنيّة وخاصة ترديد حروف العطف فـي قوله تعالى:﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ*وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ*وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ*وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ*وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ*وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ*وَإِذَا الْمَـوْؤُودَةُ سُئِلَتْ ﴾ (الـتكوير،1 ــ 8). فالبناء التّركيبي للعطف يتوالى من خلال الصّور المفـزعة من خلال سياق الآية، فالعطف أفاد التّساوي بين البناء التّركيبي، ووحدة الـرّوي فـي الفواصل جميعا، فحـرف العطف استحضـر إلى المخيلة جوّ القيامة بكـل جزئـياتها: سماء ونجوما وجبالا ووحوشا وبشرا قتلى وقتلة، واستحضر جوّ الحساب صحفا وجحيما وجنّة ونفوسا"(ابن عاشور،1980).

وقـد يأتـي ترديد حرف العطف من خلال التّوازي الإيقاعيّ في الآيات ذوات الصّيغ التّركيبية الواحدة كقوله تعالى:﴿ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا*وَالْقَمَرِ إِذَا تَلاهَا*وَالنَّهَارِ إِذَا جَلاَّهَـا*وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا*وَالسَّمَاء وَمَا بَنَاهَا*وَالأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا*وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾(الشمس،1 ــ 8).

والقمر إذا تلاها ....

والنّهار إذا جلاها ....

والليل إذا يغشاها..........

والسّماء وما بناها.........

والأرض وما طحاها......

ونفس وما سواها.........

فألهمها فجورها وتقواها..

فالبداية بالقسم من خلال"والشّمس"، والانتهاء بالفعل"فألهمها"مع ضميره،وبترديد حرف العطف والقسم على مستوى السّياق السّطحي أنتج إيقاعا صاخبا يتناسب والمعنى العام للآية، بالإضافة إلى تولّد الموسيقى العاليّة ولهذا يقول سيد قطب:

"إنالنّسق القرآنيّ قد جمع بين مزايا النّثر والشّعر جميعا،فقد أعفى التّعبير من قيود القافيّة الموحدة،والتّفعيلات التّامة،فنال بذلك حرية التّعبير الكاملة عن جميع أغراضه العامة،وأخذ في الوقت ذاته من الشّعر الموسيقى الدّاخلية،وقرائن الفواصل المتقاربة في الوزن الّتي تغني عن التّفاعيل،والتّقفية "(قطب،1956،75 ــ 76).

ومن حديث سيد قطب ترى الدّراسة أنّ موسيقى القرآن ترجع إلى أمور القرائن المتقاربة في الوزن، مما يجعل ورود هذه القرائن الموسيقيّة أشبه بدور التّفاعيل في البحور الشّعرية. وينتج الإيقاع الحرفيّ من خلال ترديد حرف الجرّ والتّوكيد في قوله تعالى:

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ*وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ*وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ*وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (الروم،20 ــ 24).

ومن آياته أن خلق لكم ....إنّ في ذلك لآيات لقوم يتفكرون

ومن آياته خلق السماوات ....إنّ في ذلك لآيات للعالمين

ومن آياته منامكم بالليل .... إنّ في ذلك لآيات لقوم يسمعون

ومن آياته يريكم البرق .... إنّ في ذلك لآيات لقوم يعقلون

فالدّال الأول حرف الجر"من" يتردد في بداية الآيات، كتردد حرف التّوكيد"إنّ"في نهاية الآيات، وفي ترديد حرف الجر ،وحرف التّوكيد يحدث توحد الإيقاع، باختلاف المعنى في الآيات، ويحدث منه بما يشبه التّلون الموسيقي النّاتج من تلّون آيات الخلق،ومن خلال توحد الإيقاع والتّلون الموسيقي يحدث الإيقاع نفسه الّذي يشعرنا بعظمة خلق الله عز وجل"(ابن عاشور،1980).

ويتردد حرف النّفي في الآيات المكيّة من خلال التّقابل اللّفظي كقوله تعالى:﴿ ثُمَّ لا يَمُوتُ فِيهَا وَلا يَحْيَا﴾(الأعلى،13). فسياق الآية يثبت أنّ الدّال الأول"لا يموت"، والدّال المردد"لا يحيا" يقعان في التّضاد اللّفظي السّلبي من خلال حرف النّفي " لا" فمرادف"لا يموت"هو" يحيا"،ومرادف"لا يحيا"هو"يموت"فالدّالان متضادان،ولكن مستوى العبارة هوى الّذي يوجّه المعنى في هذا التّقابل، إذ أنّ ترديد النّفي مرّتين مع يموت، ومرتين مع ويحيا الرّديفين، ومن البناء التركيبي يصبح الرّديف لكلمة" لايموت "متماثلا مع مرادف كلمة" لا يحيا "، ويمكن توليد مرادف آخر للمرادف وهكذا تصبح المرادفات سلسلة لا تنتهي، فالتّقابل من خلال ترديد حرف النّفي يشير إلى الحياة والموت اللّذين لا ينتهيان في الإحداث(القرعان،1994).

والصّورة الأخرى لترديد الحرف اتساع الدّلالة باتساع تسلط الدّال على متعلقات مختلفة تبدأ بالعام، ثم تتجزّأ إلى الخاص كقوله تعالى:﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّى مِن قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾(غافر،67).

خلقكم من تراب

ثمّ من نطفة

ثمّ من علقة

ثمّ يخرجكم طفلا

البنى،فنجعل"لنّوى"ينبثق من الحب، و"الحيّ" ينبثق من"الميّت"، ويؤكد ذلك حرف الجر"من"عندما يربط الفعل المحوري"يخرج"في التّركيب النّحوي، لينطلق السّياق إلى تصعيد معنى الفلق والإخراج من خلال بنية الدّال المعكوس"مخرج الميّت من الحيّ"(القرعان،1994).

ويأتي من مستوى الأفعال التّأسيسية قوله تعالى:﴿ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُسَمًّى أَلا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ﴾(الزمر،5). فالدّال الأول من خلال السّياق يقدم"الليل" على"النّهار"، والدّال المنعكس يقدم"النّهار"على"الليل"، فنلحظ من جملة الدّال الأول علاقة التّضاد ما بين النّهار والليل من خلال الدّال الأول، والدّال المنعكس وذلك على المستوى الأفقي:(القرعان،1994).

"الجملة التّأسيسية الأولى :" يكوّر اللّيل على النّهار "

الجملة التّأسيسية الثّانية:"ويكوّر النّهار على الليل""(الأسعد،1999).

أمّا على المستوى العمودي فإنّنا نلمس العكس بين"الليل" من النّسق الأول،و"النّهار"من النّسق الثّاني، و"النّهار"من النّسق الأول، والليل من النّسق الثّاني(الخالدي،2000)على الشّكل التّالي:

يكوّر....

الليل....

النّهار...

ويكوّر...

النّهار...

الليل....

فالبناء الأفقيّ والعمودي لبنية العكس والتّبديل في الآية، بيان في مقام الاستدلال، أو الامتنان لله عزّ وجل،لذلك جاء السّياق بالفعل المضارع"يكوّر" للدّلالة على تجدد الليل والنّهار وتكرره دون توقف، فيقول ابن عاشور: "التكوير حالة غير مشاهدة، وإنّما المشاهد أثرها، وتجدد الأثر يدل على تجدد التّأثير"(ابن عاشور،1980،328).

وتلتقـــي بنـــية العكـــس والتّـــبديل مع تكرار رؤوس الآيات من خلال الأفعال التّأسيسية كقوله تعالى:

﴿ قَـــالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ*وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَن نَّكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الأَغْلالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾(سبأ،32 ــ33).

ويبين الشّكل التالي بنية العكس والتّبديل:

قال الّذين استكبروا للّذين استضعفوا ......

قال الّذين استضعفوا للذين استكبروا........

فالجزئـــية الأولـــى من بنية العكس الفعل الماضي"استكبروا"، وهو من الأفعال المبنية للمعلوم، ليكون البيان كالمبين بها لاستحضار حالة القول، أمّا الجزئية الثّانية الفعل المبني للمجهول"استضعفوا"، وحال المعنى من الجزئية الأوّلى، والثّانية حالنا وحـــالكم ســـواء. فكـــل فـــريق يـــتحمل تـــبعة أعماله، فإنّ كلا الفريقين في الدّال الأول،والدّال المنعكس كان معرضا عن الإيما،وهذا الاستدلال، الّذي أكد عليه الدّال المعكوس مكابرة منهم وبهتان، فقول المستضعفين في الدّال المكرر المعكوس انقلب جوابـــا عن تبرؤ المستكبرين من أن يكونوا صدّوا المستضعفين عن الهدى، ولذلك جيء في الدّال المردد بالفعل المبني للمجهول " استضعفوا"(القنوجي،1989) .

ومـــن مســـتوى الأفعـــال التّأسيســـية مجـــيء فعـــل متكرر وشبه جملة، فيتم تثبيتهما،وعكس المتعلقات خلالهما كقوله تعالى﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِـــن بَعْـــدِ ضَـــعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاء وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴾(الروم،54).

الجملة التأسيسية:جعل : من بعد ضعف قوة ....

الفعل وشبه الجملة المكررين :جعل من بعد قوة ضعفا........

فالعكس والتّبديل الوارد في البناء، بيان أطوار نشأة الإنسان على الأرض متّسعا بها إلى نهايتها، فمادة الإنسان الّتي خلق منها مادة ضـــعيفة، وهذا ما أكّد عليه الدّال الأوّل" وجعل من بعد ضعف قوّة"، أمّا الصّورة المقارنة المنعكسة" جعل من بعد قوّة

ضـــعفا"،فهو تأكيد القوة الجسميّة بعد الضّعف، لينحدر الإنسان في مرحلة لاحقة إلى الضـــعف الثّانـــي والمتمـــثل بالشّيب، فالشّيخوخة انحدار إلى مرحلة الضعف بكل ظواهرها.

فهـــذه الأطوار الّتي يؤكد عليها الدّال الأوّل والدّال المنعكس لتشهد شهادة بأنّها فـــي قبضـــة مدبّرة، تخلق ما تشاء(قطب،1983).فالضّعف تكرّر ثلاث مرات: مرّة مع الفعل"خلقكم"، ومرّتين مع الفعل جعل ليدلّ هذا التّكرار على أنّ صفة الضّعف ألصق بالإنســـان مـــن صـــفة القوة الّتي تكررت مرتين مع الفعل"جعل"ليحصل التّضاد ما بيـــن"القـــوة"،"والضـــعف"من خلال الدالّ والدّال المكّرر المنعكس،فعندها تكون بنية العكس والتّبديل أنسب لبيان العلاقة ما بين القوة، والضّعف.

أمّـــا المســـتوى الثّاني لبنية العكس والتّبديل فهو الاعتماد على جملة تأسيسيّة ثم عكســـها دون التّقـــيد بثـــبات مفـــرداتها ســـواء بالزّيادة أو بالحذف أو بالتّغيير في بنيتها،ويرد في السّور المكيّة بمستويات أكثر من المستوى الأوّل كقوله تعالى:

﴿ قَـالَ ادْخُلُواْ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّن الْجِنِّ وَالإِنسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَـتْ أُمَّـةٌ لَّعَنَـتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لأُولاَهُـمْ رَبَّـنَا هَـؤُلاء أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَـكِن لاَّ تَعْلَمُونَ*وَقَالَتْ أُولاَهُمْ لأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُواْ الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾(الأعراف،38 ــ 39).

فالجملة التّأسيسيّة مكوّنة من جزئين:

الجزء الأول: قالت أخراهم لأولاهم.......الجزء الثاني: ربّنا هؤلاء أضلونا

والجملة المنعكسة مكّونة من جزئين:

الجزء الأوّل :قالت أولاهم لأخراهم....الجزء الثّاني:فما كان لكم علينا من فضل

فبنـــية العكـــس توضـــح علـــى مستوى السّطح الأفقيّ أنّ لفظة"أخراهم"تكررت مرتيـــن:مرة في الدّال الأوّل فوقعت فاعل للفعل"قالت"، ومرّة ثانية تكررت في الدّال المـــنعكس فوقعـــت مجـــرورة، أمـــا لفظـــة"أخراهم"فإنّها تكررت مرتين مرة في الـــدّال الأوّل،فوقعـــت مجرورة،ومـــرّة ثانـــية فـــي الـــدّال المنعكس وقعت فاعلا للفعـــل"قـــال"(ابـــن أحمد،2001،القنوجي،1989) ليشكّل هذا البناء من بنية العكس جانبا من التّقابل والتّماثل للألفاظ،فالشّكل الأوّل يبين جانب التّماثل:"

قالت أخراهم لأولاهم.........وقالت أولاهم لأخراهم ....

ومن خلال البنية يتبيّن التّوافق اللفظي، والاختلاف في الموقع الإعرابيّ لكل دال من الدّوال المكررة، مما يحقق التّوافق الدّلالي لكل دال منهما والمتمثّل بالحوار في نـــار جهـــنم(ابـــن عاشور،1980). فيقول ابن عاشور في توضيح بنية العكس:"اللاّم الّتي اتصـــلت"بـــأولاهم"فـــي الدّال الأوّل أفادت العلّة؛ لأنّ قول الطّائفة الأولى موجه لله تعـــالى، أما اللاّم في الدّال المنعكس"لأخراهم"فقد أفادت التّخصيص لأنّ القول موجه إلى آخر طائفة تدخل النّار لتخصهم بالحديث"(ابن عاشور،1980،122)

فالتّقابل يحقق التّوافق الدّلالي من خلال بنية العكس، والمتمثل بالحوار الأوّل من الطّائفة الأولى مع الله عز وجل، والحوار الثّاني من خلال الطائفتين مع بعضهما في نـــار جهـــنم، ومـــن الحواريـــن تـــتعمق دلالـــة المعنى بوقوع العذاب عليهم يوم القـــيامة(ابن عاشور،1980).أمّا في قوله تعالى:﴿ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُون *وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاء يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَاكُمْ النَّارُ وَمَا لَكُـــم مِّـــن نَّاصِـــرِينَ ﴾(الجاثية،33 ـ 34).فقد جاء العكس والتّبديل في لفظة"يوم"ما بين الظّرفية في الدّال الأوّل،والإضافة في الدّال المنعكس على الشّكل التّالي :

وقيل : اليوم ننساكم ⟵ كما.......

نسيتم لقاء يومكم هذا...............

فـــتّكرار الظّـــرف في جملة الدّال الأوّل والدّال المنعكس دليل على أنّ الله عزّ وجل يعاملهم معاملة النّاسي لهم، أو كالشيء المنسي غير المبالى به ولذلك جاء بلفظ "كما" للدّلالة على حدوث النسيان في العذاب(الزحيلي،1991،ابن أحمد،2001).

ويأتي قوله تعالى:﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّـــي مِـــن لَّدُنـــكَ سُـــلْطَانًا نَّصِـــيرًا *وَقُلْ جَاء الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًـــا ﴾(الإسراء،80 ـ 81).ليوضح فكرة المستوى الثاني في حالة التّغيير والتّصرف فـــي بنية المفردات في الجملة المكررة المنعكسة. ففي هذه الآيات نلحظ أنّ الجملة التّأسيسية "زهق الباطل"، مكوّنة من فعل وفاعل،أما الجملة المنعكسة "إنّ الباطل كان زهوقا"فهي مكوّنة من اسم وخبر(الدره،1986)، فسياق التّكرار يركز على زهوق الباطل أمـــام قـــوة الحـــق، ولذلـــك لم يؤكد على قوة الحـــق، وإنّما اكتفى بالإخبار عن

مجيئه"وقل جاء الحق"، وأتبع ذلك بالإخبار عن أثر مجيئه على الباطل، حيث يزهق الباطل أمامه"زهق الباطل"، وهذه هي الحقيقة التي تريد الآية تقريرها بطرفيها"جاء الحق وزهق الباطل"، وبعد تقرير هذه الحقيقة أخبر عن قاعدة دائمة، وسنّة مطّردة،وصفة دائمة للباطل" إنّ الباطل كان زهوقا"وهذا المعنى لابد له من الصّفة المشبّهة"زهوقا"الّتي تشير إلى الصّفة الملازمة للباطل(القيسي،1996).

ويتأصل المستوى الثّاني من بنية العكس والتّبديل من خلال قوله تعالى:﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاء كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾(العنكبوت،41).فالانعكاس متبادل مع وجود مسافة مكانيّة علــى مستوى السّطح والعمق ما بين لفظ"العنكبوت"، "والبيت"، فتدل بنية الانعكاس على هوان القوى المرصودة في طريق دعوة الله عز وجل(قطب،1983).

بنية ردّ العجز على الصّدر:

بنية ردّ العجز على الصّدر من البنى الّتي تؤكد العلاقة السّطحية بين الدّالين المكررين، وتتشكل مفرداتها التّكرارية على المستوى الأفقي حيث"يرد اللّفظ في الكلام، ثم ينمو بعدها المعنى وصولا إلى خاتمة يتكرر فيها اللّفظ سواء اتّحد اللفظان في المعنى أو اختلفا فيه"(عبد المطلب،1994،299). ويعتبر إبراهيم سلامه ردّ العجز على الصدر ويقول رد العجز:

> " نابع من الذّوق العربيّ في الشّعر وأرجع الحسن فيه إلى نوع الدّلالة الّتي تهدف إلى التّقرير والتّبيين والتّدليل،وإلى ما فيه من زيادة المعنى الّتي ترجع إلى الاتحاد النّابع من اللفظ الأوّل بتوقع الثّاني،وهذا الإيحاء يذكر به عند الإنشاد،فهو رابط من روابط التّذكر،كما أنّ التّردد المتمثل في اللفظين يعطي لونا من الإيقاع الموسيقيّ يتقارب مع الغناء الّذي يطلب فيه يدركه السّامعون على البديهة بمجرد الإنشاد"(سلامه،1952،122).

ويذكر فضل حسن عباس أنّ بنية ردّ العجز على الصّدر ترد في الشّعر والنّثر وهو: "أن نأتي بلفظين مكررين أو متجانسين فنجعل أحدهما في أول الجملة والآخر في آخرها،أو أن يكون أحدهما في الشّطر الأوّل من الشّعر والثّاني

فـــي الشّـــطر الآخـــر، مـــع حدوث التّوافق بين اللفظين من حيث المادة اللّغوية أو الاختلاف"(عباس،1987،ج2،308)، ومن خلال اللّفظين المكرّرين يتم إغلاق النّسق اللّغوي علـــى المستوى الصّوتي والدّلالي، وهذا ما يجعل البلاغيين يعتبرون بنية ردّ العجز على الصّدر"من البنى التّكرارية المغلقة، أي إنّها تغلق أحداث علاقات سياقية جديدة بمفـــردات مـــا بعدها"(الأسعد،1999،113،عبد المطلب،1997،366،القرعان،1996،89 ــ 98). ولهذا تعـــتمد هذه البنية على أهمية البعد المكانيّ للدّلالة المكررة على المستوى التّركيبي للبنـــية اللّغوية، في إنتاج الإيقاع الصوتيّ لتردد الدّال داخل الجملة، وضمن مساحة قريبة نوع ما، ممّا يشير إلى أنّ هذه المماثلة في الصّورة والصّوت تؤدي إلى عمق فـــي الدّلالـــة وتماســـك ضـــمن دائـــرة مغلقـــة هي دائرة الجملة من البداية وحتى النّهاية"(الأسعد،1999).

ويلاحـــظ البلاغيون أهمية البعد المكانيّ، وبالنّظر لهذا البعد جعل البلاغيون"ردّ الأعجـــاز" فـــي مســـتويات مختلفة أهمها:المستوى الأول: الّذي تتسع فيه المساحة المكانـــيّة إلـــى أقصاها حيث يكون الدّال الأوّل في صدر الكلام، والثّاني في نهايته كقولـــه تعـــالى:﴿ ثُـــمَّ دَنَـــا فَـــتَدَلَّى *فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى *فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى *مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ﴾(النجم،8 ــ 11).

فأوحى .... ما أوحى........

فـــالدّال الأوّل جـــاء مـــن خـــلال"أوحـــى"في بداية الآية، ثم ختمت الآية بالدّال المكـــرر"أوحـــى"، فردّ النّهاية على البداية أكد معنى نزول الوحي عن الله تعالى، إذ كـــان المشركون ينفون نزول الوحي، فبيّن لهم إمكان الوحي بوصف طريقة الوحي إجمالا، وضمير أوحى في الدّالين عائد إلى الله تعالى، والمعنى فأوحى الله إلى عبده محمـــد صـــلى الله علـــيه وسلم. وهذا السياق كاف من خلال"ردّ الأعجاز"، لإثبات الإيحاء من أجل إبطال من ينكر عملية الوحي(قطـــب،1983،ابن عاشور،1980). ومنه قوله تعالى:﴿ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴾(الصافات،179،الذاريات،الواقعة).

أبصر ـــــــــــــــ يبصرون.

وقـــد تضـــيق فـــيه المسافة المكانية عن البداية شيئا ما، فيأتي الدال الأول منزاحا مســـافة بســـيطة نحـــو الـــدال المكـــرر، ممـــا يجعله ضمن المستوى الأول كقوله

تعالى: ﴿ فَذَكِّرْ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلا مَجْنُونٍ *أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ *قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُتَرَبِّصِينَ﴾(الطور،29 ــ 31).

ـــ تربّصوا ـــــــــــــ المتربّصين.....

فـــالقول الّـــذي تمثل بفعل الأمر"قل"في بداية الآية أزاح الدّال الأول عن مكانه مســافة بســيطة، ولذلــك وردت جملـــة الدّال الأول"قل تربصوا"، مفصولة بدون عطف؛لأنّهـــا وقعـــت فـــي مقـــام المحـــاورة. والأمر في الدّال الأول"تربصوا"أفاد التّســوية،أي ســواء عـــندي تربّصكم بي وعدمه، أمّا الدّال المكّرر" فإنّي معكم من المتربّصين"، فقد تأكد بـــ"إنّ"،لتنزيل المخاطبين منزلة من ينكر أنّه يتربّص بهم كما يتربّصـــون بـــه، فبنـــية ردّ العجـــز مـــن خـــلال معنى التّربص في الدّالين أغلق المعنى،وســـهّل الانـــتقال مـــن غرض إلى غرض آخر(قطب،1983). ومثّل هذا البناء التّركيبـــي يـــتكرر مـــرارا في الآيات المكيّة، ولكل بناء حالة مميزة.(الزخرف، الأنبياء القيامة،نوح، الحاقة، القصص، الطور، الواقعة).

أمّـــا المســـتوى الثّاني فتزداد فيه المساحة المكانيّة ضيقا، حيث يقع الدّال الأول في حشـــو الكـــلام، والـــدّال المكّرر في نهايته كقوله تعالى:﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَـــةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللّهُ وَلَـــكِن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾(النحل،33).

ـــــ وما ظلمهم ـــــــــــــ يظلمون.....

فالآية تشير من خلال مستوى بنية ردّ العجز إلى حرية التّدبر والتّفكر والاختيار من خلال عرض الآيات عليهم في الآفاق، وفي أنفسهم، وحذّرهم العاقبة ووكّلهم إلى عملهم،وإلـــى ســـنته الجاريـــة، فعـــبّر ســـياق البنية عن ذلك من خلال جملة الدّال الأول"ومـــا ظلمهـــم"في مصيرهم،ولكن كانوا أنفسهم"يظلمون"، فختم الآية بـــالفعل" يظلمون "(ابن قيم الجوزية،جمال الدين،1984،قطب،1983).

فالتّغيير ما بين الدّال الأول،والدّال المكرّر في بنية ردّ العجز من خلال الأسلوب يثـــير التّشـــويق إلـــى الخـــبر، وتهويله بأنّهم ظلمـــوا أنفسهم، وأنّ الله لم يظلمهم فيتـــرقب السّامع خبرا مفزعا يحصره الدّال المكرّر وهو﴿ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُواْ

وَحَـاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِؤُونَ ﴾(النحل،34). وكذلك قوله تعالى:﴿ وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَاْ بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴾(يونس،41).

"أنتم بريئون ممّا أعمل.......... وأنا بريء ممّا تعملون"

فجملة الدّال الأوّل"أنتم بريئون ممّا أعمل"تتكرّر مع تصريف بسيط في بنية الدّال المكـررّ"وأنـا بريء مما تعملون"، والجملة الأوّلى فاعلها ضمير مستتر عائد على الرسول عليه السلام، بينما الفعل في جملة الدّال المكّرر اسند إلى واو الجماعة،وهذا التّركيـب الأسـلوبيّ بيـن الـدّال الأوّل والدّال المكّرر لا يراد به صريحه، وإنّما يـراد بـه الكـناية عن المباعدة من خلال التّفصيل الّذي نسجه الدّال الأوّل والدّال المكـرر(ابـن عاشـور،1980). فالبنية أدت إلى تلاحم المعنى، فحيث يكون العمل يكون التّأيـيد أو الـبراءة، فسياق براءة الرّسول عليه السّلام من المشركين ينغلق السّياق اللّفظـي للـدّال المكـررّ(الأسعد،1999) . ومنه قوله تعـالى:﴿ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَـاتُنَا فَنَسِـيتَهَا وَكَذَلِـكَ الْيَوْمَ تُنسَى﴾(طه،126). إنّ هذه الآية تبدأ بالسّياق الّذي يكوّن علاقة التّماثل ما بين الدّالين المكررين في بنية ردّ العجز، فجملة"أتتك آياتنا"هو استحضار آيـات المشاهدة للمخاطب بها، ولكنّ التّكرار يشير إلى"النّسيان"، والمعنى هنا الكفر بهذه الآيات، ومن الدّال المكّرر"وكذلك اليوم تنسى"ينغلق المعنى ما بين الدّال الأوّل والـدّال المكـرّر علـى نسيان من يكفر بآيات الله عزّ وجل وليس النّسيان نسيان تـرك،وإنّما نسـيان مـن الـرحمة والمـزيد من العذاب؛لأنّه كفر بالله عزّ وجل وبآياته.ومثل هذا البناء يتكرر في السور المكيّة(الفجـر، الحاقة، الأنعام، الأعراف، هود).ومنه قوله تعالى:﴿ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِّن بَعْدِ ضَرَّاء مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلِ اللّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴾(يونس،21).

———— مكرا ———— تمكرون ....

بنية تشابه الأطراف:

مـن البّنى التّكرارية الّتي تعتمـد على "إعادة الشّاعر لفظ القافية في أوّل البيت الثّاني لها،أو يعيد النّاثر القرينة الأولى في أوّل القرينة الّتي تليها"(عبد المطلب،1997،36).

فالــتّكراريّة في هذه البنية ملحوظ فيها البعد المكانيّ في تجاوز الدّالين، رغم تمايز التّراكيــب التــي تضمّ كلاًّ منهما من حيث الختام والابتداء. وقد لاحظ ابن معصوم أهمــية هــذا اللون من التّكرار في تلاحم الدّلالة واتّصالها بين الأبيات، فيقول:"فيه دلالـــة على قدرة عرض الشّاعر، وتصرفه في الكلام وإطاعة الألفاظ له، ولا يخلو مـــع ذلـــك مـــن حسن موقع في السّمع والطّبع فإنّ معنى الشّعر أو القرائن يرتبط بـــه"(ابن معصوم،1969،50،عبد المطلب،1997،364). وهذا الارتباط الّذي يتحقق ما بين الدّال الأول،والــدّال المكـــرّر مـــن خــلال الانــتقال اللفظـــي الّذي يؤدي إلى مفاجأة المتلقـــي،وهذه المفاجـــأة تـــؤدي إلـــى"إحـــداث توافـــق شـــكلي، ومضموني بين البدء،والخـــتام" (عـــبد المطلـــب،1997،364)، ومن خلال ذلك يتم التّشكيل التّكراري على المستوى العمودي للأبنية التّركيبية(الأسعد،1999).

وتأتـــي بنـــية تشابه الأطراف من خلال مستويات بنائية مختلفة أولها: أنْ يأتي الدّال الأول"لفظة مفردة" في آخر الآية ثم يعادة اللفظ نفسه في مطلع الآية التي تليها دون زيـــادة أو تبديل أو تغيير كقوله تعالى:﴿ فَلْيَنظُرِ الإنسَانُ مِمَّ خُلِقَ*خُلِقَ مِن مَّاء دَافِقٍ*يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴾(الطارق،5 ــ 7).

..... خلق * خلق.....

فـــالدّال الأول الفعـــل"خلق"،تعلق به الاستفهام من أجل الإيقاظ، والتّنبيه إلى ما يجـــب علمـــه، أمّا الدّال المكرّر"خُلِق"،فهو إجابة السّؤال، ومفاجأة السّامع بأن خلق الإنســـان الثّانـــي مـــن ماء دافق، ليتعلق بعدها السّياق ويوضح كيفية الماء الدّافق بـــ"يخرج من بين الصّلب والتّرائب"، فبنية تشابه الأطراف من خلال الآية تؤكد أن الخلـــق عـــند الله عـــزّ وجـــل شـــيء هيـــن ســـواء أكـــان الخلـــق الأول أو الثّانـــي(الألوســـي،د.ت)،ومـــنه قوـــله تعالى:﴿ وَعْدَ اللَّهِ لا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ الــنَّاسِ لا يَعْلَمُـــونَ*يَعْلَمُـــونَ ظَاهِـــرًا مِّـــنَ الْحَـــيَاةِ الدُّنْـــيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴾(الروم،6 ــ 7).

فـــنلاحظ من خلال البناء التّركيبي للآية أنّ الفعل "يعلمون" تكرر في ختام الآية السّادســـة، ثم تكرر في بدء الآية السّابعة من سورة الرّوم، وبهذا التّكرار تلتقي بنية تشابه الأطراف مع بنية المجاورة، ولكن الفرق بينهما من حيث مفاجأة السّامع.

فـــالدّال الأوّل"لا يعلمـــون"جـــاء بالنفي ليثبت أنّ البشر لا يعلمون أنّ وعد الله حق،فيأتـــي الدّال المكّرر"يعلمون"، بالإثبات ليؤكد من خلال سياق الآية الثّانية أنّهم يعلمون علما قليلا من الحياة الدّنيا، فالدّال الأوّل والدّال المكرر يعمقان جهل الإنسان بما وعد الله عزّ وجل لهم في الآخرة من عذاب أو نعيم(الأندلسي،1985).

أمـــا المستوى الثّاني لبنية تشابه الأطراف: فتأتي فيه الجملة المكررة أو الدّوال المكـــررة فـــي آخر الآية، ثم تعاد في بداية الآية الّتي تليها مع وجود مساحة مكانيّة بسـيطة تفصـل بيـن الأطـراف المتشابهة، فلا يؤثر ذلك في إيقاع السّياق كقوله تعـالى:﴿ يَسْـأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ*يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ*ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنـتُم بِـهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾(الذاريات،12 ـ 14). فالبناء التّركيبي للآية يوضح أنّ الدّال الأوّل جاء من المضاف والمضاف إليه" يوم الدين"، والدّال المكّرر تشكل من الظّرف"يوم هـم"فالـتكرار النّاشـىء من إعادة الدّال المكرّر، يؤكد لفت الانتباه إلى متعلق"يوم الدين"من خلال الفتنة، ولم يقف هذا التعلق عند هذا الحدّ بل تجاوزه إلى جعل الفتنة عذابـا(مغنية،1981). فهذا التّعلق عمّق التّواصل البنائيّ ما بين"يوم الدّين"و"الفتنة"، فنتج عـنه عمـق فـي المسـتوى الدّلالـي، ممـا جعـل الدّال المكرر يتعلق بدلالات متغايرة،ولكـنّها متصـلة بـ" يوم الدين"، من خلال حديث الملائكة في الآية "ذوقوا فتنـتكم هذا الّذي كنتم به تستعجلون"، فبنية تشابه الأطراف ترصد واقع العذاب لمن تعجل وسخر من العذاب يوم القيامة(مغنية،1981) .

ومن المستوى الثّاني قوله تعالى:

﴿ ولَـوْلا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاء اللَّهُ لا قُوَّةَ إِلا بِاللَّهِ إِن تُرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِـنكَ مَـالا وَوَلَدًا*فَعَسَى رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْـبَانًا مِّـنَ السَّمَاء فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا*أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا ﴾(الكهف، 39 ــ 42).

فتصبح صعيد زلقا ....أو يصبح ماءها......

فـــالدّال الأوّل"فتصـــبح"تعلق من خلال دلالته السّطحية والعميقة بالأرض، وما علـــيها من شجر، أما الدّال المكرر"أو يصبح"، فقد تعلق بغور الماء بالأرض، ومما عمق هذا التّعلق حرف توكيد النفي"لن" ليزيد حصول تحقيق الغور(ابن عاشور،1980).

وكذلك قوله تعالى:﴿ وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَآئِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا*اقْرَأْ كَتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾(الإسراء،13 ـ 14).

أمّا المستوى الثّالث لتشابه الأطراف فيكون بأن تأتي الجملة المكررة في نفس الآية من خلال جملها المتعددة مع وجود مسافة مكانيّة بسيطة كقوله تعالى:﴿ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ*أُوْلَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾(لقمان،4 ـ 5).وهذا المستوى يتقارب من بنية التّكرار الخالص للمفردات،وكذلك من بنية المجاورة، إلاّ أنّ جملة الدّال الأول"أولئك على هدى من ربهم"، وصلت إلى ختامها،ثم جاءت جملة الدّال المكرر لتبدأ التّأكيد من خلال العطف والتّكرار، مكونة سياقا جديدا متواصلا بنائيا مع ما سبقه، ومتّسع دلاليا بمعنى جديد يؤكد المعنى الذي جاء به الدّال الأول(الأسعد،1999،الطبري،1984).

بنية المجاورة:

من البنى الّتي تعتمد التّرديد مع غياب المساحة المكانيّة الّتي تفصل بين الدّالين المكررين ضمن التّركيب السّياقي للجملة أفقيا(الأسعد،1999). ويشير محمد عبد المطلب إلى أنّ المستوى العميق في بنية التّجاور"يأخذ شكلا رأسيا نتيجة للتّراكم الدّلالي بفاعلية التّرديد التّجاوري الّذي يحيل المعنى إلى طبقات بعضها فوق بعض"(عبد المطلب،1997،369). فالتّجاور التّكراري في البنية يحتاج إلى جواب، وقد أشار العلويّ إلى هذا من خلال قوله: "فضابط المماثلة أنّ كل كلام كان مفتقرا إلى الجواب فإنّ جوابه يكون مماثلا"(العلوي،1982،387).وقريبا من هذا المعنى يذكر محمد عبد المطلب أيضا فيقول:

> "إنّ إدراك التّماثل عملية ذهنيّة خفية يعينها حدس داخلي،فيرد الدّال كعنصر في بنية الأسلوب،ومن ثم يشغل الذهن فورا بالارتداد إلى المدلول لإدراك المطابقة أو عدمها،وهذه مرحلة أوليّة تتبعها عملية"تخزين"في الذّاكرة حيث تتراكم الدّوال،ملازمة لدوالها تارة،ومنحرفة عنها تارة أخرى"(عبد المطلب،1995،323).

وتأتي بنية المجاورة في الآيات المكيّة من خلال مستويات مختلفة:المستوى الأول

تأتي الدّوال المكرّرة على شكل تتابعيّ مع وجود فاصل لغويّ بسيط لا يلغي إمكانيّة حـــدوث التّجاور وبنيته، ويأتي هذا المستوى من خلال صور مختلفة تشكل الفاصل اللّغوي من شبه الجملة الظرفية من الجار والمجرور في قوله تعالى:﴿ وَهَــذَا كِتَابٌ أَنزَلْــنَاهُ مُــبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلاَتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾(الأنعام،92).

.......يؤمنون ...... بالآخرة يؤمنون .....

إن طرفـــي الـــتّجاور في هذا البناء هو الفعل المضارع"يؤمنون"، وممّا زاد من تعمق التّجاور من ناحية الدّلالة، شبه الجملة الظّرفية"بالآخرة"ليبرز من خلاله إثبات الإيمـــان بالـــيوم الآخـــر، وبالله عزّ وجل، ولذلك جاء البناء التّركيبي للبنية بصيغة المضــــارع من أجل استمراريّة الإيمان، ومواصلته بالعبادة من خلال قوله"وهم على صـــلاتهم يحافظون "(رضا، د.ت).ويأتي من هذا المستوى التّجاور المتداخل مع وجود الفاصل اللّغويّ، حيث يتم فيه التّجاور في اللّفظ،أما المعنى، فهو يتراوح بين التّماثل والتّخالف، وهما علاقتان متداخلتان كقوله تعالى:﴿ وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاء يَوْمِكُــمْ هَــذَا وَمَــأْوَاكُمْ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴾(الجاثية،34).فحرف التّشبيه"كما"لا يشكل حيزا فاصلا مما يترتب عليه إلغاء بنية التّجاور،ولكنّه يبتعد بالدّال الأوّل عن الــدّال المكرر مسافة مكانيّة بسيطة، وهذا البعد أدّى إلى بعد معنويّ مماثل، فالدال الأول فـــي الـــتجاور"ننســـاكم"، والدّال المكرر"نسيتم"،والدالان أخذا من أصل لغوي واحـــد، ولكـــن العلاقـــة المعـــنويّة الّتي تنتج من سياق التّجاور لا تقع في التّماثل المعـــنويّ، ففي الدّال الأوّل فاعلية تعود إلى الخالق عزّ وجل، والخالق يتعالى عن وصـــفه بالنّســـيان، والمعـــنى فـــي هذا الطّرف لا يشير إلى معنى النّسيان أو عدم التّذكر،وقد فسره الزّمخشري بمعنى﴿ نَتْرُكُكُم في العَذَابِ﴾(الزمخشري،د.ت،514) فالنّسيان فـــي الطّـــرف الأوّل بمعـــنى التّرك في العذاب لهؤلاء الّذين نسوا لقاء الله سبحانه وتعالى يوم القيامة لذلك تركوا(الزمخشري،د.ت،514).

وقـــد سمى البلاغيون هذا النّوع من التّجاور اللفظي المشاكلة، إذ أشركوا تجاور اللفظين المكررين مع اختلاف في المعنى، فتأتي عندها المجاورة(التبريزي،1986).

قدرهم من الإخبار بـــ"ما" الاستفهاميّة التّعجبية في قوله"ما أصحاب الميمنة".واشتقاق لقـــبهم مـــن"السّـــبق"، دلالـــة علـــى بلوغهـــم أقصـــى ما يطلبه الطّالبون، وحذف مـــتعلق"السّـــابقون فـــي الـــدّال الأوّل والدّال المجاور للدّلالة على عموم السّبق في الحياة،وفـــي تأخـــير ذكـــر"السّابقون"عن أصحاب اليمين تشويق السّامع إلى معرفة صنفهم ترغيبا بالاقتداء(ابن عجيبة،2002).

الفصل الثالث

موضوعات السور المكية من خلال أبنية التكرار

القرآن مكيّ ومدنيّ:

مـن المعـروف بطبـيعة الحال أن هناك سورا مكيّة، وسورا مدنيّة في القرآن بحسـب مكـان نـزولها فـي مكّـة والمدينة.ولكن هناك ظاهرة تلفت النّظر،وهي وجـود آيـات مدنـيّة فـي سـور مكيّة، وآيات نزلت بمكّة ولكنّها ألحقت بسور مدنـيّة،فمكان نزول الآية لم يكن هو الّذي حدّد موضوعها في المصحف،ولا زمان نـزولها كذلـك(القطـان،1985).فالّذي يحدد مكان الآية كما يقول محمد قطب:"الوحدة الموضوعيّة لكلّ سورة من القرآن،وإلاّ لكان القرآن مختلط الموضوعات بلا رابطة كمـا يقـول:الّذيـن لا يتدبرون القرآن،ولا يفهمونه من المستشرقين وتلامذتهم من المسـلمين"(قطـب،محمد،1983،19).ويؤكد محمد قطب على الوحدة الموضوعيّة للآيات فـيقول:"وحـدة الموضوع هي الّتي تحدّد إلحاق آية مدنيّة بسورة مكيّة،أو آية مكيّة بسـورة مدنـيّة"(قطب،محمد،1983،19). وقد عني صاحب الظّلال سيد قطب"بهذه الوحدة الموضوعيّة في كل سورة بذاتها"(قطب،محمد،1983،19،قطب،سيد،1983).

ومـن خـلال وحـدة الموضـوع نجـد الاختلاف في الأسلوب ما بين السّور المكيّة،والسّـور المدنـيّة من ناحية التّعبير، وبناء الآيات.فالسّور المكيّة في الغالب قصـيرة الآيات،سريعة الحركة،والنّبض مثيرة للوجدان،أما السّور المدنيّة في أغلب حالاتها،طويلـة الآيات،متأنّية الحركة، أقرب إلى إثارة التّأمل الفكريّ منها إلى إثارة الوجـدان،"فالموضـوع فـي السّـور هـو الّذي يحدد الحركة والنّبض،ومخاطبة الوجدان"(السيوطي،1987).

ومـن خـلال الموضوع نجد السّور المكية مشغولة كلّها بالعقيدة ، خلال ثلاثة عشـر عاما من الزّمان،وأن التّشريعات، والتّنظيمات لم ينزل منها شيء في مكّة إلا توجيهات عامة، بينما السّور المدنيّة مشغولة بالتّشريعات والتّنظيمات، وإن كانت لا تخلـو بحال من الأحوال من حيث العقيدة الذي لا ينقطع الحديث عنه في كتاب الله من أوله إلى منتهاه(عل،2000،القطان،1985،قطب،محمد1983).

وأشـــير إلى أنّ التّقسيم المكيّ والمدنيّ مختلف فيه: فقد أجمع العلماء على مدنيّة عشـــرين ســـورة،واختلفوا حـــول اثنتـــي عشـــرة ســـورة،أما صـــاحب البرهان فـــيرى" بـــأنّ المـــتّفق علـــيها هـــي ثمان وعشرون سورة مدنيّة،وما عداها سورا مكـــيّة"(الزركشـــي، 194،1972). واســـتخدم في الدّراسة مصحف المدينّة النبويّة، نسخة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشّريف،الّتي يوافق تقسيمها المكيّ والمدنيّ الّذي جـــاء بـــه الزّركشي(الأسعد، 1999). وعند تتبعي التّشكيل التّكراري من خلال مفرداته المحـــددة للسّور المكيّة، وجدت الموضوع الرّئيسي في السّور المكيّة هو العقيدة،بكل موجباتها في الآفاق،والأنفس، وكل تفصيلاتها،وتفريعاتها،ومقتضياتها في واقع النّفس والحياة(حبنكة، 1989).

فالـــتّكرار في موضوعات السّور المكيّة ظاهرة بارزة في البيان القرآنيّ المعجز مظهـــر مـــن مظاهر إعجازه الحكيم المقصود،فعندما يكرر القرآن موضوعا فإنّه يكـــرره لحكمـــة يـــريد منها تحقيق هدف بلاغيّ أو دينيّ يضيف من خلاله لفظا أو معـــنى أو فكرة،أو معلومة للموضوع المكرر. وتأتي تقسيمات المواضيع في السّور المكيّة،والّتي شكل التّكرار بنيتها على النّحو التّالي:

أولا:العقـــيدة:وهـــي الموضوع الرئيسي في القرآن كلّه،لكنّها في السّور المكيّة تســـتغرق المسّـــاحة كلّها،وتســـتوعب الحديث كلّه،ويتقسم عن العقيدة الموضوعات التّالية:

1 ـــ الألوهيـــّة بكل ما يندرج تحتها مـــــن إثبات صفات الله تعالى،وتوحيده وتنزيهه عن الشّرك،والظّلم،وكل ما يضاف لله تعالى،ويتفرد به.

2 ـــ الرّسالة والملائكة: فالرّسالة صراع بين الحقّ والباطل، الخير والشّر، ولا تكتمل عقيدة مسلـــــم حتى يؤمن بالقرآن، والكتب المنزلة من قبله،ويؤمن بالوحي والنّبوة.

3 ـــ اليوم الآخر: وما يتصل به من النفخ والبعث والحشر، لتثبت هذه المشاهد من خلال تكرار سياقها وحدانيّة الله عزّ وجل.

ثانـــيا:العـــذاب والنّعـــيم: اهتمـــت الآيات المكيّة اهتماما كبيرا بتقرير حقيقة اليوم الآخر،وما فيه من نعيم وعذاب وجزاء.

ثالثا: القصص والتّاريخ.
رابعا: الكفر وما يتصل به من عناصر ووسائل دعوة للكافرين.
خامسا: الأخلاق الحميدة الّتي رغّب بها القرآن.

أولاً : العقيدة :

تعتبر العقيدة من خلال البنية التّكراريّة كما يقول العقاد :

"رأس العقائد الدّينية بجملتها،وتفصيلها فمن عرف عقيدة قوم في إلههم،فقد عـرف نصـيب دينهم،مـن رفعة عقيدة الفهم والوجدان، ومن صحة المقايـيس الّتي يقاس بها الخير والشّر، وتقدر بها الحسنات والسّيئات، فـلا يهبط دين، وعقيدته في الإله عاليّة،ولا يعلو دين وعقيدته في الإله هابطـة لـيس ممـا يناسب صفات الموجود الأوّل الّتي تتبعه جميع الموجودات "(العقاد، 36،1965).

فقـد جـاء الإســلام من جوف الصّحراء بأسمى عقيدة في الإله الواحد الأحد صـححت فكـرة العقـائد الباطلة التي سبقته" فكان تصحيحه أعظم المعجزات التي أثبتـتله فـي حكـم العقـل المنصف، والبديهة الصّادقة أنّه وحي من عند الله عزّ وجـل"(علـي، 18،2000). ولأهمية موضوع العقيدة في السّور المكيّة، ستقوم الدّراسة بعرضـه من خلال التّشكيلات التّكراريّة، وبأسلوب يشترك في فهمه سائر أصناف الـنّاس وطـبقاتهم(الجزائـري، 1989، 123، بركات، 231،1985، ابن قدامة، 87،1992). وتبدأ الدّراسة :

1ـ الألوهيّة:

إن وجـود الله للمؤمـن حقيقة موضوعيّة وذاتيّة معا "فوجوده برهان على هذا الوجود،وكـل موجوداتـه هما آيات هذا الوجود وليس مقاييس العقل الإنسانيّ هي مقاييس هذا الوجود، فالله هو مقياس كل موجود، ومن يحاول أن يستدل على وجود الله بالبرهان العقلي هو كمن يحاول أن يزن الجبل بميزان الذّهب، وهذه هي عقلانيّة وجود الله الذاتية"(صـعب، 95،1980).وهذه العقلانيّة الذّاتيّة تقابلها العقلانيّة الموضوعيّة

الأســـلوبيّة مـــن خـــلال التّشكيل التّكراري للسّور المكيّة لتثبيت حق الألوهيّة لله عزّ وجل،ويـــرد ذلـــك من خلال أبنية التّكرار المختلفة الّتي عرضت لها الدّراسة.فتأتي الدّعوة إلى التّفكر والتّأمل والتّعقل من مستوى تكرار رؤوس الآيات في قوله تعالى:

﴿ أَوَلَـمْ يَـتَفَكَّرُوا فِـي أَنفُسِـهِمْ مَـا خَلَـقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْـنَهُمَا إِلا بِـالْحَقِّ وَأَجَـلٍ مُّسَـمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِـرُونَ*أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَـاءتْهُمْ رُسُـلُهُم بِالْبَيِّـنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾(الروم،8 ـ 9).

.... أولم يتفكّروا في أنفسهم ....

.... أولم يسيروا في الأرض ....

فالآيـــة الأولـــى تدعو الإنسان إلى التّفكر في آيات النّفس الإنسانيّة، والثّانية أو جملـــة الدّال المكرر تدعو إلى التّفكر في آيات الأمس ـــ التّاريخ ـــ وهي كلها آيات الوجـــود الدّالة على وحدانيّة الله ووجوده(ابـــن عاشور، 1980)، فالدّالان منهجان عقليان لاســـتقراء هذا الوجود استقراء محسوسا، فالإنسان في جملة الدّال الأوّل معجزة الله عـــزّ وجل، والتّاريخ في الدّال المكرر معجزة الله، ليربط ذلك كلّه بالعالم المفكر في النّفس،وفـــي الكون الإنسانيّ ليستقرئ قوانين سلوكه،ليصل من ذلك إلى وحدانيّة الله عـــزّ وجـــل(ابن عاشور، 1980). وكذلك العالم المؤرخ المفكّر في الماضي والمستقرئ لقوانين تطوره يهتدي منه لوحدانيّة الله عزّ وجل، ويشكّل الاستفهام في الدّالين حقيقة تقريريّة مفادها الكذب بالرّسالة المحمديّة،وعدم تصديق البعث بعد الموت، بالإضافة إلـــى إثـــبات الألوهـــيّة، ولذلـــك جـــيء بالاســـتفهام فـــي بداية كل رأس آية من الآيـــات(ابن عاشور، 1980). ويأتي من مستوى تكرار رؤوس الآيات ما يدل على تفرده في الخلق في قوله تعالى:

﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَادًا*وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا*وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا*وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُـبَاتًا*وَجَعَلْـنَا اللَّـيْلَ لِبَاسًا*وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا*وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا*وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا*وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاء ثَجَّاجًا*لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا*وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ﴾(النبأ ،6 ـ 16).

فـــتكرار رؤوس الآيـــات مـــن خلال الفعل"جعل"والمتّصل بضمير المتكلّم يثبت ألوهـــيّة الله عـــزّ وجل من خلال مظاهر الخلق المختلفة، فعند التّأمل فيها من خلال موضوعها، نجد فيها التّنبيه على موافقة أجزاء العالم لوجود الإنسان.

فالسّـــياق في الآيات ابتدأ بالاستفهام من أجل التّنبيه إلى أمر معروف بنفسه لنا معشـــر النّاس، وهو خلق الأرض بصفة يتأتى لنا المقام عليها، وأنّها لو كانت بشكل آخر غير شكلها، أو في موضع آخر غير الموضع الّذي هي فيه لما أمكن أن نخلق علـــيها،ولا أن نوجـــد فيها، وهذا كلّه محصور في قوله تعالى:" ألم نجعل الأرض مهادا"(النبا،6)، وذلك أن المهاد "يجمع الموافقة في الشّكل، والسّكون، والوضع، وزائدا إلـــى هـــذا المعنى الوثارة واللّين"(موسى، 148،1959). فيؤكد سياق التّكرار في الآيات ومن خلال التّقسيم قدرته تعالى على الخلق، والتّنويع ليستدل الإنسان بفطرته وعقله إلى وحدانيته تعالى .

فمظاهـــر الخلـــق مـــتّزنة، وغير متعارضة، وهذا ما يثبته الفعل"جعل"في قوله تعالى﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا*وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾ (النـــبا، 10 ــ 11). فالدّالان المكرّران تنبـــيهان على موافقة الليل والنّهار لجميع المخلوقات والنباتات، إذ الليل يسترها من حـــرارة الشّمس، ومع هذا فالليل يجعل ما فيه حياة يستغرق في النّوم، ولذلك تعمق السّـــياق الموضوعي فقال: "وجعلنا نومكم سباتا" أي مستغرقا بسبب الظّلام، ليصل السّـــياق فـــي الآيـــات إلى تنبيه آخر، ولكن باختلاف الإيقاع ما بين الخلق والبناء فقـــال:"وبنينا فوقكم سبعا شدادا"(النبا،12). وهي السّماوات، وهذا تنبيه من الخالق على موافقـــة السّـــماوات، والأفـــلاك وســـائر ما فيها في أعدادها وأشكالها، وأوضاعها وحـــركاتها، لوجود ما على الأرض،وما حولها، حتى أنّه لو وقف جرم من الأجرام السماوية لحظة واحدة، فضلا عن وقوفها كلّها لفسد ما على وجه الأرض(موسى، 1959).

وفـــي إثبات خلق السّماوات والأرض يظهر التّكرار الخالص من خلال مستوى رؤوس الآيات ليحقق مشيئة الله عزّ وجل في الخلق والتّسخير والتّفرد بالوحدانيّة في قوله تعالى :

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ*اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ

اللَّــهَ بِكُــلِّ شَــيْءٍ عَلِـيمٌ*وَلَئِــن سَــأَلْتَهُم مَّــن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَحْـيَا بِهِ الأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ﴾(العنكبوت، 61 ــ 63).

.... ولئن سألتهم من خلق السّماوات والأرض.......

.... ولئن سألتهم من ينزل من السّماء ماء ....

فالآيــات تطــرح مــن بنــية التّكرار الخالص ومستوى رؤوس الآيات مظاهر الاســتدلال علــى وحدانيّة الله عزّ وجل، وتنزيهه، وجعل الكون، ومشاهده العظيمة بــرهانه وحجته، وجعلها مجال النّظر والتّدبر للحق الّذي جاءت به الآيات، وجاء به القرآن الكريم.فالخطاب في الآيات، ومن مستوى التّكرار موجه للمشركين بمسلماتهم فــي أمــور الكون،فهــم يقــرّون بخلق الله للسّماوات والأرض، وتسخيره للشّمس والقمر،وإنــزاله المــاء من السّماء،وإحيائه الأرض بعد موتها،وما يتضمّنه هذا من بســط الــرّزق لهم،أو تضيقه عليهم ..... ثم هم بعد ذلك كلّه يشركون بالله،فيعبدون الأصــنام،أو الجن أو الملائكة،ويجعلونهم شركاء لله في العبادة،ولم يجعلوهم شركاء لــه فــي الخلق ... وهذا التّناقض العجيب يعجب الله منه في هذه الآيات من خلال مــتعلقات ســياق الــدّال الأوّل فــي قوــله:" فــأنى يؤفكون"أي:"فكيف يصرفون عــن توحــيد الله وانْ لا يشــركوا بــه شــيئا مــع إقرارهم بأنّه خالق السماوات والأرض"(الزمخشري،د.ت).

ومــن تكرار رؤوس الآيات ما يثبت آيات الخلق المختلفة الدّالة على الوحدانيّة في قوله تعالى :

﴿ وَمِــنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ*فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِندَ رَبِّــكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لا يَسْأَمُونَ*وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الأَرْضَ خَاشِــعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاء اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾(فصلت، 37 ــ 39).

.... ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر ....

.... ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة ....

فـــالجو فـــي سياق الآية من خلال الدّالين جوّ عبادة، وخشوع وسجود ، يتسق معه تصـــوير الأرض بأنّهـــا"خاشعة"فإذا أنزل عليها الماء اهتزت وربت، فالسّياق بهذا الوصف لا يزيد على الاهتزاز الإنبات والإخراج؛ لأنّه لا محل لهما في جوّ العبادة والسّـــجود(قطـب، 1956)،ولذلـــك جيء مع الدّال المكرّر الفعل"اهتزت وربت"ليناسب حـــركة العـــبادة فـــي الـــدّال الأوّل،فلم يكن من المناسب في الدّال المكرر أن تبقى الأرض وحدها خاشعة ساكنة،ولكنّها اهتزت لتشارك العابدين المتّحركين في المشهد الأوّل حركتهم،ولكي لا يبقى جزء من أجزاء المشهد ساكنا،وكل الأجزاء تتحرك من حوله(قطب، 1956).

والصّـــورة المرتســـمة مخلوقـــات طبيعية عابدة، أو مشاهد طبيعية، والأجزاء هـــي:الليل والنّهار والشّمس والقمر خاشعة لله .... تموج فيها وتتصل بها جماعتان مـــن الأحياء،مختلفـــتا النّوع،مـــتحدتا المظهـــر،جماعة مـــن الـــنّاس تستكبر عن العـــبادة،وجماعة من الملائكة تعبد بالليل والنهار وهكذا تتناسق الدّوال المكررة مع جوّ العبادة،وتتحد جزيئات الصّورة الواحدة تحقيقا لوحدة الرّسم،وتوزيع الأجزاء في الرفعة بهذا النّظام العجيب(قطب، 1956).

ويأتي مستوى تكرار أواخر الآيات بجمل مكررة لإثبات وحدانيته ونفي الشّراكة عـــنه كقوله تعالى: ﴿ أَتَى أَمْرُ اللّهِ فَلاَ تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ*يُنَزِّلُ الْمَلآئِكَـــةَ بِالْـــرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنذِرُواْ أَنَّهُ لاَ إِلَـــهَ إِلاَّ أَنَاْ فَاتَّقُونِ*خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾(النحل، 1 ــ 3).

.... وتعالى عمّا يشركون .

.... تعالى عما يشركون .

يقـــول ابـــن عاشـــور فـــي تكـــرار"تعـــالى عمّـــا يشـــركون"فـــي نهايـــة الآيـــات:"تحقـــيقا للوحدانـــيّة مـــن خـــلال تحقيق نتيجة الدّليل القياسي الدّال على الوحدانـــيّة"(ابـــن عاشـــور، 100،1980) .فالـــتّكرار فـــي نهايـــة كـــل آيـــة ومن خلال الفعل"تعالى"يؤكد ويخص الله تعالى بالوحدانيّة؛ لأنّه يتعالى عن كل شيء على وجه الأرض.

وفـــي مجـــال الوحدانيّة المطلقة لله عزّ وجل يشكّل التّكرار الخالص للمفردات جانـــبا بارزا في قوله تعالى:﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ*اللَّهُ الصَّمَدُ*لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ*وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَد ﴾(الإخلاص، 1 ـ 4).

...... الله أحد

...... الله الصمد

وفـــي هـــذه السّورة لطيفة بيانية حول الوحدانيّة من خلال متعلقات الدّال الأوّل والدّال المكرر، فكلمة"أحد"نكرة، وكلمة" الصّمد"في جملة الدّال المكرر معرفة،فتنكير لفظـــة"أحـــد" جـــاء بســـبب كلمتيـــن معرفتين سبقتا"أحد"، وهما"هو الله"فكوّنا جملة اسميّة،المبتدأ فيها معرفة وكذلك الخبر ليدلا على الحصر، فاستغنى السّياق بتعريف المبـــتدأ والخبر عن تعريف لفظة"أحد"، فجاء أحد نكرة على أصله؛ "لأن الأصل في الكلمـــة هـــو التّنكير"(الخالدي 2000، 236). وأحد خبر ثان مرفوع. وهناك حكمة ثانية لتنكـــير لفظ"أحد"، وهي أنّه جاء للتّعظيم والتّفخيم والتّكريم، وللإشارة أنّ الله سبحانه لا يمكن تعريفه ولا الإحاطة به"(الخالدي 2000).

أمـــا مـــتعلق الـــدّال المكـــرّر"الصّـــمد"، فقـــد جاء معرفة؛لأنه خبر،فقوله"الله الصـــمد"،مبـــتدأ وخـــبر، وجـــاءا معرفتيـــن ليطابقا المعرفتين في الدّال الأوّل"هو الله"،وتعريف"الله الصمد"يدل على الحصر أيضا(لاشـــين، 1983)،فقوله:"هو الله أحد"،يدل علـــى الحصـــر لـــتعريف المبـــتدأ والخبر،فالوحدانـــيّة أو الأحديّة،محصورة بالله وقوله:"الله الصمد"، يدل على الحصر لتعريف المبتدأ والخبر،والصّمدانية محصورة بالله،فأســـلوب تنكـــير فاصـــلة الـــدّال الأوّل"أحـــد"،وتعـــريف فاصـــلة الـــدّال المكـــرّر"الصّـــمد"جمـــال بياني،وبديع بلاغي(لاشين، 1983)، فقدرة الله تعالى وانفراده بـــالخلق والملكيّة المطلقة ما بين السّماوات والأرض كلها تحققت ضمن بنية التّكرار الخالص بكافة مستوياته.

ويأتـــي ترديد الأفعال ليؤكد على وحدانيّة الله عزّ وجل، وقد تنوعت المتعلقات الّتـــي ترتبط بهذه الأفعال كقوله تعالى:﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادةً قُلِ اللّهِ شَهِيدٌ بِيْنِي وَبَيْـــنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُل لاَّ أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَـــهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾(الأنعام، 19).

.... لتشهدون ....

.... لا أشهد ....

فالسـياق فـي الآية تصريح من الرسول ــ عليه السلام ــ بأنّه يوحد الله، ولا يجعل معه إلها آخرا، وهذا ما أبرزه ترديد الفعل"أشهد"ما بين الإثبات والنّفي، فالفعل يثبـت شرك الكافرين من خلال" لتشهدون"، وينفي الشّرك عن الرّسول عليه السّلام من خلال قوله"لا أشهد"، ليؤكد الدّال الأوّل والدّال المكرّر وحدانيّة الله عزّ وجل.

ويأتـي مـنه تـرديد الفعـل" قـل" لـيركز على عدد من المعاني الّتي تتصل بالوحدانيّة،وتنحصـر بيـن عـدم انصياع المؤمنين لدعوة الكفار للإشراك بالله عز وجـل، وبيـن أمر الله بأن يتوجه المؤمنون إلى عبادة الله دون غيره، وبين إقرار المؤمنين بإيمانهم بالله الواحد في قوله تعالى:

﴿ قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ قُل لاَّ أَتَّبِعُ أَهْوَاءكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُهْتَدِينَ*قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِ مَا عِـندِي مَـا تَسْـتَعْجِلُونَ بِـهِ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِـلِينَ*قُل لَّوْ أَنَّ عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ﴾(الأنعام، 56 ــ 58).

فـترديد الفعـل"قل" يزيد من فاعلية المعنى، وتأثيره في المتلقي من خلال إثباته وحدانـيّة الله. وممـا يعطـي معـنى التّوحيد بعدا أعم ترديد أفعال التّسبيح كقوله تعـالى: ﴿ تُسَـبِّحُ لَـهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ وَلَـكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾(الإسراء، 44).

.... تسبح له السماوات.......

.... يسبح بحمده ....

فـالله عـزّ وجـل يجعـل جمـيع المخلوقـات في السّماء والأرض تسبح له وتوحده،معـترفة بوحدانيّـته، وقـد جـاء ذلك من التّقابل المتضاد والمحصور بين لفظي"السّماء" و"الأرض"، لإظهار دائرة التّسبيح والتّوحيد الواسعة الّتي تشمل جميع المخلوقات سواء أكانت في"السّماء" أم في"الأرض"، ومن فيهن.

وتكشف بنية ترديد الأفعال أنّ الخالق الواحد هو القادر على الخلق،والهداية دون غيره من المخلوقات كقوله تعالى: ﴿ إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاء وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾(القصص، 56).فسياق الخطاب موجه إلى الرّسول عليه السّلام"أنّه لا يستطيع أن يدخل الكفّار في الإسلام؛وإنّما الله هو الّذي يدخلهم فيه "(ابن عاشور، 1980، 132).فترديد الفعل المضارع "تهدي"ما بين الإثبات والنّفي يثبت أن أمر الهداية للنّاس محصور بمشيئة الله عزّ وجل،ولذلك جاء بصيغة الحاضر.

ومنه قوله تعالى:﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ﴾(الإسراء، 80).

.......أدخلني مدخل صدق..........

.......وأخرجني مخرج صدق.......

فدعاء الرّسول صلى الله عليه وسلم،والمتسلط على الدّالين المكررين يعمق قدرة الله عزّ وجل على الثّواب والعقاب، فالرّسول يدعو الله:"أن يدخله القبر مدخل صدق، إدخالا مرضيا على طهارة الإيمان، ويخرجه منه عند البعث إخراجا مرضيا ملقّىً بالكرامة أمنا من السّخط "(الزمخشري،د.ت،ج 2،463).

وقد جاءت الرّحمة والهداية الإلهية في السّور المكيّة من خلال أسلوب التّقرير المطرز ببنية التّكرار الخالص في قوله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ مَكَّنِّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاء نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاء وَلاَ نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ *وَلأَجْرُ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴾(يوسف، 56 ـ 57).

..... يتبوأ منها حيث يشاء........

.....نصيب برحمتنا من نشاء.....

فالتّقابل المقترن بتكرار المفردات"حيث يشاء" و"من يشاء"، يشير إلى قدرة الله على إثبات الرّحمة لمن يشاء في الحياة الدّنيا،ويؤكد خير أجر الآخرة للمؤمنين(القرعان، 1994).

وتشكّل بنية التّرديد ومستوى الرّجيع في المحاورة مجالا خاصا في باب الألوهيّة

لنفي العقائد الباطلة و إثبات العقائد السّليمة مكانها كقوله تعالى :

﴿ بَـلْ قَـالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الأَوَّلُونَ*قَالُوا أئذَا مِتْنَا وكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أئنَّا لَمَـبْعُوثُونَ*لَقَـدْ وُعِدْنَـا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِيـنَ*قُل لِّمَنِ الأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ*سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَـلا تَذَكَّـرُونَ * قُـلْ مَـن رَّبُّ السَّـمَاوَاتِ السَّـبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ*سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ*قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِـيرُ وَلا يُجَـارُ عَلَـيْهِ إِن كُنـتُمْ تَعْلَمُـونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴾(المؤمنون، 81 ــ 89).

فـترديد الأفعال،ومسـتوى الرّجيع في المحاورة يثبت ألوهيّة الله عزّ وجل من خـلال إجابـتهم عن الأسئلة التي وجهت إليهم.ويشكّل الاستفهام مظهرا من مظاهر الاسـتدلال على الوحدانيّة لله عزّ وجل من خلال تناسب الفواصل مع الموضوع في الآيـات فـي قولـه تعـالى:﴿ قُـلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِـيَامَةِ مَـنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاء أَفَلا تَسْمَعُونَ*قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ الـنَّهَارَ سَـرْمَدًا إِلَـى يَـوْمِ الْقِـيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلا تُبْصِرُونَ ﴾(القصص، 71 ــ 72).

......إن جعل الله عليكم الليل سرمدا إلى يوم القيامة.......

......إن جعل الله عليكم النهار سرمدا إلى يوم القيامة .....

فسياق الحديث في جملة الدّال الأوّل ومتعلقاته عن الليل،وفيه دعوة إلى تصور صعوبة الحياة لو كانت ليلا بدون نهار،واللّيل مظلم لا شمس ولا ضياء فيه،والعين في الظلام لا تكاد ترى،ولكن الأذن في الليل الساكن تسمع،ولهذا ختم الآية بالدعوة إلى السـماع،وليس الإبصـار،"فتناسب الاستفهام في تكرار الآية مع موضوع الآية"(السامرائي، 1998، 225 ــ 226).أما الدّال المكرر في الآية الثّانية،فسياق حديثه عن النّهار،وتصور صعوبة الحـياة لو كانت كلّها نهارا لا ليل فيها،والنّهار مضيء والعين ترى وتبصر كـلّ ما يصـل إليها طرفها،والإبصار فيه يكون أكثر من السّماع،ولهذا ختم الآية الثّانية بالدّعوة إلى الإبصار،وليس السّماع،لأنّ النّهار يصلح

للإبصار،وليس للسّماع،وبذلك التّكرار، والتّناسب دليل على خالق واحد هو الله،فتنوع الفاصلة في الآيتين من دقيق المناسبة المعنويّة والموضوعيّة، فتسلط الاستفهام على مظاهر قدرة الله في خلقه، وتكراره يؤكد مجال التّرسيخ والإقناع التّأملي لمجال الوحدانيّة والألوهيّة"(السامرائي، 1998).

ومن تمام الوحدانيّة الإيمان بأنّ كل الأمور بيد الله عزّ وجل، ويتشكل ذلك من بنية ترديد الأفعال في قوله تعالى:﴿ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ*أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ*لَوْ نَشَاء لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ*إِنَّا لَمُغْرَمُونَ*بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ*أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاء الَّذِي تَشْرَبُونَ*أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ*لَوْ نَشَاء جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلا تَشْكُرُونَ ﴾(الواقعة، 63 ـ 70).

..... لجعلناه حطاما ......

...... جعلناه أجاجا ......

تخبر أن كلّ الأمور بيد الله من خلال ترديد الفعل"جعلنا"مرتين:مرة مع الزّرع"لو نشاء لجعلناه حطاما"، ومرة:مع الماء"لو نشاء جعلناه أجاجا فلولا تشكرون"،والفعل في الدّالين بمعن" التّصير والتّحول"(الخالدي، 2000، 195). وينصب مفعولين: الضّمير المتّصل في محل نصب مفعول به أول، وحطاما"أو"أجاجا"مفعول به ثان،وفي الموضعين وقعا جوابا للشّرط. واللاّفت للنظر من سياق الآية هو إدخال اللاّم على جواب الشّرط في الدّال الأول"لجعلناه حطاما"وعدم إدخالها على نفس جواب الشّرط في المرّة الثّانية"جعلناه أجاجا"، فيقول صلاح الخالدي في ذلك:

"إنّ الحديث في الموضع الأول عن الحرث والزّرع، فالنّاس يحرثون، ويزرعون ولهم في الحراثة والزّراعة جهد بشري ملحوظ،فهم سبب ماديّ مباشر للزراعة، والرعاية والحصاد،وجني المحصول، فجيء باللاّم للتّوكيد، وأدخلت على جواب الشّرط "لو نشاء لجعلناه حطاما"، وهذا التّوكيد يتناسب مع جهد النّاس"(الخالدي، 2000، 195).

بينما كان الحديث في الموضع الثّاني عن إنزال الماء من السّحاب"المزن"، والنّاس

ليس لهم جهد مبذول في ذلك، فلا هم يسوقون السّحاب، ولا هم ينزلون منه الماء، وإنّما يتم بأمر الله" ولذلك حذفت اللاّم من جواب الشّرط، لأنّه لا داعي لتوكيد الجملة طالما أنّ النّاس لا جهد لهم في الإنزال"لو نشاء جعلناه أجاجا"(الخالدي، 2000، 195).إذن التّأكيد باللاّم على جعل الله الزّرع حطاما لإثبات جهد النّاس في الحرث والزّراعة،وبما أنّهم لا جهد لهم في إنزال الماء من السّحاب،فلم يحتج سياق الدّال المردد إلى التّوكيد، فالتّأكيد متحصّل من المعنى الّذي يطرحه السّياق.ويقول فاضل السّامرائي:" الأكل والطعام مقدم عند النّاس على الشّراب والماء، ولذلك أكد الكلام على الطعام،وذكر اللام، ولم يؤكد الكلام على الشّراب،وحذف اللاّم"(السمرائي، 1998، 131).ويقول الزّمخشريّ:" إنّ هذا اللاّم"لجعلناه حطاما مقيدة للتّوكيد، لا محالة،فأدخلت في آية المطعوم دون المشروب،للدّلالة على أنّ أمر المطعوم مقدم على أمر المشروب،وأن الوعيد بفقده أشدّ وأصعب؛لأنّ المشروب إنّما يحتاج إليه تبعا للمطعوم "(الزمخشري،د.ت، 497).

وترى الدّراسة أن الخسارة في جعل الزّرع حطاما أكثر من الخسارة في جعل الماء أجاجا،وحزن النّاس على هلاك الزّرع أبلغ من حزنهم على جعل الماء أجاجا،ولذلك كان فقد الزّرع والثّمر أشدّ وأصعب من فقد الماء،فأكّد باللام وأسقط السّياق اللاّم من الكلام على الماء.

وتظهر بنية العكس والتّبديل واضحة في مجال الألوهيّة لإثبات قدرته في الخلق،والتّصرف بشكل عميق،ومتنوع كقوله تعال:﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُسَمًّى أَلا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ﴾(الزمر،5). فالتّكرار المنعكس دليل حاصل في مقام الاستدلال على الوحدانيّة، والامتنان له على التّجدد والتّغير، فالتّكوير حالة غير مشاهدة، وإنّما المشاهد منها الأثر،وتجدد الأثر دليل على الخالق عزّ وجل(القرعان، 1994).

وكذلك إخراج الحيّ من الميّت،والميّت من الحي في قوله تعالى:﴿ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي

ومن خلال تكرار اللاّزمة ينفي القرآن أن يكون بين الله عزّ وجل، والجنّة نسب وشراكة في قـــوله تعالى:﴿ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِـنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَـرُونَ ﴾(الصافات، 158).فسياق الآية من خلال تكرار لفظة "الجنّة"، يثبت أن الله يـنكر على المشركين زعمهم أنّ الجنّ شركاء لله،حيث جعلوا نسبا بينه وبين الجن ويخبرهم القرآن أنّ الجنّ مخلوقون مثلهم،مبعوثون يوم القيامة.

والمـراد بــ"الجـنّة" في الدّالين المكررين الجن، حيث وردت في الموضعين معرفة، أي هؤلاء الجنة الّذين جعلهم المشركون شركاء مع الله محضرون للحساب يوم القيامة. ويتحدث القرآن عن بعض علامات السّاعة من خلال بنية ترديد الأفعال فـي قوله تعالى: ﴿ آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَـهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا*فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ﴾(الكهف، 96 ـ 97).

..... فما اسطاعوا أن يظهروه.....

...... وما استطاعوا له نقبا.......

فـالفعل فـي جملـة الدّال الأول" فما اسطاعوا أن يظهروه"، قد أسقط التّاء من بنيته،ليتناسـب ذلك مع معنى الجملة، وهو عدم استطاعة قوم يأجوج ومأجوج تسلق سـد ذي القرنيـن، والظهور والصعود عليه، "والسّد بني من الحديد والنّحاس، فهو أملس،وخال من المقابض والنتوءات للإمساك بها، ولذلك لا يمكن تسلقه، والصّعود عليه "(الخالدي، 2000، 244).

وأن تسـلق السّـد يحتاج إلى"خفة"، ورشاقة ومهارة، وكلّما كان الشّخص أكثر خفـة، ورشـاقة كان أقدر على تسلق السّد،ولذلك حذفت التّاء من فِعْلِ وجملة الدّال الأول"اسـطاعوا"، ليتناسـب ذلك مع خفة تسلق السد، وكأن فعل جملة الدال الأول تخفـف من التاء ليساهم في خفة تسلق السّد، ويشارك المتسلّق في تخففه من بعض أحماله(الخـالدي، 1992). والفعل في جملة الدّال المردد"وما استطاعوا له نقبا"، قد أثبت في بنيته التّاء، ليتناسب ذلك مع المعنى؛ لأنّ الجملة تنفي قدرة يأجوج ومأجوج على نقـض، ونقب السّد.فنقب جدار السّد يحتاج إلى جهد وكدّ، ويتحمل الإنسان في ذلك كثيرا من المشقة والجهد والثّقل، ولهذا الثّقل المادي والنّفسي والزّماني والمكانيّ في

معنى الآية جاء الفعل"استطاعوا"،بالتّاء مساهما فيها،ومشاركا بتثقيل إيقاعه،وتركيبه عـن طـريق زيـادة حروفه.إذن حذف التّاء في الدّال الأوّل"اسطاعوا"للتّخفيف من الحروف،المتناسـب وتخفيف تسلق الجدار،وإثبات التّاء في الفعل المردد"استطاعوا" للتثقـيل المتناسـب مع معنى تثقيل نقب الجدار ونقضه(السـامرائي، 1998،الخالدي، 1992 ،الخالدي، 2000).

ويخـبر القـرآن أنّ مسـؤولية العلماء،والدّعاة هي بيان الحق خالصا،وناصعا لأهله،ويـرد ذلك من خلال بنية التّرديد في قوله تعالى: ﴿ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّـبْرِ ﴾(العصـر،3).فالآيـة ومن خلال ترديد الفعل"تواصّوا" تأمر بالحق في جملة الدّال الأوّل،والصبر في جملة الدّال المردد،فالحق إذا أريد له أن يحكم لزمه الصّبر في تحقيقه.

ويـتحدث القرآن من خلال أسلوب"ردّ الأعجاز"عن الوحي إزاء تكذيب العرب لذلـك كلّه، واستكثارهم على بشر أن يوحى إليه فقال تعالى: ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى*مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى*وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى*إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى*عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُـوَى*ذُو مِـرَّةٍ فَاسْتَوَى*وَهُوَ بِالأُفُقِ الأَعْلَى*ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى* فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى * فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى ﴾(النجم،1 ـ 5).

ويذكـر القرآن ومن خلال مستوى تكرار نهاية الآيات أنّ المشركين يستكثرون علـى الرّسول عليه السّلام أن يكون هو المختار للوحي،على فرض تسليمهم بحقيقة الوحـي،وقولهم أنّ القـرآن كـلام شـاعر،أو وحي كاهن أو رؤيا من الجن فقال تعـالى:﴿ فَـلا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ*وَمَا لا تُبْصِرُونَ*إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ*وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلا مَا تُؤْمِنُونَ*وَلا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلا مَا تَذَكَّرُونَ ﴾(الحاقة، 38 ـ 45).

فـيقول ابـن عاشـور فـي"الفـاء"، والتـي تعلقـت بجملة الدّال الأوّل:"إنّها لـتفريع إثبات أن القرآن منزل من عند الله ، ونفي ما نسبه المشركون إليه، تفريعا علـى مـا اقتضـاه تكذيـبهم بالبعـث مـن التّعريض بتكذيب القرآن الّذي أخبر بوقوعه"(ابـن عاشور، 1980،ج 29،141). فجمع الله من خلال القسم أسلوبي التّكرار،فجمع الأمـور العظـيمة من صفات الله تعالى، ومن مخلوقاته الدّالة على عظيم قدرته"بِمَا تُبْصِرُونَ*وَمَا لا تُبْصِرُونَ "،لتنزيه القرآن الكريم عن صدوره من مخلوق.

ويجسّـــم القـــرآن الكـــريم مـــن خـــلال ترديد الحرف صورة الطّبيعة في قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ*وَإِلَى السَّمَاء كَيْفَ رُفِعَتْ*وَإِلَى الْجِبَالِ كَـــيْفَ نُصِبَتْ*وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾(الغاشية، 17 ـــ 20). فالصّورة المعروضة من خلال ترديد حرف الجر"إلى"جمعت بين السّماء والأرض والجبال والجمال،وهي أربعة مظاهر للضّخامة في هذه المخلوقات،وأجزاء الصّورة موزعة بتناسب فني.

ففـــي الاتجاه الأفقي لقطتان:السماء المرفوعة، والأرض المبسوطة، وفي الاتجاه الرأســـي لقطـــتان الجـــبال المنصوبة، والجمال صاعدة السنام، فاللقطتان الرأسيتان متناســـقتان مـــع اللقطتيـــن الأفقيتيـــن، فاللوحة الطبيعية المرسومة من خلال ترديد الحـــرف قاعدتها السّماء والأرض، لا يبرز فيها من الجماد إلا الجبال،ولا يبرز فيها مـــن الأحياء إلا الجمال...والجمال أنسب الأحياء؛ لأنّها سفن الصحراء الّتي تحدها السّـــماء والجبال. وبهذه الدّقة التّعبيريّة الّتي ربطها تكرار حرف الجر نجد التّناسق فـــي الأشـــكال والأحجـــام والأجـــزاء والألـــوان الّتـــي تعرض جزئيات الصّورة المعروضة،ولقطاتها(قطب، 1956).

وتكشـــف بنية العكس والتّبديل بعض الحقائق العلميّة الدّالة على كرويّة الأرض فـــي قـــوله تعالى: ﴿ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ الـــنَّهَارَ عَلَـــى اللَّـــيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُسَمًّى أَلا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّـــارُ ﴾(الزمـــر،5).هـــذه الآيـــة صـــريحة فـــي كـــروية الأرض،لاستعمالها الفعل المضارع"يكور"و"تكوير الشّيء على الشّيء ضمه إليه،وتغشيه له،وإدخاله فيه ببطء وتدرج"(الخالدي، 2000،407). وتكوير اللّيل على النّهار،وتكوير النّهار على الليل بمعنى إدخـــال أحدهمـــا فـــي الآخر،وتغشـــيه الثّاني للأول،وانتقاص أحدهما مقابل زيادة الآخـــر،يقول ســـيد قطـــب في ذلك:" هذا تعبير عجيب يقسر النّاظر فيه قسرا على الالتفات إلى ما كشف حديثا عن كرويّة الأرض "(قطب، 1983،303).

أمـــا الملائكة فهم رسل الله،ومخلوقاته،الإيمان بهم واجب، ومن مقومات العقيدة، أو جملة مهام في وقت واحد: أولها:الحبّ والمودّة، وثانيهما: الصّداقة للمؤمن،ويأتي ذلك من خلال بنية التّكرار الخالص والمتمثل بالدّعاء للمؤمن في قوله تعالى:

﴿ الَّذِيــنَ يَحْمِلُــونَ الْعَــرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ*رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُــم وَمَــن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾(غافر،7 ــ 8).

.... ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما......

.... ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم......

فــنلاحظ مــن ســياق الــتّكرار أنّ الله خــصّ طائفــة مــن الملائكة بالدعاء للمؤمنين،وفي هذا يقول ابن عاشور:"إعادة النّداء وتكريره للتّأكيد بزيادة التّضرع لله عــزّ وجــل "(ابــن عاشور، 1980، 92).فهو ارتقاء من طلب وقايتهم العذاب إلى طلب إدخالهم مكان النّعيم استعطافا لهم(أبو حيان، 1983).

والإيمان بالملائكة يؤدي مهمة إيمانيّة في حياة المؤمن، تتصل بالإيمان بالله في الاعــتقاد والسّلوك،بالإضــافة إلى الإحساس بعظمة الخالق الّذي يخلق هذه الكائنات العظيمة بقدرها وسلوكها، ويرد ذلك من خلال بنية التّكرار الخالص للمفردات الّتي تؤكــد إرســال الملائكــة إلى من يشاء من عباده في قوله تعالى:﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلائِكَةِ رُسُلا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاء إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾(فاطر،1).

سياق الآية يفتتح بــ"الحمد لله"ليؤذن هذا الحمد بأن صفات من عظمة الله ستذكر فــيها، وإجــراء صــفات الأفعــال علــى اســم"الله"المكــرر من خلقه السّماوات والأرض،وأفضــل ما فيها من الملائكة والمرسلين مؤذن بأن السّورة جاءت لإثبات التّوحيد،وتصــديق الرّسول صلى الله عليه وسلم، والذي يستحق الحمد هو الله دون غــيره؛لأنه على كل شيء قدير(أبــو حيان، 1983).فالدّال الأول"الحمد لله"يثبت أنّ الحمد والشّــكر لا ينســب إلاّ لله الّــذي خلــق السّــماوات والأرض والملائكة، أمّا الدّال المكــرر"إن الله "يؤكــد أنّ حمد لله واجب؛ لأنّه جعل الملائكة رسلا وأنّه على كل شيء قدير.

وتؤكـــد بنـــية التّكرار الخالص أن الملائكة خلق من خلق الله عزّ وجل، وعالما غيبيّا يجب الإيمان به كقوله تعالى:﴿ قُل لَّوْ كَانَ فِي الأَرْضِ مَلآئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاء مَلَكًا رَّسُولاً ﴾(الإسراء، 95).

ومن الملائكة من خصّهم الله عزّ وجل لأهل النّار، ولقبهم بالزّبانية، وقد جعلهم الله شهودا على تعذيب الكفار والعصاة "تبكيتا لهم"(علي، 57، 2000)."وزيادة في الإيلام والإيـــذاء النّفســـي"(نصّار، 44، 1994). ويرد ذلك من خلال بنية ترديد الأفعال في قوله تعـــالى﴿ وَمَـــا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ*لا تُبْقِي وَلا تَذَرُ*لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ*عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ*وَمَا جَعَلْـنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلا مَلائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُـــوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا ﴾(المدثـر، 27 ـــ 31). فترديد الأفعال من خلال موضـــوع الآيـــة يثبـــت أن الملائكـــة خـــزنة للـــنّار"وما جعلنا أصحاب النّار إلاّ ملائكـــة"،فالاستثناء في الدّال الأوّل"من عموم الأنواع أي جعلنا خزنة النّار من نوع إلاّ من نوع الملائكة"(ابن عاشور، 1980، 314).أمّا الدّال المردد "وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للّذيـــن كفـــروا" ،فهو" تتميم في إبطال توهم المشركين حقارة عدد خزنة النار"(ابن عاشور، 314، 1980).

3 ـــ اليوم الآخر:

عندما خلق الله البشر لم يدعهم يعيشون في الأرض بضع سنين، ثم يفنون،ويبقى لهـــم ذكـــر،أو لا يبقى كلا"أوجدهم حقا ليخلدوا، والموت الّذي يعترض حياتهم على ظهر الأرض هو رقدة مؤقتة أو نقطة فاصلة بين مرحلتين من الوجود،كانت الأولى للغرس،والأخـــرى للحصـــاد"(شلتوت، 32، 1975)،وخـــلال تقلب الأحياء في ميادين الحياة،وســـكون الموتى في أعماق القبور يقع حادث كوني واسع المدى، وصفه الله ســـبحانه مـــن خـــلال كتابه، وآياته لتدل على وقوعه، وما يتّصل به من النفخ في البوق،والبعث والحشر والحساب والجنّة والنّار، لتثبت هذه المشاهد من خلال تكرار سياقها وحدانيّة الله عزّ وجل كقوله تعالى:

﴿ هَـلْ أَتَـــى عَلَى الإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا*إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا*إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ

إمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا*إنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلاسِلا وَأَغْلالا وَسَعِيرًا*إِنَّ الأَبْــرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا*عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴾(الإنسان، 1 ــ 6).

فــتكرار الضّــمير المنفصــل يقسّــم المشـــهد إلـــى قسمين: مشهد في الحياة الدنيا،والثّانـــي: فـــي الآخـــرة، فالمشـــهدين مـــن ســـياق الآيـــة وتكرار الضّمير يتحدا،فيخـــيل إليـــنا أنهما"قريب من قريب، وأنّ الإنسانيّة تقطع الرحلة في استطراد عجيـــب"(عـــبد التواب، 1995،125).ليستمر السّياق القرآني من خلال تكرار الضّمير إلى صور النّعيم والعّذاب،فنحسّ من خلال ذلك الأسلوب أنّ رحلة الحياة الطّويلة قطعت فـــي لحظات،وهي رحلة تبدأ قبل خلق الإنسان،وتنتهي في الجنّة أو في النّار،وتضم خلالها الحياة في بضع فقرات قصار(الزمخشري،د.ت).

ويـــبرز مســـتوى تكـــرار رؤوس الآيات المتضمن أسلوبي الشّرط،والاستفهام المـــزاوجة بيـــن مشـــاهد الدّنيا،ومشـــاهد الآخرة،ويسوقها مساقا واحدا كأنّما هما حاضران في الزّمان يتبادلان التّقديم،والتّأخير في قوله تعالى:

﴿ فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ*وَإِذَا السَّمَاء فُرِجَتْ*وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ*وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَــتْ*لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ*لِيَوْمِ الْفَصْلِ*وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ * وَيْلٌ يَوْمَــئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِيــنَ*أَلَــمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ*ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ*كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِيــنَ*وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ*أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاء مَّهِينٍ*فَجَعَلْنَاهُ فِي قَــرَارٍ مَّكِيــنٍ*إِلَـــى قَــدَرٍ مَّعْلُــومٍ*فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ*وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ*أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا*أَحْيَاء وَأَمْوَاتًا ﴾(المرسلات،8 ــ 26).

فســياق الآيـــة من خلال بنى التّكرار تزاوج بين العالم الحاضر،والعالم الآخر ليبرهن السياق على البعث لمن يكذب بهذا اليوم، وأمامه في الدّنيا شواهد تشير إلى هذا اليوم الموعود،ولديه آيات على قدرة الخالق،ونعمته ولكنّه يكفر بها ويكذّب.

وفـــي هذا النّسق تأتي الآخرة برهانا وجدانيّا للتّأثير في الحسّ والضّمير،كما تعرض الآيـــات فـــي الدنـــيا برهانا وجدانيّا على وقوع الآخرة،فتكرار اللاّزمة" ويل يومئذ للمكذبيـــن" أثبـــت الازدواج فـــي العـــرض،إذ لا يمكـــن معـــه فصل هذه الصّورة عـــن تلـــك؛ لأنّهمـــا مســـوقتان فـــي معـــرض واحـــد هـــو"الإقـــناع الوجدانـــي للمنكرين"(قطب، 1983، 379).

ويقول ابن عاشور في سياق التّكرار في رؤوس:"إنّ تكرار" إذا" في أوائل الجمل المعطوفة دون ذكر العطف،لإفادة الاهتمام بمضمون كل جملة من هذه الجمل،ليكون مضمونه مستقلا في جعله علامة على وقوع مايوعدون"(ابن عاشور، 1980،224).أمّا تكرار اللاّزمة"ويل يومئذ للمكذبين""لقصد تهديد المشركين الذين يسمعون القرآن،وتهويل ليوم الفصل في نفوسهم ليحذروه .... فيحصل بتكراره تأكيد الوعيد"(ابن عاشور، 1980،224).ويصوّر مستوى الرّجيع في المحاورة يوم الآخر من خلال الخبر والإنشاء،أو من الوصف إلى الحوار، فيظهر الأسلوب أنّ المشهد حاضر يوجه فيه الخطاب،أو يدور فيه كقوله تعالى:

﴿ وَجَاءتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ*وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ*وَجَاءتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ*لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ*وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ*أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ*مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ*الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ*قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِن كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ*قَالَ لا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ*مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾(ق، 19 ـ 29).

فسياق المحاورة في الآية يعنى بتصوير مواقف الهول في يوم الآخرة،ذلك الهول الّذي يشمل الطّبيعة كلّها،ويغشى النّفس الإنسانيّة ويهزّها،ولا يكاد يخلو مشهد واحد من اشتراك الأحياء فيه،وقلّما تنفرد الطّبيعة بالهول إلا أن يدبّ فيها نوع من الحياة(الزحيلي، 1991).ونلمح هول يوم القيامة في ظلال نفسيّة،وخلجات شعوريّة من خلال بنية التّكرار الخالص في قوله تعالى:﴿ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ*وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ*وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ*لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾(عبس، 34 ـ 37).فالهول الذي يؤكده التّكرار من خلال لفظة "المرء"،هو هول تغشي يفزع النّفس،ويفصلها عن محيطها،ويستبد بها استبدادا،فلكل نفسه وشأنه،ولديه الكفاية من الهم الخاص به،وهذا الهم يصوره قوله" لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه"،فالهم يشغل الحسّ والضّمير.

وتشـــترك الطبـــيعة مع البشر في هول اليوم الآخر من خلال بنية التّرديد في قوله تعـــالى:﴿ الْقَارِعَـــةُ*مَـــا الْقَارِعَةُ*وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ*يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ*وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ﴾(القارعة، 1 ــ 5).

فترديد الفعل "يكون"يؤكد يوم القيامة من خلال لفظ"القارعة""والقارعة من الألفاظ الجديدة في القرآن،جديدة في إطلاقها على معنى يوم القيامة"(المــبارك، 1973، 45).وفي هــذه التّسمية ما يُلقي صورة القرع واللطم على حين غفلة،والموقف المعروض من خـــلال ترديد الفعلين"يكون"و "وتكون" موقف هول ماديّ يبدو النّاس في ظله ضئالا علـــى كـــثرتهم فهم"كالفراش المبثوث"في الاستخفاف،وتبدو الجبال الثّابتة في الدّال المـــردد"كالصـــوف المـــنفوش تتقاذفه الرّياح الهوج،فمن تناسق الأسلوب،أن تسمى القـــيامة بالقـــارعة،ليتسق الظّل الّذي يلقيه اللّفظ والجرس الذي تشترك فيه حروفه كلّها مع منظر النّاس كالفراش المبثوث والجبال كالعهن المنفوش.

وتكشـــف بنـــية المجـــاورة قصـــة فـــرعون وكيفية عذابه يوم القيامة في قوله تعـــالى:﴿ وَلَقَـــدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ*إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُواْ أَمْرَ فِـــرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ*يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَـــوْرُودُ﴾(هــود، 96 ــ 97). فالمجاورة ومن خلال لفظها " الورد المورود " ، تؤكد إمامـــة فـــرعون لأهـــل النّار ، لذلك جاء السّياق الّذي سبق بنية المجاورة بصيغة الماضـــي "فـــأوردهم " للتّنبيه على تحقق وقوع ذلك الإيراد ، وإلا فقرينة قوله "يوم القيامة " تدل على أنّه لم يقع في الماضي(ابن عاشور، 1980).

ثانيا:العذاب والنّعيم:

يهـــتم القـــرآن الكريم ومن خلال تشكيلاته التّكرارية في السّور المكيّة، والمدنيّة اهـــتماما كبـــيرا بـــتقرير حقـــيقة الـــيوم الآخر، وما فيه من نعيم وعذاب وجزاء وحساب،بل عدّه من أركان الإيمان الأساسية التي لا يصح إيمان بدونه،فيقول محمد عبدالله درّاز:

"على أساس فكرة كمال الله المطلق بنى القرآن الشّطر الأول من النظريّة الدّينية العامة،وهـــي أنّـــه لا شـــيء فـــي الوجـــود يستحق العبادة سوى الله الواحد

القهار،وبنفس الفكرة يؤسس القرآن أيضا الشّطر الثّاني من هذه النّظرية،وهي الإيمـــان بالحياة الأخروية،فكما أن الله هو الأوّل فهو الآخر إذ إليه مآلنا لنقدّم إليه أعمالنا،ونتلقى منه الجزاء الّذي نستحق"(دراز، 1981، 83).

وقـــد جـــاءت رســـالات السّـــماء مخبرة،ومبيـــنة بـــأن الجزاء الأخروي أمر حتمـــي،وحدوثه قطعي،فهـــناك يـــوم عظيم سيجتمع فيه كل الخلائق،وينصب أمامه مـــيزان العدل،فيجازى المؤمن على إيمانه،ويجازى الكافر على كفره،ثم يكون لكل مـــنهما مصـــير مســـتقر،فالمؤمن له الجنّة والنّعيم، والكافر له النّار والعذاب،فيقول تعالى :

﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ*وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ*عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ*تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً*تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ*لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إلا مِن ضَرِيعٍ*لا يُسْمِنُ وَلا يُغْنِـــي مِن جُوعٍ*وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ*لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ*فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ*لا تَسْمَعُ فِيهَا لاَغِيَةً ﴾(الغاشية،1 ــ 11).

فالسّـــياق فـــي الآيـــة يفتتح بالاستفهام"هل"،لتأكيد بلوغ خبر الغاشية،والاستفهام مستعمل في التّشويق إلى معرفة هذا الخبر لما يترتب عليه من الموعظة، فيأتي بعد هـــذا الاســـتفهام جملة الدّال الأول"وجوه يومئذ خاشعة"لبيان حديث الغاشية كما يفيد الظّـــرف مـــن قوـــله"يومـــئذ"،فـــالوجوه فـــي الدّال الأوّل جاءت نكرة،لبيان قصد العذاب،والوجـــوه كناية عن أصحابها؛لأنّ حالة الوجوه تُنبيء عن حالة أصحابها إذ الوجـــوه عـــنوان عمّا يجده صاحبه من نعيم أو شقوة،فلهذا تعلق بجملة الدّال الأوّل مـــتعلقات كثـــيرة تبين حالة الوجوه منها" تصلى نار حامية "" تسقى من عين آنية" "ليس لهم طعام إلاّ من ضريع "(مغنية، 1981).

فتأتـــي بعـــد هـــذه المـــتعلقات جملـــة الدّال المكرر"وجوه يومئذ ناعمة "،لبيان حالـــة النّعـــيم"الجـــنّة"فجملة الدّال المكرر خلت من العطف لتنزل"منزلة الاستطراد والتّتمـــيم"(ابـــن عاشور، 298،1980). من أجل إظهار الفرق بين حالي الفريقين،فالنّذارة تعقـــبها البشـــارة، فموقع هذه الجملة المستأنفة موقع الاعتراض.فالسّياق ومن خلال تكرار رؤوس الآيات موجه إلى الرّســـول صلى الله عليه وسلم؛لأن الوجوه الأولى وجـــوه المكذبيـــن، والوجـــوه في الدّال المكرر وجوه المؤمنين المصدّقين بما جاء به"(ابن عاشور، 1980).

فالسّـــياق الأســـلوبيّ للآيـــات ينقل النّفس في لحظات بين الهدوء الشّامل، والنّعيم الـــرائع لتنساب فيه وتتأمله بإعجاب، وبين الخوف الرّهيب،والعذاب الموجع، ترتاع مـــنه وتتصـــدع خوفـــا وهلعـــا. والحمـــيم شراب أهل النّار شراب مؤذ يلجأ إليه المجـــرمون، فيشـــربون فـــلا يرتوون بل يزداد أذاهم ويرد ذلك من مستوى تكرار رؤوس الآيـــات في قوله تعالى:﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ*لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّـــن زَقُّـــومٍ*فَمَـــالِؤُونَ مِـــنْهَا الْبُطُونَ*فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ*فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ*هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴾(الواقعة، 51 ــ 56).

فـــتكرار الآيـــة مـــن خلال الدّال الأول"فشاربون عليه من الحميم"،عطف على جملـــة"لآكلـــون من شجر من زقوم"، لإفادة تعقيب"أكل الزقوم"بـــ"شرب الهيم"، دون اســـتراحة، فيأتـــي الـــدّال المكـــرر" فشـــاربون شـــرب الهـــيم" ليؤكد جملة الدّال الأول،مستحضـــرا مـــن خـــلال هذا التّوكيد فضاعة الشّرب في النّار،فشربهم أمر عجيب"(ابن عاشور، 1980).

ومـــنه فـــي وصـــف الشّراب بالصّديد قوله تعالى:﴿ وَاسْتَفْتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ*مِّن وَرَآئِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِن مَّاء صَدِيدٍ*يَتَجَرَّعُهُ وَلاَ يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَآئِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴾(إبراهيم، 15 ــ 17).

...... من ورائه جهنم ويسقى من ماء صديد......

...... ومن ورائه عذاب غليظ

فالآيـــات تشـــير من مستوى تكرار رؤوس الآيات مع متن الآية التّالية لها إلى حـــدوث العذاب فقال"من ورائهم جهنّم"،فلفظة"الوراء" كما يقول ابن عاشور"مستعمل فـــي معـــنى مـــا ينـــتظره ويحـــلّ بـــه من بعد""(ابن عاشور، 311،1980)،فاستعير لّفظ "الـــوراء"لـــيؤكد الغفلة عن حصول الشّيء،والمعنى من الدّال الأول يشير أنّ جهنم تنـــتظره،فهو صـــائر إليها بعد موته،ولا يكتفي السياق بذكر جهنّم وإنّما يمتد ليشمل جملـــة"ويسقى من ماء صديد"،ليبين ويحدد الشّراب في نار جهنم بـــ"الصديد"،وتحديد الصّـــديد بالشّراب بلاغة في التّشبيه؛لأن شأن الماء أن يسقى والمعنى"ويسقى صديدا عوض الماء إن طلب الإسقاء"(الدرة، 1986، 211).

أما الدّال المكرر في متن الآية " ومن ورائه عذاب غليظ " ، لتأكيد العذاب الأوّل

والإتيان بعذاب آخر ليس بأخف مما هو فيه، ولذلك استعمل سياق التّكرار لفظة"غليظ""للدلالة على القوة والشّدة "(ابن عاشور، 1980، 311).

وفي التّكرار الخالص نجد حالة أهل النّار،وأنّ لهم عذاب الحريق باعتبارها من المغيّبات الّتي تحتاج إلى تأكيد أقوى من غيرها كقوله تعالى:﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾(البروج، 10).

..... عذاب جهنم.....

..... عذاب الحريق ...

فتكرار جملة"ولهم عذاب الحريق"عطف في معنى التّوكيد اللّفظيّ لجملة الدّال الأوّل"ولهم عذاب جهنم"،واقتران جملة الدّال الأوّل بواو العطف للمبالغة في التّأكيد بزيادة ومضاعفة العذاب لهم و"تحريقهم"(الشوكاني، 1994، 501).

وأشارت الآيات المكيّة ومن خلال بنية التّرديد إلى حرمان أهل النّار من الماء،وجرى ذلك في المحاورة بين أهل الجنّة وأهل النّار في قوله تعالى:﴿ وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُواْ عَلَيْنَا مِنَ الْمَاء أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللّهُ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾(الأعراف، 50).فعبر سياق الآية عن الحرمان بـ"النّداء"،والنّداء المتسلط على الدّالين المرددين خطاب من أصحاب النّار إلى أصحاب الجنّة،ليخصّص كل فريق بعنوانه أصحاب النّار محرومون،وأصحاب الجنّة منعّمون"(ابن عاشور، 1980).

فيرسم التّرديد الصّورة الرّهيبة لأصحاب النّار،وقد حرموا الماء فيأتيهم الجواب من أصحاب الجنّة "إنّ الله حرمها على الكافرين"،فالنّداء والتّرديد يشيران إلى عدم الرّحمة لأهل النّار.

وتوضح بنية المجاورة أن شراب أهل النّار المهل في قوله تعالى:﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاء كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءتْ مُرْتَفَقًا ﴾(الكهف، 29).

فتكرار المجاورة"إن يستغيثوا يغاثوا"تسلط عليه فعل الكفر من خلال الأمر

المســـتعمل للمستقبل،والاستغاثة في الدّال الأوّل طلب الغوث من حرّ جهنم،فيطلبون شيئا يبرد عليهم،فيغاثوا في الدّال المجاور بماء كالمهل يشوي الوجوه و"الإغاثة لفظ مســتعار للزّيادة مما استغيث من أجله على سبيل التّهكم"(الألوسي،د.ت، 255)،وهو" من تأكـيد الشّـــيء بما يشبه ضده""(ابن عاشور، 1980، 308)،فلفظ المجاورة"يغاثوا"وضّحت نوع الماء الّذي يغاثوا به في نار جهنّم.

أمّـــا بنـــية تشابه الأطراف فتبين لنا عناد أصحاب النّار وإصرارهم على الكفر ومن ثم الدّخول في نار جهنّم في كقوله تعالى :

﴿ وَيَـــا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ *تَدْعُونَنِي لأَكْفُرَ بِاللَّـــهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ *لا جَــرَمَ أَنَّمَـــا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلا فِي الآخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴾(غافر، 41 ــ 43).

فـــتكرار الفعـــل"تدعونني"ما بين الدّعوة إلى النّار،والدّعوة إلى الكفر تأكيد على إصـــرار أهـــل الكفـــر علـــى كفـــرهم،فجملة الدّال المجاور" تدعونني لأكفر"بيان لجملـــة الـــدّال الأوّل" تدعونـــــي إلـــى النّار" فيقول القنوجي:" أتى بالجملة الفعليّة فـــي الـــدّال المجاور،لـــتدل علـــى أن دعوتهـــم باطلـــة لا ثـــبوت لهـــا،وأتى بالجملـــة الاسمية "وأنا أدعوكم" لتدل على ثبوت دعوته عليه السّلام،وبطلان دعوتهم بكفرهم"(القنوجي، 1989، 194)،وفعل الدعوة"تدعونني"في سياق الآية تمت تعديته بحرف الجـــر"إلـــى"أربـــع مـــرات وفـــي ذلـــك يقـــول ابـــن عاشور:" لأن حرف الجر إلـــى دال علـــى الانتهاء ؛ لأنّ الّذي يدعو أحدا إلى شيء إنّما يدعوه إلى أن ينتهي إلـــيه""(ابـــن عاشـــور، 1980، 153).فتنتهـــي الدّعـــوة فـــي بنـــية تشابه الأطراف إلى الكفر،والشّرك ، ومن ثم الجزاء بنار جهنم .

وتكرر ذكر الجنّة " النّعيم " من خلال مستويات التّشكيل التّكراري، وفي تكرار رؤوس الآيـــات نلمس لونا من السّمر اللطيف بين أهل الجنّة في قوله تعالى:﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُـــهُمْ عَلَـــى بَعْضٍ يَتَسَاءلُونَ *قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ *فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ *إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴾(الطور، 25 ــ 28).

.......قالوا إنا كنا قبل في أهلنا.........

........إنا كنا من قبل ندعوه............

فالآيات ومن خلال تكرار رؤوس الآيات توضح مشهد السّمر والذّكريات، حيث يــتذاكرون أسباب النّعيم الذي هم فيه"قالوا إنا كنّا من قبل في أهلنا مشفقين"،خائفين مـــن هذا اليوم،فيأتي الدّال المكرّر" إنّا كنّا من قبل ندعوه إنّه هو البّر الرّحيم"،ليبين سرّ النّعيم الّذي هم فيه،وجملة الدّال المكرّر تعليل لمنّة الله عليهم،وثناء على الله بأنّه اســتجاب لهــم"(ابــن عاشــور، 1980)وحذف من السّياق متعلق الفعل ندعوه في الدّال المكرر،"للتّعميم""(ابن عاشور، 1980، 54)،من أجل الدّعاء لأنفسهم ولذرياتهم، بالنّجاة من النّار،وبــتكرار رؤوس الآيـــات نلمس أن دعاء الصّالحين لأبنائهم،وذرياتهم مرجوّ الإجابة.وبنية المجاورة ومن خلال سياقها تعدد نعم الجنّة الكثيرة،وفواكهها في قوله تعــالى:﴿ وَالسَّـــابِقُونَ السَّـــابِقُونَ*أُولَـــئِكَ الْمُقَـــرَّبُونَ*فِـــي جَـــنَّاتِ النَّعِيمِ*ثُلَّةٌ مِّنَ الأَوَّلِيـــنَ*وَقَلِـــيلٌ مِّنَ الآخِرِينَ*عَلَى سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ*مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ*يَطُوفُ عَلَـــيْهِمْ وِلْـــدَانٌ مُّخَلَّـــدُونَ*بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ*لا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلا يُنزِفُونَ*وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴾(الواقعة، 10 ــ 20).

فتكرار المجاورة"السّابقون السّابقون"،بيان لصنف من أهل الجنّة،وأن حالهم بلغت منـــتهى الفضل والرّفعة،حيث لا يجد المتكلّم خبرا يخبر به عنهم أدّل على مرتبتهم مـــن اســـم "السابقون""(ابـــن عاشور، 287،1980).فهذا الخبر أبلغ في الدّلالة على شرف قدرهـــم مـــن الإخبار بخيره من الأسماء والصّفات،وحذف متعلق"السّابقون"في الدّال الأوّل والـــدّال المجاور لقصد"جعل وصف السّابقون بمنزلة اللّقب لهم،وليفيد العموم أي إنّهـــم ســـابقون في كل ميدان تتسابق إليه النّفوس"(ابن عاشور، 1980، 287).وتشير دلالة السّبق إلى أقصى ما يطلبه الطّالبون.

وتشـــير بنـــية المجـــاورة إلى تكريم أهل الجنّة بسلام الملائكة عليهم في قوله تعـــالى:﴿ لا يَسْـــمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلا تَأْثِيمًا*إِلا قِيلا سَلامًا سَلامًا﴾(الواقعة، 25).فتكرار لفظـــة"ســـلام"في سياق الآية يشير إلى كثرة المسلّمين،فهو مؤذن مع الكرامة بأنّهم معظّمون مبجّلون ، ويفيد اللّفظ المجاور " سلاما " التعاقب ، أي سلاما إثر سلام.

وهـــذا القيل يتلقونه من الملائكة مما يجعل السّياق يأتي بـــلفظ "سلام" منصوبا دون الـــرفع،لجعلها بدلا من"قيلا".وتحدث بنية المجاورة مقابلة نفسية وموسيقية بين أهل النّار وأهل الجنّة في قوله تعالى:

﴿ كَـــلا إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكًّا دَكًّا*وَجَاء رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا*وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإِنسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى*يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي*فَيَوْمَئِذٍ لا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ*وَلا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ*يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ*ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً*فَادْخُلِي فِي عِبَادِي*وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾(الفجر، 21 ـ 30).

ففـــي وسط هذا الرّوع،ومن خلال هذا الهول الّذي ترسم صورته الآيات وهي تـــبرز لنا ذلك العرض العسكريّ بعرف البشر،والّذي تشترك فيه جهنّم،يبرز السّياق الصّورة المقابلة للنّعيم حيث يقول الله تعالى لمن آمن بعطف ولطف:﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِـــنَّةُ*ارْجِعِـــي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً*فَادْخُلِي فِي عِبَادِي*وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ فـــنلمس من تكرار بنية المجاورة وتكرار الفعل"ادخلي"الموسيقى التّوقيعية المصاحبة لهـــذا الموقف،مطمئنة متماوجة راضية بما قسم الله لها،ويبرز كذلك من هذا التّكرار الحالة النّفسية لكل فريق،وهذا من عظمة التّعبير السّياقي وروعة التّأثير في القرآن.

ثالثا : القصص والتّاريخ:

من أوضح وأظهر مظاهر التّكرار القصص القرآني،سواء كان قصص أنبياء أم قصـــص أقـــوام"ولا يكـــاد القـــرآن يذكـــر قصة نبي أو قوم،أو حدث في موضوع واحـــد إلا نـــادرا كقصــــة نبـــي الله يوسف عليه السلام الّتي لم ترد إلا في سورة يوســـف"(الخـــالدي، 2000، 314).والقـــرآن يكـــرر القصـــص،وينوّع في أسلوب ذلك الـــتّكرار،ويفرق لقطـــات ومشاهد القصة،ويوزعها على سوره وآياته،وهو في كل موضـــع يذكر اللقطة أو المشهد الذي يتناسب مع السّياق الّذي ورد فيه،ويتوافق ذلك الجـــزء المعروض من القصة مع ما قبله وما بعده من آيات" فالقرآن يضيف جديدا فـــي كـــل موضع من مواضع ذكر القصة تتمثل هذه الإضافة في معلومة جديدة،أو فكرة جديدة ،أو تأكيد لما سبق عرضه"(الخالدي، 2000، 314).

ويأتـــي موضـــوع القصص كموضوع متجدد ما بين العهد المكيّ والمدنيّ " ليعمّق العقـيدة في النّفوس،ويبصّر بها العقول،وتحي بها القلوب،ويسلك لتلك المهمة أحسن الطرق إمتاعا وإقناعا،إمتاعا للعاطفة، وإقناعا للعقل"(عباس، 10،1987).ومن المعلوم أن القصّـــة بصـــفة عامـــة لا بد لها من عناصر،وإلاّ لم تكن هناك قصة،وأهم عناصر القصة التي ترد من خلال التّشكيلات التّكراريّة:

أولا:الشّخصـــية:وهـــي الـــذّات الّتـــي تصـــنع الأحـــداث فـــي القصة،وتدور معها،والشّخصـــية قـــد تكـــون بشريّة، وقد تكون غير بشرية كالملائكة،وكما تكون الشخصية فردا تكون جماعة أيضا.

ثانـــيا:الحدث:وهو الموضوع الّذي تشتمل عليه القصة،والقصة لا تخلو بأي حال مـــن الأحـــوال عـــن الحدث أو الأحداث،وكثيرا ما يعرض الحدث مجردا عن ذكر الـــزمان،والمكان اللّذين وقع فيهما، وأحيانا يشتمل الحدث على ذكر الزّمان والمكان أو أحدهما،إذ كان لأحدهما مجال في سير الحادثة،ويتعلق الغرض بذكره.

ثالـــثا:الحـــوار:وهو الكلام الذي يدور بين الأشخاص في القصة سواء كان بين شخصين أو أكثر.

أولا:الشّخصية:

والشّخصـــية ترد في بعض القصص القرآني محورا تدور حوله الأحداث فتؤثر فيها،وتـــتأثر بها،والقرآن الكريم لم يبرز هذا العنصر لذاته،ولكن للتأسي بالشّخصية الخيرة،والتّنفـــير مـــن الشّخصية الشّريرة،لذلك لم يعن القرآن الكريم برسم الخطوط الشّـــكلية للشّخصـــية، وإبـــراز ملامحهـــا الخارجـــيّة كمـــا يفعل بعض المولعين بالقصـــص،فيذكرون مثلا طول الإنسان،وقصره ولون بشرته وشعره،وتشبيه نبرات الصـــوت؛ لأنّ هذه الأوصاف لا تخدم أي غرض دينيّ من أغراض القصّة القرآنيّة والمقصـــود بالشّخصيّة البشريّة في إطار القصّة القرآنيّة أن تكون الذات الّتي يدور حولهـــا القصـــص القرآنـــي مـــن البشر سواء أكان رجلا أو امرأة.رسولا أو غير رسول،صالحا أو غير صالح.

ويأتي مـــن مستـــوى تكرار رؤوس الآيات مـــع المتن نمو الشخصية،وهو من

المظاهـــر الدّالـــة علـــى إعجاز القرآن الكريم،والنّمو الغالب في الشخصية القرآنية هـــو"نمـــو العقـــيدة "(الطـراونه، 1989، 225)، والـــنّمو" لا يكـــاد يـــرى إلا فـــيما ندر" (الطـراونه، 1989، 225). ولكنّه يأتي" مساوقا لتدفق الأحداث، وملتئما مع مجريات المواقف،إلا أنّه في أغلب أحواله خال من التّفصيل الكافيّ "(الطراونه، 1989، 225).

ومـــثاله رحلـــة إبراهـــيم عليه السّلام في عالم الإيمان عن طريق الفطرة،فقوم إبراهـــيم كـــانوا يعـــبدون الكواكب، والنّجوم، وكل منها رمز إله لشأن من شؤون الحياة،فلذلك تدرج إبراهيم في عبادته من عبادة كوكب ما لم يذكره القرآن إلى عبادة القمر،ثم عبادة الشّمس، وأخيرا آمن بالله الّذي خلقهن فقال تعالى:

﴿ وَكَذَلِـكَ نُـرِي إِبْرَاهِـيمَ مَلَكُـوتَ السَّـمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِـيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ*فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَـذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ*فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَـذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِـي رَبِّي لأكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ * فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَـذَا رَبِّـي هَـذَآ أَكْـبَرُ فَلَمَّـا أَفَلَـتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْـرِكُونَ*إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾(الأنعام، 75 ــ 80).

فـــتكرار رؤوس الآيات يثبت نمو العقيدة لدى سيدنا إبراهيم،فسياق التكرار،ومن خـــلال شخصية سيدنا إبراهيم التي تدرجت في عبادة ما يعبد قوم إبراهيم يصل إلى عبادة الله خالق هذه الكواكب فقال لقومه ومصرحا لهم" إني بريء مما تشركون".

فقول إبراهيم لقومه" إني بريء مما تشركون"، بعد هذا التدرج" إقناعا لهم بأن لا يحـــاولوا موافقـــته إيـــاهم على ضلالهم؛ لأنّه لما انتفى استحقاق الإلهيّة عن أعظم الكواكب الّتي عبدوها،فقد انتفى عمّا دونها بالأحرى"(ابن عاشور، 1980، 322).

ويثبت السّياق ومن خلال بنية ردّ العجز في الآيات نفسها" فلما أفل قال إني لا أحب الآفليـــن"،عـــدم إلهيّة هذه الكواكب، وعبر عنها السّياق بالأفول دون السّطوع،ونجده يعلق براءته من الشّرك حينما أثبت أن أكبر الكواكب، وهي الشّمس لا تصلح للعبادة ثـــم يعلـــن أنّـــه وجـــه وجهـــه للّـــذي فطر السّماوات والأرض حنيفا،فأتى السّياق بلفظ"حنيفا""لأن الحنف هو الميل عن الباطل"(علي،أحمد، 1992، 71).

﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ إِنِّـيَ أَخَـافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ*قَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَـلاَلٍ مُّبِيـنٍ*قَـالَ يَـا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلاَلَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِيـنَ*أُبَلِّغُكُـمْ رِسَـالاَتِ رَبِّـي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُـونَ*أَوَعَجِبْـتُمْ أَن جَاءكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُواْ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ*فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْماً عَمِينَ ﴾(الأعراف، 59 ــ 64).

فسـياق الـتّكرار يـبدأ من خلال المحاورة بين"الأمر" و"الجواب" ليؤكد صدق رسالة نوح عليه السّلام التي جاءت بالتّوحيد،فقال: "يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غـيره إنّـي أخـاف عليكم عذاب يوم عظيم"، ولكن الملأ ذوي الوجاهة من قومه المعجبين بأنفسهم قالوا له:"إنّك في ضلال مبين"،فردّ عليهم بكل رقة،ومنطق وتسامح يا قوم ليس بي ضلالة،ولكنّي رسول من ربّ العالمين"،ليشكل مستوى المحاورة في النّهاية نتيجة العناد،وهو الهلاك المحتم لقوم نوح عليه السّلام(أبو حيان، 1983).

ويـبرز تكـرار اللاّزمـة بيـن الفواصـل دليلا على أسباب هلاك قوم نـوح وعاد،ويـبرز كذلـك هـلاك الأمم،والجماعات والأفراد،وقد فصّل ذلك تفصيلا في سورة القمر،والمرسلات فقال تعالى:

﴿ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ*تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاء لِّمَن كَانَ كُفِرَ*وَلَقَد تَّرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ*فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ*وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْـرِ فَهَـلْ مِن مُّدَّكِرٍ*كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ*إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ*تَنزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ*فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾(القمر، 13 ــ 21).

فالآيات ومن خلال الدّوال جاءت إثر الحديث عن تكذيب أهل مكة للرّسول عليه السّلام والّذين كذّبوا،ولم يحملهم على هذا التّكذيب شكهم في الآيات أو عدم اقتناعهم بها،وإنّمـا الّذي حملهم شيء واحد هو" اتّباع الهوى"(عباس، 69،1987)،مع أنّه جاءهم من الأنباء ما يكفي لزجرهم عن غيّهم،فما أعظم العذاب وما أشدّ النذر لهم،وهذا ما أكـده تكـرار فواصـل الآيـات"فكـيف كان عذابيّ ونذر"، فيكون التّكرار أعطى الموضوع تهويلا،وتعجبا من أمر القوم المكذّبين للرّسل(القنوجي، 1989).

ويأتـــي تـــرديد الأفعال ويكشف لنا عن شخصيّة موسى عليه السّلام،وأنّها تأنس بالـــنّار في قوله تعالى:﴿ فَلَمَّا قَضَى مُوسَىالأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾(القصص ، 29).

فترديد الفعل"آنس"يدل على أنس موسى عليه السّلام بالنّار،فالسّياق يشير إلى أنّ موسى أبصر ورأى نارا بجانب جبل الطّور،فاستبشر بها خيرا؛ لأنّها ستحل المشكلة الّتـــي يمـــرّ بها،حيـــث رجـــا أن يجـــد عـــندها أحدا يسأله،وهذا واضح من ترديد الفعـــل الأوّل" أنـــس مـــن جانـــب الطّور نارا"فلما آنس النّار من بعيد استبشر بها خـــيرا،فقال لأهلـــه فـــي الدّال المردد"امكثوا إني آنست نارا"،ثم ذكر لهم ما يتوقع ويـــرجو أن يجـــده عـــندها"لعلـــي آتـــيكم مـــنها بخـــبر أو جذوة من النّار لعلكم تصـــطلون"،فالإيـــناس فـــي الدّاليـــن ولّد لموسى عليه السلام"الاستبشار والطّمأنينة والسّكينة والرّجاء"(الخالدي، 206،2000).

فالإيـــناس فـــي الدّاليـــن المرددين هو إبصار بالعين،واستئناس بالنّفس والقلب والمشـــاعر والأحاســـيس،"وكـــل إيناس إبصار وليس كلّ إبصار إيناس، فإن رأى الإنسان ما يسره،ويستبشر به ويأنس إليه يقال آنسه،وإن رأى ما لا يسره رؤيته ولا يأنس إليه يقال:رآه أو أبصره"(الخالدي، 206،2000).

والقـــرآن الكـــريم قصّ علينا حال المرأة وهي ملكة ذات دولة وسلطان،ومركز مـــرموق،ولها مكانـــتها العظيمة بين قومها، هذه المرأة تمثلها شخصية بلقيس ملكة سبأ التي عرفت بالعقل والحكمة والتّفكير السّليم وهي في نفس الوقت تمثل المرأة الواعـــية الحازمـــة المتفهمة للأمور، الحكيمة في تصرفاتها، ويتضح ذلك من خلال مستوى الرّجيع في المحاورة وترديد الأسماء في قوله تعالى:

﴿ قَالَـــتْ يَـــا أَيُّهَـــا المَـــلأُ أَفْتُونِـــي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْـــهَدُونِ*قَالُوا نَحْنُ أُولُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَـــاذَا تَأْمُرِيـــنَ*قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَـــا أَذِلَّـــةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ*وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴾(النمل، 32 ــ 35).

ويظهر جانب من خصائص الأنوثة متمثلا في عذراء طاهرة متبتلة يمتلكها الرّعب والخوف والهلع. إذ تجد نفسها فجأة في خلوة مع الملك الّذي تمثل لها رجلا.فتجمع قوتها معتمدة على إيمانها بالله؛ لأنّها خادمة بيته المقدس، فتثير في هذا الرّجل الماثل أمامها مشاعر التّقوى والخوف من الله ونرى هذا واضحا من مستوى الرّجيع في المحاورة، وترديد الاسم والحرف في قوله تعالى:

﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا*فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا*قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَن مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا*قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لأَهَبَ لَكِ غُلامًا زَكِيًّا*قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴾(مريم، 16 ــ 20).

فسياق التّكرار في الآية حذف حرفي الواو والنّون من الفعل النّاقص المجزوم"أك"للتّخفيف،حيث خفف الفعل من الواو والنّون،ليتوافق ذلك مع التّخفيف من شدة موقف الملك المتمثّل لها بشرا(الخالدي، 2000).

ويظهر للمرأة في القصص القرآني جانب آخر يتمثل في عاطفة الأمومة، والّتي لا تتحقق ولا تتمثل في سواها، وكذلك الحنان الأنثوي،والعطف الإنسانيّ لا نراه بذلك القدر الّذي نراه في المرأة في قوله تعالى:

﴿ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ*وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلا أَن رَّبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ*وَقَالَتْ لأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ*وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ*فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ ﴾(القصص،9 ــ 13).

فالتّكرار الخالص من خلال لفظة"الأمّ"يثبت لنا العطف والحنان الّذي لا يمكن أن يكون في غير المرأة،وإن وجد فلا يكون بهذا القدر وهذه الطّريقة.

ويظهر من خلال بنية المجاورة صورة امرأة العزيز وهي عاشقة،ومنتقمة

لكبريائها في قوله تعالى:

﴿ ولَمَّا بلَغَ أَشُدَّهُ آتيْنَاهُ حُكْمًا وعِلْمًا وكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ*ورَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِه وغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ*ولَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ والْفَحْشَاء إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ*واسْتَبَقَا الْبَابَ وقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاء مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوَءًا إِلاَّ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾(يوسف، 22 ــ 25).

فبنية المجاورة تظهر امرأة العزيز عاشقة،ومفتتنة بجمال يوسف عليه السّلام،وتطغى عليها العاطفة،ويستبد بها الغرام، فتراوده عن نفسه في مخدعها،فيعصمه الله من الوقوع في هذه الزّلة،فيأبى أن يلبّي طلبها ويستعصم،فتكيد لـه وتتهمه باطلا أمام زوجها.ومع حبها في الانتقام منه؛لأنّه جرح كبريائها،ورفض طلبها،فهي عاشقة لهذا، وتخاف عليه من الانتقام الّذي يؤدي إلى الموت،فتشير بالعقاب المأمون إبقاء على حبها له.

وتظهر شخصية الملائكة شخصية بارزة في القصص القرآني، ويرد ذلك من بنية المجاورة في قوله تعالى:﴿ ولَقَدْ جَاءتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُواْ سَلاَمًا قَالَ سَلاَمٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَاء بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴾(هود، 69 ــ 71).

فبنية المجاورة تدلنا على كرم إبراهيم،وجميل صفاته في ردّ سلام الملائكة،فسلام الملائكة جاء منصوبا؛لأنّه مفعول لفعل محذوف والتّقدير"فسلّم سلاما"،ولكن سلام إبراهيم عليه السّلام جاء مرفوعا؛لأنّه مبتدأ أي سلام عليكم،فسلام إبراهيم جاء في جملة اسميّة،وسلام الملائكة جاء في جملة فعليّة، والفرق بين الجملتين"أنّ الفعليّة تدل على الحدوث، بينما الاسمية تدل على الثّبوت والدّوام والاستمرار ، فكانت تحيته أبلغ من تحيتهم"(علي،احمد، 77،1992).وبعد هذه التّحية الطّيبة الّتي تدل على كرم صاحبها يبالغ عليه السّلام في إكرامهم،ويأتي بالعجل الحنيذ"وهو المستوى الأعلى في الكرم ، فكان يعتبر هذا الطعام سيّد الأطعمة،لأنّه من الطعام الشّهي المحبب إلى النّفوس"(علي،احمد، 77،1992).

وتشكل بنية المجاورة دليلا على الشّخصية الطّالحة الّتي يتمثّل فيها الشّر والكيد في قوله تعالى:﴿ قَالَ يَا بُنَيَّ لاَ تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾(يوسف،5).فالآية تشير إلى رؤيا يوسف وكيد اخوته،فبنية المجاورة تؤكد الكيد في الخفاء ضد يوسف،ولأجل هذا الخفاء في الكيد أخفت الآية المفعول به،وجاءت بلام التعدية والمصدر،فخفاء المفعول به في الآية يتناسب مع الخفاء في الكيد فقال فيكيدوا لك كيدا،ولم يقل يكيدوك كيدا،فيقول الزّمخشري:"ضمّن فعل يكيدوا لك معنى فعل يتعدى باللاّم،ليفيد معنى فعل الكيد،مع إفادة معنى الفعل المُضمّن،فيكون بذلك أكثر بلاغة بالتّخويف،ولذلك جيء بالمصدر "كيدا"(الزمخشري،د.ت،ج 2،444).

ثانيا:الحدث:

والحدث هو الموضوع الّذي يدور حوله عنصر الأشخاص والحوار، ويعتبر الحدث من أهم عناصر القصّة؛لأنّه يمكّن الوصول إلى قلب القصة.وترى الدّراسة أن الحدث في القصص القرآنيّ من حيث طريقة أسلوبه تختلف طبيعته حسب التّشكيل التّكراري،فهناك الأحداث العاديّة البسيطة، وهناك الأحداث الطّويلة المركبة مثل قصة بني إسرائيل. ويأتي من خلال بنية التّكرار الخالص للمفردات، وترديد الأفعال الحدث الّذي يأتي نتيجة القضاء والقدر في القصة كقوله تعالى:

﴿ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ*نَتْلُوا عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ*إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ*وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ*وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ*وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلا تَخَافِي وَلا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ*فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾ (القصص، 2 ـ 8).

فسياق الآيات والتّرديد في الآيات يبرز عنصر القضاء والقدر في الحدث"ذله

مـــداه البعـــيد فـــي النّفس، ذلك أنّ القدر الخفي الّذي يسيّر الأحداث الواردة فيه قوة عظيمة كامنة في أسرار الغيب، ولكنّها واعية عادلة لما تتجلى عنه في عالم الشّهادة مـــن عـــناية الله بالمخلصـــين الأخـــيار، وإن كـــانوا ضـــعفاء، ولا ريب أن هذه النّتائج،والعواقـــب يطمئـــن إلـــيها المؤمنون،فـــيزدادون بـــالله وبحكمـــته وعدلـــه إيمانـــا "(الـنقرة، 1976، 350 ـ 351).ويقـــول ســـيد قطـــب"فالأحداث الّتي جرت فيها قصـــة مولـــد موسى تنكشف إرادة الله فيها،وتحدّي القدر فرعون،رغم شدة حرصه علـــى قـــتل أيّ طفـــل ذكـــر حـــذرا مـــن أن يكـــون هلاكه على يديه،كما أخبره بذلك الكهنة،ولكن يد القدر تقتحم بالوليد على فرعون قلب امرأته بعد ما اقتحمت به عليه حصنه"(قطب، 1983، 26).

فســـــياق الـــتّكرار يثبت أن لفرعون، وشيعته حسابا أرادوه،ونفذوه بقتل كل مولـــود ذكـــر، وكـــان للقدر، وإرادة الله شيء آخر،فيتربى الطّفل موسى الّذي كان يخشـــاه فـــرعون من هلاك ملكه على يديه في بيت فرعون، وينشأ ويترعرع على مـــرأى ومســـمع منه.حقا إنّها إرادة الله،فالله عزّ وجل يتولى برعايته وعنايته عباده الصّـــالحين فـــلا تمـــتد إلـــيهم يـــد آثمـــة، والله ســـبحانه وتعالى يحول بين المرء وقلبه،فيصـــرف القلـــوب كمـــا شاء تنفيذا لمشيئته،فكان تدخل القدر من خلال بنى التّكرار في الآيات خفيّا؛لأنّ نتائجه لم تنكشف إلاّ بعد وقوعها.

ويأتـــي مـــن مســـتوى الرّجـــيع فـــي المحـــاورة الأحداث الناشئة عن خوارق العادات،فـــنرى أنّ الله تعـــالى يرسل الرّسول إلى أمّة معينة فيطلبون منه أن يأتيهم بالآيـــات والبّراهيـــن الدّالـــة علـــى صدق دعوته،ويؤيده الله بالمعجزة الخارقة عن العادة،والّتي هي بمثابة "صدق عبدي فيما يبلّغ عني"(علي،أحمد، 1992، 113)،ولكنّهم مع علمهم بصدقه يكذّبونه،ويعاندونه ويكابرون في قبول دعوة الحق،ومثال ذلك واضح في جل قصص القرآن مما يأتي من هذا المستوى التّكراري فيقول تعالى:

﴿ وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ*حَقِيقٌ عَلَى أَن لاَّ أَقُـــولَ عَلَـــى اللّـــهِ إِلاَّ الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ*قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ*فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ*وَنَزَعَ يَـــدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاء لِلنَّاظِرِينَ*قَال

الْمَـلأُ مِـن قَـوْمِ فِـرْعَوْنَ إِنَّ هَـذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ*يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّـنْ أَرْضِـكُمْ فَمَـاذَا تَأْمُـرُونَ*قَـالُواْ أَرْجِـهْ وَأَخَـاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَآئِـنِ حَاشِـرِينَ*يَـأْتُوكَ بِكُـلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ*وَجَاء السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَـالْوَاْ إِنَّ لَـنَا لأَجْـرًا إِن كُـنَّا نَحْـنُ الْغَالِبِيـنَ*قَالَ نَعَمْ وَإَنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾(الأعراف، 104 ـ 114).

فسـياق الآيـات ومـن خلال مستوى التّكرار يبدأه موسى بتبليغ دعوته تبليغا مباشـرا إلى فرعون دون قومه؛ لأنّه هو الأصل، وبإيمانه يصير الباقي تبعاله وبيّن لـه موسـى أنّـه حريص على قول الحقّ،وخاصة إذا كان هذا القول عن الله عزّ وجـل"حقـيق علـيّ أن لا أقـول علـى الله إلاّ الحـق". فيطلب منه فرعون أن يبرهـن،ويدلّل على صدق دعواه بعدما أخبره موسى عليه السلام،أنّه جاءه بمعجزة مـن الله ظاهرة لكل العيان لا يرتاب فيها عاقل" قال إن كنت جئت بآية فأت بها إن كنـت مـن الصـّابرين"،وقـول فـرعون هـذا يدل على الشّك والرّيبة في صدق موسى،وهذا الشّك واضح من ذكر كلمة " إنّ"، والّتي تدل على الشّك مرتين في آية واحدة،فيأتـيه موسـى بآيتيـن لا بآية واحدة من غير بطء ولا تهيّب، وكانت الآية الأولـى تتمـثّل فـي عصاه الّتي ألقاها أمام فرعون،فصارت ثعبان يتحرك،والثّانية تتمثّل في يده الّتي نزعها من جيبه .

وتـرى الدّراسـة أن القرآن الكريم بعرضه أحداث القصص إنّما يقصد العناية بالإنسان،فيقول التّهامي النّقرة:

" ومـن هـنا كانـت عـناية القـرآن بالـنّفس البشـريّة أثناء عرضه للأحداث،تفوق عنايته بأي شيء آخر يختار من الأحداث ما كان أقواها تأثـيرا فـي الـنّفس ، وأكثر استجابة للغرض الدّيني،ويتّضح ذلك من قصـه لجملـة مـن الأحداث تفصل بينها قرون ،وبيئات مختلفة،ولكن تجمـع بيـنها وحـدة الهـدف ، إذ هـي تخـدم غرضـا دينيا"(النقرة، 1976، 358 ـ 359).

والقصص القرآني لا يقنعنا بوقوع تلك الأحداث،وأسبابها بالمحاكمات والبراهين والوثائق فقط،وإنّما يقنعنا أيضا بشيء آخر من التّلقين المفاجيء الّذي يكشف لنا عن

الأشياء ويحملنا على التّصديق بها؛ لأن الإقناع العقليّ يكون غير ملزم دائما، بينما الإقـــناع الوجدانيّ له أثر حتميّ في معظم الحالات إن لم نقل في جميعها،ويرد ذلك فـــي بيان سبب هلاك الأقوام، وتوضح بنية ردّ الأعجاز ذلك في قوله تعالى:﴿ وَأَخَذَ الَّذِيــنَ ظَلَمُــواْ الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ*كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَا أَلاَ إِنَّ ثَمُودَ كَفرُواْ رَبَّهُمْ أَلاَ بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴾(هود، 67 ـ 68).

فيشـــير التّكرار ومن خلال مؤكداته الّتي سيطرت على السّياق أن ثمود أهلكوا بالصّـــيحة،ولذلك عبّر عنهم بلفظ " الّذين ظلموا"" للإيماء بالموصول إلى علة ترتيب الحكـــم،إي لظلمهم،وهو ظلم الشّرك"(ابن عاشور، 1980، 114).وفي عرض حدث هلاك قـــوم ثمـــود تعـــريض بمشـــركيّ أهل مكّة،بالتّحذير من أن يصيبهم مثل ما أصاب أولئك؛لأنّهم ظالمون أيضا"(ابن عاشور، 1980).

وتـــرى الدّراسة أن ترهيب القرآن بقوة الله وجبروته من خلال روعة الأحداث الّتـــي يعرضـــها لا تثـــير في النّفوس خوفا غامضا من المجهول؛ لأنّها ليست قوة غاشـــمة تخبط خبط عشواء كما يقال، ولكنّها قوة مبصرة يقودها الحقّ والعدالة،لذلك نـــرى القـــرآن يتعقّب تلك الأحداث يبررها أو يفسّر أسبابها،أو يبرز مواطن العبرة فـــيها حـــتّى يكون لها وقعها في النّفوس بما يستخدم في التّعقيب عليها من أساليب التّذكير،والوعظ والحثّ والزّجر والاعتبار والتّقرير(ابن عاشور، 1980).

ثالثا:الحوار:

يأتي الحوار في القصص القرآنيّ بأسلوب الحكاية؛ "لأنّه من أعقد الأساليب في إقامـــة بناء فنّي متماسك"(الخطيب،د.ت، 123).فالقرآن من خلال هذا المستوى التّكراري لـــم يلـــتزم نهجـــا واحدا في إقامة البناء الحواريّ؛ لأنّ ذلك معناه"الخضوع للآلية الحتميّة، الّتي من شأنها أن تقضي على الحريّة المطلقة، والّتي ينبغي أن يولد العمل الفنّي في جوّها، وأن يتنسّم أنسامها،وإلا اختنق ومات، أو ولد ميتا"(الخطيب،د.ت، 123).

لهذا نجد القرآن يذهب بالأسلوب الحواريّ كل مذهب،ويلوّنه ألوانا مختلفة،حسب مقتضى الحال،ودواعي المقام،فمن المشاهد القصيرة الّتي يظهر فيها الحوار مفصّلا

غير مجمل قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَاء مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأتَيْنِ تَذُودَانِ
قَالَ مَا خَطْبُكُمَا
قَالَتَا لا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاء وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾(القصص، 23).

فهـذا التّفصـيل في جوابهما من خلال تكرار المحاورة على سؤال موسى كان أمـرا لا بـد مـنه إذ لا يستطيع موسى أن يكشف عن تلك الحال الّتي وقعت بهما بعـيدا عـن مـورد المـاء لتسـقيا حيـن يصـدر الـرّعاء، فلمـا صـرحتا له بحالهما،وأنّهمـا ضـعيفتان، وألاّ رجـل يرفع الماء من البئر،وأنّ أباهما شيخ كبير عـرف حقيقة الموقف،وعالجه على الوجه الّذي ينبغي أنّ تقتضيه المروءة والرّحمة معـا(الألوسـي،د.ت،)، ومثل هذا الموقف يتكرر بين موسى وشعيب حين التقيا، وحين أشارت إحدى ابنتيه إلى الاحتفاظ به عندهم، فقال تعالى :

﴿ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ
قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ
قَـالَ ذَلِـكَ بَيْنِـي وَبَيْـنَكَ أَيَّمَا الأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴾(القصص، 26 ـ 28).فابنة شعيب، ومن خلال بنية ترديد الأفعال في المحاورة لم تقف عند حدّ دعوة أبيها إلى استئجار موسى، بل أغرته بذلك، وحرّضته عليه، حيث كشفت عن الصّفات الطّيبة الّتي يشتمل عليها، والّتي هي مطلوب كلّ من يريد عاملا يعمـل له ويتولّى شأنا من شؤونه وسياق الآيات لم يعبّر على لسان ابنة شعيب "بأنّه قوي أمين"،بل إنّها جعلت ذلك قضية من القضايا المسلّم بها ﴿ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ ﴾(النيسابوري، 1994، 396).

وشـعيب حيـن يدخل في صفقة مع موسى يقدم له شروطا واضحة مفصّلة لا تحـتاج إلـى تخريج وتأويل، فكل كلمة أخذت مكانها من المحتوى الّذي يقوم عليه العـرض المعـروض، فيتلقى موسى هذا العرض الواضح المفصّل بإجابة واضحة مفصّـلة لا لبس فيها ولا غموض،فمستوى تكرار المحاورة يوضح لنا صفة العقود المبرمة بين النّاس الّتي تتصف بالوضوح في كل طرف من أطرافها(الألوسي،د.ت،).

ويؤكــد أســلوب الحكاية من خلال بنية تشابه الأطرف على الحوار القصير في قولــه تعــالى:﴿ وَقَــالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ*أَسْبَابَ السَّــمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ كَاذِبًا وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلا فِي تَبَابٍ ﴾(غافر، 36 ــ 37).

فالحوار يتّجه إلى وصف عناد فرعون،وتكذيب رسالة موسى عليه السّلام،ولهذا طلــب مــن هامــان أن يبنـــي له صـــرحا ليصل إلى طرق السّماوات، مما جعل أسلوب الحوار من خلال بنية تشابه الأطراف يتفاوت ما بين الإجمال والتّفصيل من أجــل التّشــويق والتّفخــيم، تشــويق هامان وتفخيم العمل الّذي سيقوم به؛ لأنّه أمر عجيــب(ابن عاشور، 1980). ومن المشاهد الحواريّة الطّويلة في القصص القرآنيّ قوله تعالى :

﴿ وَإِذْ نَــادَى رَبُّــكَ مُوسَــى أَنِ ائْــتِ الْقَــوْمَ الظَّالِمِينَ*قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلا يَــتَّقُونَ*قَــالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ*وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلا يَنطَلِقُ لِسَــانِي فَأَرْسِــلْ إِلَــى هَارُونَ*وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ*قَالَ كَــلا فَاذْهَــبَا بِآيَاتِــنَا إِنَّــا مَعَكُــم مُّسْــتَمِعُونَ*فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولا إِنَّا رَسُــولُ رَبِّ الْعَالَمِيــنَ*أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ*قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِــيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ*وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾(الشعراء، 10 ــ 19).

حيــث يبدأ سياق المحاورة بأمر موسى أن يأتي فرعون، وهذا الأمر الّذي تلقاه موســى نــراه يصل إلى سمع فرعون فور تلقي موسى له، ويلقاه فرعون بالجواب دون أن يجري ذكر للقاء موسى بفرعون، أو كيفية هذا اللّقاء، وكيف افتتح، فالسّياق القرآنــي بأســلوبه الحــواري ينقلنا من مشهد المناجاة بين موسى وربّه إلى مجلس فرعون في مصر، وهو يلقى موسى بهذا الجواب:

﴿ قَالَ

أَلَــمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ*وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ

قَال

فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ*فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ*وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ

قَالَ فِرْعَوْنُ

وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ

قَالَ

رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴾(الشعراء، 18 ـ 24).

فنرى في هذا الحوار الطّويل الحضور الفوري والمفاجىء الّذي ينقلنا من موقف إلى موقف في لمحة خاطفة،تطوى فيها أبعاد الزّمان والمكان دون خلل بفقد مكانهما،فتكرار المجاورة يجعلنا نعيش الموقف وكأنّنا واحد ممن حضروه،أو شاركوا فيه(الزمخشري،د.ت).

ويتردد من خلال أبنية التّكرار أسلوب المفاجأة،فقد يكتم القرآن سر المفاجأة أثناء الحوار عن بطل القصّة،وقرائها حتى ينكشف لهم الأمر في آن واحد في نهاية القصة كقوله تعالى:﴿ قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا*قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا*وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾(الكهف، 66 ـ 68).

فالآيات ومن خلال أبنية التّكرار المتردد فيها تستفز مشاعر موسى، ومشاعر القارئ إلى أقصى حدّ فيتأزم الأمر بارتكاب العبد الصّالح أول فعل، ثم الثّاني،ثم الثّالث،من الأفعال المدهشة والمفاجئة،واعتراضات موسى عليه السّلام متتابعة،والقارئ كذلك،حتى بعد قراءة القصّة مئات المرّات؛ وينكشف السّرّ الّذي وراء كل هذه المعميات بعد أن يبلغ التّوتر غايته عند موسى، وعند القارئ،وفي النّهاية يقول العبد الصّالح:﴿ ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾(الكهف، 82).فتنكشف بذلك أسرار المفاجآت الحواريّة بعد تشرّب موسى والقارئ الحكمة من ورائها.

ويأتي من أساليب عرض المفاجآت الحوارية الّذي يتردد من خلال مستوى التّكرار الخالص ومستوى الرجيع في المحاورة،أسلوب انكشاف السّر للقارئين،وترك الأبطال يتخبطون في عمايتهم التّامة،فهم يتصرفون في جهل تام مما يحاك لهم،وأمّا القارئ فهو يرى تصرفاتهم عالما بما يجري لهم،وهذا النّوع من القصص القرآني

"أغلب ما يكون في موضع السّخرية ليشترك النّظّارة فيها منذ أول لحظة،حتى تتاح لهم السخرية من تصرفات الممثلين"(الطراونه، 1989، 110).ويمثله قوله تعالى:

﴿ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ*وَلا يَسْتَثْنُونَ*فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ*فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ*فَتَنَادَوا مُصْبِحِينَ*أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ*فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ*أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ*وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ*فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ*بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ*قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ*قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ*فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ*قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ*عَسَى رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴾(القلم، 17 ــ 32).

فهم يغدون على حرد قادرين،ونحن نعلم أنّهم ليسوا بقادرين على شيء بعد تكرار الفعل واسم الفاعل "فطاف عليهم طائف" ،ليؤكد هذا المقطع المكرّر من خلال أثره أنّ الجنّة أصبحت كالصّريم ،فولّد هذا الفعل المتسلّط على الجنّة الصّدمة الكفيلة بتحول أبطال الحوار في القصّة إلى التّوبة، وسجّل هذا التّحول ترديد الفعل"قال"مرتين، ففي المرّة الأولى "فلما رأوها قالوا إنّا لضالون"، وفي الثّانية"قالوا يا ويلنا إنّا كنا طاغين"فالنّتيجة أصبحوا يرغبون في الله تعالى بعد العناد والكفر،فصدمة المفاجأة فعلت فعلها المؤثر في أبطال القصّة،وفي قارئها(حوى، 1985).

والأسلوب الآخر في عرض حوار القصص القرآنيّ، يكون بظهور طرف السّر للقارئ مع خفائه عن البطل في بعض المواطن،ثم يختفي عن البطل والقارئ في مواضع أخرى، ويتجلّى ذلك من خلال بنية ترديد الأفعال المثبتة، والمنفيّة،وتكرار الأسماء كقوله تعالى:

﴿ قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لا يَهْتَدُونَ * فَلَمَّا جَاءتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ * وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ

كَافِرِينَ*قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾(النمل، 14 ـ 44).

فالمفاجـآت تولّـدت مـن ترديد فعل القول المتضمن معنى أمر دخول الصّرح الممرّد، فقد ظلت المفاجآت خافية علينا،وعليها حتى فاجأنا السّياق معا بانكشافه لنا" فقـيل لهـا ادخلي الصّرح فلما رأته حسبته لجّة، وكشفت عن ساقيها قال إنّه صرح ممرد من قوارير"، فأسلوب الحوار من خلال عرضه للأحداث جعلنا نشارك بلقيس في بعض المفاجآت(أبو حيان، 1983).

رابعا:الكفر:

إن موضوع الكفر من الموضوعات الّتي تكرّرت في السّور المكيّة، وقد جاءت أسـاليبه التّكرارية المتعددة متصلة اتصالا مباشرا بمعاني الكفر وأقسامه،وقد انقسم هـذا الموضوع إلى ثلاثة مجالات وهي:عناصر الكفر، ووسائل دعوة الكافرين إلى الإيمان، والكافرون والكفر.

لقـد تعـددت عناصر الكفر من خلا التّشكيلات التّكراريّة ، وتوزّعت على عدد مـن العناصـر وهـي إثبات كفر الكفّار ، وتكذيب الرّسل والكتب ، وإنكار البعث والحساب، وادعائهم بما لم يأت به الله سبحانه وتعالى .

فيأتي عنصر إثبات كفر الكفّار من خلال ترديد الأفعال المبنية للمجهول في قوله تعالى:﴿ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾(الزمـر، 45).فـترديد الأفعال توزّع على مجالين متقابلين:الأوّل يصوّر إقبالهم على الكفر"وإذا ذكر الله وحده اشمأزّت قلوب الّذين لا يؤمـنون بالآخـرة"، فهذا الإقبال يملأ قلوب الكافرين سرورا حتى تنبسط له بشرة وجهـه، ويـتهلل والثانـي:أن يمتلأ قلبه غمّا وغيظا حتى يظهر الانقباض في أديم وجهه(الزمخشري،د.ت،).

ويظهـر ترديد الأسماء أن الكفّار اختاروا الكفر بمحض إرادتهم،وأصرّوا على

ذلـــك فـــزادهم الله ضـــلالة وكفرا في قوله تعالى:﴿ وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ ﴾(ياسين،9).فترديد الأسماء يتوجه إلى إثبات أنّ الكفر،والشّـــرك أمـــران باختـــيار الإنسان،وليســـا أمريـــن توقيفيـــين.وتأتـــي بنية المجـــاورة لـــتؤكد إقـــبال الكفّـــار علـــى عبادة غير الله فيقول تعالى:﴿ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْـــخَرُونَ*وَإِذَا ذُكِّـــرُوا لا يَذْكُرُونَ*وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ*وَقَالُوا إِنْ هَذَا إِلا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾(الصافات، 12 ــ 15).

أمّـــا عنصر التّكذيب بالرّسل فقد توجهت تشكيلاته التّكرارية إلى توضيح أبعاد تكذيـــب الكفّـــار بالرّسل، وبرسالاتهم،ويظهر ذلك من خلال بنية ردّ الأعجاز،والّتي تؤكد الاستهزاء بالرّسل في قوله تعالى:﴿ وَلَقَدِ اسْتُهْزِىءَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِؤُونَ ﴾(الأنعام، 10).أو بالتّكذيب المباشر من خلال بنية الـــتّكرار الخـــالص كقوله تعالى:﴿ قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنزلَ الرَّحْمن مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ تَكْذِبُونَ*قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴾(ياسن، 15 ــ 16).

فالـــتّكرار يـــتّجه إلـــى التّكذيـــب المباشـــر مـــن خلال نفي أن تكون الرّسالة لبشـــر،وإثبات الدّال المكّرر الكذب لهؤلاء الأنبياء فأصحاب القرية منكرون للرّسالة كافرون بها(القرعان، 1994).

ويأتي التّكذيب والكفر بالكتب السّماوية من خلال بنيتي التّكرار الخالص،وترديد الأفعال في قوله تعالى:

﴿ وَمَا قَدَرُواْ اللّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُواْ مَا أَنزَلَ اللّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنـــزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاء بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُـــبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُواْ أَنتُمْ وَلاَ آبَاؤُكُمْ قُلِ اللّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾(الأنعام، 91).

قدروا

قدره .... التّكرار الخالص

ما أنزل الله

من أنزل الكتاب .... ترديد الأفعال

فالكفر الّذي يثبته التّكرار الخالص،وترديد الأفعال هو كفر بإظهار بعض ما جاء

فـــي رســـالة سيدنا محمد عليه السّلام، وإخفاء بعضها الآخر،وذلك إخفاء للحقائق الإلهـــيّة(القرعان، 1994).أما الكفر باليّوم الآخر وما فيه من البعث والحساب فقد تكرّر مـــن خــــلال بنيتي ترديد الحروف العاملة،وبنية المجاورة ليؤكدا أن الكفّار ينكرون البعـــث بعـــد الموت في الحياة الدّنيا كقوله تعالى:﴿ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًـــا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ*هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ*إِنْ هِيَ إِلا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِين﴾(المؤمـــنون، 35 ــ 37).فالآية تعبّر من خلال مستويات التّكرار أنّ الكفّار قد أنكروا يوم الآخر،والبعث والحساب(القرعان، 1994).

ويســـتخدم تـــرديد الأسماء والأفعال لتوضيح الكذب على الله بأقوالهم من خلال افـــتراءاتهم في التّحليل،والتّحريم كقوله تعالى:﴿ وَلاَ تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَـــذَا حَلاَلٌ وَهَـــذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ ﴾(النحل، 116).

فيجعل السّياق ترديد اسم الإشارة"هذا حلال" و"هذا حرام"المسافة واسعة ليتحرك فـــيها معـــنى الافـــتراء والكذب،لذلـــك جعل من ترديد الفعل"لتفتروا"وسائل شارحة للكذب،والافـــتراء علـــى الله من قبل المشركين.وتؤكد بنية التّرديد أن الكذب يكون بادعاء النّبوة كقوله تعالى :

> ﴿ وَمَـــنْ أَظْلَـــمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوْحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَـــيْءٌ وَمَـــن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنَزلَ اللّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَـــرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلآئِكَةُ بَاسِطُواْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُواْ أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَـــذَابَ الْهُـــونِ بِمَـــا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾(الأنعام، 93).

فسياق الآية ردد الفعل"أوحي"مرتين:مرة بالإثبات،ومرة بالنفي؛لأنّ المعنى العام يتجه إلى التّكذيب،وادعاء النّبوة،وعدم مفارقة هذا الكـــذب المؤكد من الفعـــل "أنزل ليمثل هذا التّرديد لحظة الانطلاق إلى جزائهم؛لأنّـــهم ظلموا أنفسهم بالكذب وادّعاء النبـــــوة، وهـــذا ممتد ليشـــمل الأفعال الناقصة "كنتم"لتدل أن الجزاء بسبب القول والإدعاء،وتارة بسبب الاستكبار، فهذه الدّالات المـــرددة تثبت حقيقة"أن طبيعة الكفر

عــند الإنســان تعتمد على استعداده،وميوله في التّوجه نحو الكفر،وهذا ينعكس على إصـــراره بادّعــاء النــبوة"(القــرعان، 1994)،أمّا وسائل دعوة الكفار إلى الإيمان فقد تنوّعت،فتأتــي بنية المجاورة لتبين دور الرّسل في تبليغ الرّسالة،وذلك بدعوة الكفّار إلى الإيمان،وتؤكد طبيعة المهمّة الدّينية للرّسل كقوله تعالى:

﴿ قَــالَ رَبِّ إِنِّــي دَعَــوْتُ قَوْمِــي لَــيْلا وَنَهَارًا*فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلا فِــرَارًا*وَإِنِّــي كُلَّمَــا دَعَوْتُهُــمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَــوْا ثِــيَابَهُمْ وَأَصَــرُّوا وَاسْــتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا*ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَــارًا*ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا*فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴾(نوح،5 ــ 10).

فالآيــات تشــير صراحة إلى طريقة الدّعوة إلى الإيمان،وذلك من خلال قسميّ الــيوم"الــنّهار واللــيل"،ومن خلال طريقة الدّعوة "جهرا وسرا"،وهذا ما شمله بناء المجاورة من قوله"وأسررت لهم إسرارا" ،وما هذا الإسرار إلا محاولة لإقناع الكفّار بالعدول عن كفرهم ، واتّباع ما جاء به الرّسل من الإيمان بالله .

وقــد تنوّعت مضامين دعوت الرّسل لهؤلاء الكفّار،إذ كانت تدعوهم إلى عبادة الله وحده،والابــتعاد عــن الشّــرك،ويتردد ذلــك مــن خلال بنية التّرديد في قوله تعــالى:﴿ وَمِــنْ آيَاتِــهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾(فصلت، 37).

فــترديد الفعــل "تســجدوا"بين الإثبات والنّهي حقق توافقا على مستوى السّطح الدّلالي،والمســتوى العمــيق للسّجود،فربّ العزة ينهى البشر عن السّجود للشّمس والقمر،ويأمــرهم فــي الدّال المردد بالسّجود لله ليمتد الفعل المردد"واسجدوا"مساحة صــياغية لتوضيح سبب السّجود لله عزّ وجل من خلال خلقه للشّمس والقمر والليل والنّهار....

وتأتــي البراهيــن الدّالة على قدرة الله من وسائل دعوة الكفار،وتشكل ذلك من تكرار الفاصلة كقوله تعالى:﴿ لِمَن شَاء مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ*وَمَا تَشَاؤُونَ إِلا أَن يَشَاء اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِيــنَ ﴾(الــتكوير، 29).فجســدت هــذه الآية ومن خلال تكرار اللازمة مشيئة الله،وهي الصّفة التي يتفرد بها،ولا يتصف بها الكافرون(القرعان، 1994).

مّا الكافرون والكفر فقد تجسد من خلال بنية ردّ العجز على الصّدر عندما يقذفون في نار جهنّم دعا في قوله تعالى:﴿ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴾(الطور، 13).فبنية ردّ الأعجاز ترسم جرس وظل حال الكفّار يوم القيامة،وأنّ صورتهم المتخيّلة هي دفعهم من ظهورهم إلى نار جهنّم بعنف،والّذي يلقي هذا الظّلال وهذه الصّورة الفعل"يدعّون"والمصدر"دعّا".ومنه قوله تعالى: ﴿ وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ*فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ*وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ*لا بَارِدٍ وَلا كَرِيمٍ*إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ ﴾(الواقعة، 41 ـ 45).

وسياق الحديث من خلال بنية"ردّ العجز"عن الكفّار وكفرهم ووصفهم السّياق بأنّهم أصحاب الشّمال،الّذين يعذبون في النّار،وتعرض الآية مشهدا من مشاهد تعذيبهم فيها.ومن حيوية التّصوير داخل بنية ردّ العجز ومتعلقاتها أنّه طوى الحيّاة الدّنيا وأقام القيامة،وجعلنا نذهب بخيالنا إلى الدّار الآخرة،ونرى أصحاب الشّمال في السّموم والحميم،ونتذكر حياتهم الماضية في الدّنيا،أيام ترفهم،ورفاهيتهم،مع أنّنا في الواقع ما زلنا في الدّنيا،وأصحاب الشّمال في الواقع ما زالوا في الدّنيا مترفين،ولم ينتقلوا إلى الآخرة حيث السّموم والحميم(الخالدي، 2000).

خامسا:الأخلاق الحميدة الّتي رغّب بها القرآن:

حث القرآن الكريم على مجموعة كبيرة من الأخلاق، وكذلك نهى عن مجموعة أكبر من الأخلاق السّيئة التي تتنافي وصفات المؤمنين. ففي مجال الأخلاق الكريمة،والتي رغّب بها كان تكرار المفردة وترديد الحرف هو الأغلب في التّشكيل التّكراري كقوله تعالى:﴿ وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا*إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاء وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴾(الإسراء، 29 ـ 30).أثبت سياق هذه الآية من خلال ترديد النّهي المتسلّط على مفردات التّكرار أن المحمود في العطاء هو الوسط الواقع بين طرفي الإفراط والقبض،وهذه الأوساط هي حدود المحامد بين المذام، ولذلك قال:"ولا تبسطها كل البسط".

ويشير السّياق إلى بلاغة التّمثيل،تمثيل الشّبع والإمساك بغل اليد إلى العنق وهو

فسياق الآية يشير إلى إرشاد رسول الله إلى الاستعاذة من شرّ كل مخلوقاته على العمـــوم، ثـــم فصّـــل تكـــرار رؤوس الآيـــات الشّـــرور لـــيخصّ الفسق والسّحر والحسّـــد بهـــا، فيخـــتم تكرار رؤوس الآيات بالحسد، ليعلم أنّه أشد وأشر الأخلاق سوءا(القنوجي، 1989).

وفـــي مجال الظلم للنّفس ونفيه عن الذات الإلهيّة تظهر بنية ردّ العجز في قوله تعـــالى:﴿ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ*لا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ*وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ﴾(الزخـرف، 74 ــ 76)، فالآيات تنفي عن الله الظلم في معاملـــته المجرميـــن"ومـــا ظلمـــناهم "، ليؤكد الدّال المكرر هذه الحقيقة"ولكن هم الظّالمين"،فضمير الفصل أفاد قصر صفة الظّلم على المجرمين، ونفيها عن الله عزّ وجل .

الفصل الرابع

المعنى الدلالي للتكرار

ومــن خلال الدراسات التي تناولت التكرار القديمة والحديثة نستطيع أن نتبين المعــنى الدلالــي للــتكرار في السور المكية على اختلاف أبنيتها المعجمية،باعتبار الألفــاظ وحــدة معجمية دلالية لها الكثير من المعاني والبنى اللغوية،بالإضافة إلى البــنى الســياقية،والتي تعتبر الألفاظ دلالات خلال البناء التركيبي التكراري، تشكل الدوال من خلاله علاقات بنائية تؤدي إلى إنتاج دلالة مميزة من خلال هذه العلاقات الترابطية،ويرى صلاح فضل أن هذه العلاقات تقوم في قوله:

" بين الكلمات في تسلسلها،وتعتمد على خاصية اللغة الزمنية كخط مستقيم يســتبعد فــيه إمكانية النطق بعنصرين في وقت واحد، بل تتواصل مع بعضــها فــي سلســلة الكــلام فــيطلق على هذا التواصل " العلاقات الســياقية"وعندما تدخل الكلمة في تركيب ما ، فإنها تكتسب قيمتها من مقابلتها لما يسبقها أو يلحقها من الكلمات"(فضل ،1987، 35).

ونجــد مــن الباحثيــن مــن يطلــق على هذه العلاقات البنائية مصطلحات مختلفة نحــو"الشــكل الــنحوي والمعجمي" أو"مصطلح الصياغة،وقد استخدم سعد مصلوح مصطلح"السبك"(الأسعد ،1999). والجانب الثالث من دلالة التكرار الدلالة الإيقاعية التي تتولد من خلال توالي الدالات المكررة في السياق.

وسوف تقوم الدراسة بتتبع هذه الدلالات ــ المعجمية والسياقية والإيقاعية ــ من خلال السور المكية للوقوف على القيمة الوظيفية لإنتاج الدلالة من صياغتها، وتتبع المســاحة الدلالية للصياغة القرآنية الواردة في هذا السياق سعيا إلى الإمساك بالخط الدلالــي الــذي يــربط بيــنها وعن طريقه يتم إنتاج المعنى والعبرة. وعند الرصد والتحلــيل لأغــراض ومســوغات، وفوائد التكرار التي ذكرها الباحثون في مجال القــرآن الكــريم، وخاصــة فــي أســلوب التكرار نجد أن رصدهم لم يفصل بين الدلالة،والوظــيفة بــل يجمــع بيــنهما التلاصــق فــي ثــنايا مناقشــتهم لأسلوب التكرار،وستقوم الدراسة بمناقشة كل بنية على انفراد حتى تتضح لنا الوظيفة والغاية منها(الأسعد1999).

أ ـ الدلالة المعجمية:

دلالة التأكيد:

التوكـيد:"هـو تمكين المعنى في النفس، وتقويته من أجل إزالة الشكوك وإماطة الشبهات التي ترد إلى الكلام"(أبو الفتوح،1995، 13).وترى الدراسة أن التكرار الذي أفاد التوكيد واقع ثلاثة وجوه وهي:

الأول: تكرار من جهة اللفظ والمعنى واحد، وهذا هو موضوع بحث النحاة.

الثاني: تكرار من جهة اللفظ والمعنى مختلف، وهو مجال الدراسة عند البلاغيين.

الثالـث: تكـرار مـن جهـة المعـنى، وهـذا فـي القصـص كـتكرار قصـة موسى،وفرعون،فإنها واردة في سور كثيرة.

ونجـد مجال دراستنا في الجانب الثاني؛ لأن الغرض من التأكيد أن يدفع المتكلم ضـرر غفلـة السامع عنه،أو أن يدفع ظنه بالمتكلم الغلط،فحينئذ لا بد من التكرار اللفظـي.وتـرد هذه البنية الدلالية بشكل كبير في بنى التشكيل التكراري في السور المكية(الأسعد،1999)، وتكاد تكون من أبرز مسوغات التكرار في كثير من التراكيب.

فيأتي من مستوى التكرار الخالص،وبنية الترديد قوله تعالى:﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِـن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ*وَالْجَآنَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُوم*وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾(الحجر،26-28) .

فالآيـات مـن خـلال تكـرار نهايتها"من حمأ مسنون"، تؤكد وتبرهن أن خلق الإنسـان كان من صلصال، ويضيف التأكيد عنصرا جديدا مهما يطرق الإنسان به لـيكون على علم به، وهو أن الله تبارك وتعالى خلق هذا الإنسان من صلصال من حمأ مسنون؛ لأن لقضية الصلصال والحمأ المسنون في خلق الإنسان وفي حياته بعد ذلـك دورا وأثرا لا يمكن إغفالهما، فالحمأ المسنون لا يملك خاصية المحافظة على ذاتـه فسرعان ما يطرأ عليه الفساد، فهي صفة ملازمة للإنسان، إلا إذا تداركه الله بعفوه(عباس،1987). فالتكرار في نهاية الآيات يثبت طبيعة خلق آدم عليه السلام،ويؤكد عليه ليسمو آدم عليه السلام بهذا الخلق، ويتميز به عن سائر مخلوقاته التي تشترك معـه في بعض الصفات،وسمو الخلق الذي أكده التكرار لا يرتكز على جانب واحد فـي هـذا الإنسان"فهو سمو روحي، وخلقي، ونفسي يشعر به الفرد،وتجد به النفس

حلاوة ولذة،وهو بعد ذلك سمو اجتماعي تجد الجماعة فيه بغيتها،وأمنها وضالتها،وفضلها)(عباس،1987، 10 ـ 11).ويأتي تكرار اللازمة بين الفواصل ليؤكد أسباب الهلاك التي يمكن أن تصيب الأمم والجماعات والأفراد، وقد فصل ذلك تفصيلا في سورة القمر،والمرسلات فيقول تعالى :

﴿ولَقَد تَّرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ *فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ *ولَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ *كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ *إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ* تَنزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ *فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ (القمر،17 ـ 21).

فتكرار جملة"فكيف كان عذابي ونذر"أكد موضوع العذاب وأعطاه تهويلا،وتعجبا من أمر القوم المكذبين للرسل(القنوجي،1989).ويأتي من مستوى تكرار رؤوس الآيات قوله تعالى:﴿وَلاَ تَنقُصُواْ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّيَ أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ*وَيَا قَوْمِ أَوْفُواْ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلاَ تَبْخَسُواْ النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ وَلاَ تَعْثَوْاْ فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ (هود،84 ـ85).فكررت الآيات عليهم الوصية في الكيل والوزن تأكيدا،وبيانا وعظة؛لأن"لا تنقصوا"هي بمعنى"أوفوا"بعينه(ابن عطية،1993).

ويأتي من مستوى التكرار الخالص للأسماء قوله تعالى :﴿وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ وَأُوْلَئِكَ الأَغْلاَلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدونَ﴾(الرعد ،5). فالآية كررت لفظ"أولئك"لتقوية الصياغة،وتأكيد المعنى،وتقرير الحقيقة،ولا يتحقق ذلك لو حذف في المرة الثانية والثالثة.

ويأتي من تكرار الضمير قوله تعالى:﴿وَهُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُوْنَ﴾ (هود،19)،فتكرار الضمير المنفصل"هم" أفاد التوكيد،وحمل التكرار الحاصل من الضمير على التوكيد؛لأنه أشبه أن يكون توكيدا لفظيا لما قبله(ابن الحاجب،1985).

أما بنية تشابه الأطراف فيأتي قوله تعالى:﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ*صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ أَلا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الأمُورُ﴾ (الشورى،52 ـ 53).فالآيات تكرر لفظ "الصراط "،فالصراط لله،وتكرار لفظه في الدال المكرر للتأكيد(السيوطي،1981).

أمـــا بنية المجاورة فتأتي دلالة على التأكيد من قوله تعالى:﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِــكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ﴾(الإسراء،50). فبنية المجاورة تكرر الفعل"أحسنتم"دون فاصل للتأكيد على الإحسان إلى النفس من خلال العمل الصالح من جانب،والتأكيد على أن العمــل الصــالح وهــو الإحسان أغلب وأشمل من العمل السيء،ولذلك لم يأت لفظ الإساءة مؤكدا أو مكررا(الشهاب الخفاجي،د.ت).

ومــنه قوــله تعالى:﴿ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴾(المؤمنون،36).ومقتضى التأكيد بالــتكرار هــنا،هو أن الدال الأول خطاب من الكافرين للمؤمنين مؤكدين لهم أن ما وعدكــم بــه محمــد عليه السلام محال،فناسب هنا تكرار"هيهات"في الدال المجاور التأكيد مرة ثانية على أن ما وعدكم به محمد مستحيل وبعيد احتماله.

ومنه كذلك قوله تعالى:﴿ ....دكّا دكّا ﴾ (الفجــر،21)،و﴿ ...صفّا صفّا﴾(الفجر،22)،فبناء المجاورة تأكيد لفظي،ومعنى ذلك دكّا بعد دكّ،وأن الدك كرر عليها حتى صار هباء منــثورا،أما"صــفا صــفا"،فهــو تأكــيد اصــطفاف الملائكة في كل سماء الله عز وجل،وتأكيد أريد به كثرة الاصطفاف(الزركشي،1972).

أمـــا بنـــية الترديد فتأتي دلالة التأكيد من قوله تعالى:﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ ﴾ (النحل،111).

فترديد لفظ"النفس"ينتج دلالة التوكيد على مستوى السطح،والعمق السياقي مفادها أن إتــيان النفس من خلال ذاتها يختلف عن المجادلة والدفاع عنها،ليتلاحم المجيء مع المدافعة حتى يؤكد أن كل نفس أخذت حقها من عند الله عز وجل.

ومــنه قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَــلَ مِــن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاء وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴾(الروم،54)،فترديد الفعل"جعل"الذي تسلط عليه الفعل" خلق"يؤكد عظمة الله عز وجل في الخلق والبعث.

أمـــا تــرديد الحــرف فيأتــي منه قوله تعالى:﴿ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًــا أَنَّكُــم مُّخْرَجُونَ ﴾ (المؤمنون،35) فترديد الحرف"أنكم" للتأكيد والبيان،فالكفار ينكرون البعث،ويذكر الزمخشري أن الترديد حسن للتوكيد لفصل ما بين الدال الأول والــدال المــردد(الزمخشــري،د.ت).أمـــا بنية ردّ الأعجاز فيأتي التأكيد من خلال قوله تعــالى:"وكلّــم الله موســى تكليما" فالسياق من خلال بنية رد الأعجاز أكدت الفعل

بالمصـــدر عوضا عن تكرار الفعل مرتين لرفع الوهم عن الحديث لا عن المُحدِّث عنه(الزركشي،1972).

أما بنية العكس والتبديل فيأتي منه قوله تعالى:﴿ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِـم مَّـا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُون*وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاء يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَاكُمْ الـنَّارُ وَمَـا لَكُـم مِّـن نَّاصِـرِينَ﴾(الجاثية،33 ـ 34) ،فالعكس حاصل ما بين ظرف الـزمان"اليوم"،والفعل"ننساكم"ليؤكد أن الله يعامل الكافرين معاملة الناسي لهم،ويؤكد كذلك حدوث النسيان في العذاب(الزحيلي،1991).

دلالة التخصيص:

يأتـي الـتكرار أحـيانا لـيؤكد تخصـيص المسـند إلـيه،أو مـتعلق الدال الأول،وتخصيص متعلق الدال المكرر من خلال بنية ترديد الضمير المنفصل كقوله تعـالى:﴿ وَهُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُوْن ﴾ ،فبنية الترديد تكرر الضمير المنفصل"هم"لتأكيد الكفر من خلال اختصاصهم به كما ذهب إلى ذلك الزمخشري(الزمخشري،د.ت).

ومـنه قولـه تعـالى:﴿ إِيَّـاكَ نَعْـبُدُ وإِيَّـاكَ نَسْـتَعِينُ*إِهْدِنَـا الصِّـرَاطَ المُسْـتَقِيمَ﴾(الفاتحة،5 - 6)، فالـترديد حاصـل من الضمير"إياك"الواقع في محل نصب مفعـول بـه مقـدم علـى فعله،وذلك في الفعلين نعبد ونستعين،والأصل أن نعبدك ونستعينك،والسياق يقدم المفعول به على الفاعل للاختصاص، لأن موضوع الآية هو عـبادة الله،والاسـتعانة بـه، وهذا موضوع من موضوعات الإيمان والعقيدة؛ لأن العـبادة لا تكـون إلا لله،والاستعانة لا تكون إلا بالله، ومن عبد غير الله أو استعان بغير الله فقد كفر وأشرك بالله،فالترديد في الآية للاختصاص والقصر،وكأن المؤمنين يقولون:يا ربنا إننا لا نعبد إلا أنت ولا نستعين إلا بك.

أما بنية تشابه الأطراف فتأتي دلالة على التخصيص من قوله تعالى:﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ*خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾(العلـق،1 ـ 2)..فالمراد الأول خلق المخلوقات وشتى العوالم،والمراد الثاني من الدال المشابه تخصيص خلق الإنسان،وأنه خلق من علق(ابن الزبير،1983).

أمـــا بنـــية الـــتكرار الخـــالص للمفـــردات فتأتـــي دلالة التخصيص من قوله تعـــالى:﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ*اللَّهُ الصَّمَدُ*لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴾ (الإخلاص،1 ـ 3).فتكرار لفظ الجلالـــة" الله"،بمـــثابة إعلان وتأكيد وتخصيص الله بالوحدانية،فالتكرار سلك طريقا بديعـــا له مـــن الأثـــر في النفس ما يثبت معنى الاختصاص، وهذا قول عبد القاهر الجرجانـــي في دلائل الإعجاز(الجرجاني،1978).أما تكرار رؤوس الآيات فإنه يأتي من سياق الاستفهام دلالة التخصيص كقوله تعالى:

﴿ أَمَّـن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَـتِهِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ*أَمَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَـن يَـرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (النمل،63 ـ64).

فدلالـــة جملـــة مـــتعلق الـــدال الأول"أمن يهديكم"لا تماثل دلالة جملة متعلق الدال المكـــرر"أمـــن يـــبدأ الخلـــق ثم يعيده"،إلا أن عدم المماثلة تشكل اتحادا من خلال الاستفهام.والمستوى الدلالي العميق للآيات يتشكل من الدالين الأول والثاني،فالهادي هو الله، والخالق هو الله عز وجل،فالاستفهام المتسلط على رؤوس الآيات يخصص الله تعالى بالهداية،والخلق والعلم وكلٍ شيء.

أمـــا تكـــرار نهايـــة الآيـــات فيأتي منه قوله تعالى :﴿ أَوَ لَمْ يَرَوْاْ إِلَى مَا خَلَقَ اللّـــهُ مِـــن شَـــيْءٍ يَتَفَـــيَّأُ ظِلاَلُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالْشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِلّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ*وَلِلّهِ يَسْـــجُدُ مَـــا فِـــي السَّـــمَاوَاتِ وَمَـــا فِـــي الأَرْضِ مِـــن دَآبَّـــةٍ وَالْمَلآئِكَـــةُ وَهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ ﴾(النحل،48 - 49) ،فالخطاب موجه إلى البشر من خلال الاستفهام الذي تسلط على ما خلق الله،ليشعروا بعظمة الله،فالدال الأول يخص البشر بالعبادة لله عزّ وجل أمـــا الدال المكرر فإنه يخص المخلوقات بالسجود لله،وخاصة الملائكة فإنه خصهم بالســـجود وعدم التكبر على الله عزّ وجل(الدرويـش،1988). ومنه قوله تعالى:﴿ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ*وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى الـــنَّارِ وَيَـــوْمَ الْقِيَامَةِ لا يُنصَرُونَ*وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُم مِّنَ الْمَقْبُوحِينَ ﴾ (القصص،40 ـ 42).

فتكرار جملة"يوم القيامة"في نهاية الآيات مخصص لفرعون وقومه فإنه يكون إماما لهم في نار جهنم، ولذلك قال ويوم القيامة لا ينصرون، ويوم القيامة من المقبوحين.

دلالة التعظيم:

يأتـــي التكرار في هذه الدلالة ليعظم من شأن الأمر، ويتمثل ذلك من خلال بنية تـــرديد الأسماء في قوله تعالى: ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الإنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُـــورًا*إِنَّـــا خَلَقْنَا الإِنسَانَ ﴾(الدهر،1 ــ2).فترديد لفظ الإنسان للتعظيم ولو لم يكرر الإنســـان بلفظـــه، وذلك بأن جاء ضميرا لما أدّى ما أداه من فائدة التعظيم وأهمية المذكور،فالضـــمير لا يشعر بذلك؛ لأنه يقوم بوظيفة الربط،ولا يشير إلى أنّ ما ذكر معظمٌ.

أمـــا بنـــية التكرار الخالص فتأتي دلالة التعظيم من قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ*وَحُمِلَتِ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ﴾(الحاقة،13 ــ 14).فجاء الـــتكرار مـــن خلال لفظ"واحدة"في الدالين، ليدل أن النفخ في الصور الذي تقوم به الأمـــوات مـــن القبور مهول وعظيم دلّ على القدرة الباهرة، وكذلك حمل الأرض والجبال،لـــيدل كذلـــك على أن هذا الأمر العظيم سهل يسير على الله تعالى،فيمضي أمره فيه بنفخة واحدة، ودكّة واحدة،ولا يحتاج فيه إلى طول مدة ولا مشقة، فالتكرار يؤكد ويعظّم من شأن الأمر، فقال الزمخشري:" لفظ "واحدة" إشعار بعظم هذه النفخة وبـــيان أنّ المؤثر لدك الأرض والجبال، وخراب العالم هي وحدها غير محتاجة إلى أخرى"(الزمخشري،د.ت، 151).

ويأتـــي مـــن بنية الترديد دلالة التعظيم في قوله تعالى:﴿ الحاقة*ما الحاقة* وما أدراك مـــا الحاقـــة ﴾(الحاقـــة،1 ــ 3).فالآيات من خلال الوزن المتحد تجعل حدث يوم القـــيامة ذا أثر ووقع عظيم في النفوس، فيترسّخ المعنى في النفس والعقل، وهذا ما يرمي إليه دلالة التعظيم في الآية(ابن عاشور،1980).

دلالة التقرير والتمكين:

فبنيتي التقرير والتمكين تأتي من أجل تمكين المعنى وإقراره في(السيوطي،1981)، النفس وتتشكل دلالة التمكين والتقرير من بعض البنى التكرارية وخاصة ترديد الفعل والأسماء كقوله تعالى: ﴿ وبالحق أنزلناه وبالحق نزل ﴾(الإسراء،105)،فالترديد المتشكل في الآية يقرع السمع باللفظ ليجعل النفس تألفه،ويتمكن منها على عكس ما لم يتردد أو يتكرر اللفظ أو التركيب،وقد عبر عنه بعض الباحثين من خلال أسلوب" التكثيف "(عبد المطلب،113،1995)، في المعنى.

وقد يكون التكرار بغير لفظ الأول،وذلك لِيُري المعنى في صورتين مختلفتين مما يمكنه في النفس؛لأنه يأتيها من غير جهة، وهذا الذي يراه"استيفن أولمان"مسوغا لاستخدام المترادفات، إذ يراها تقوي الفكرة وتقرها وتمكنها، وتؤكدها في النفس(أولمان،1986، 113 ـ 114). وفي دلالة التمكين تكون اللفظة الثانية ـ أحيانا إيضاحا للأولى كما في" الإيضاح بعد الإبهام"، ويعلل السيوطي تمكنه، بأن المعنى الثاني يأتي بعد الطلب،فهو أعز من المنساق بلا تعب(السيوطي،1987).

السرعة والمفاجأة:

وتتشكل دلالة السرعة والمفاجأة من بنية التّكرار الخالص في قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ﴾(الروم،55).فتكرار لفظ السّاعة في الدّال الأوّل للدلالة على يوم القيامة،واختير لهذا اليوم هذا الاسم للدلالة على معنى السرعة والمفاجأة، أما الدال المكرر فهو تعبير دقيق عن شعور المجرمين فهم لا يحسنون أنّهم قضوا في حياتهم الدنيا برهة قصيرة الأمد جدا حتى يعبروا عنها ببرهة أو دقيقة مثلا، ولا بفترة طويلة يعبروا عنها بيوم مثلا، فكانت كلمة"ساعة"خير معبر عن شعورهم بهذا الوقت الوجيز للدلالة على سرعة الانقضاء(بدوي،1986).

دلالة التّسوية:

تأتـــي دلالة التّسوية في مقام يتوهم فيه أحد الأمرين أرجح من الآخر ويأتي ذلك من خلال بنية ترديد الأفعال المثبتة في الدّال الأول، والمنفية في الدال المكرر كقوله تعـــالى:﴿ اصْــلَوْهَا فَاصْــبِرُوا أَوْ لا تَصْــبِرُوا سَــوَاء عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُــونَ ﴾(الطــور،16). فالتّرديد يثبت من خلال الفعل"اصبروا"سواء العذاب في نار جهــنم،فإن صبرتم فأنتم معذبون، وإن لم تصبروا فإنكم معذبون كذلك لا محيد لكم عنها،ولا خلاص لكم منها.

وتأتـــي دلالة التّسوية من مستوى تكرار نهاية الآيات في قوله تعالى:﴿ أَتَى أَمْرُ اللّــهِ فَــلاَ تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ*يُنَزِّلُ الْمَلآئِكَةَ بِالْرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَــى مَــن يَشَــاء مِــنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنذِرُواْ أَنَّهُ لاَ إِلَــهَ إِلاَّ أَنَاْ فَاتَّقُونِ*خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾(النحل،1 ــ 3).

فدلالة التّسوية متشكلة من جملة الدّال الأول"وتعالى عما يشركون"،المتسلط عليها صيغة النّهي التي أفادت التّسوية أي لا جدوى من استعجاله؛ لأنّه لا يعجل قبل وقته المؤجــل له، فجملة الدّال الأول"وتعالى عمّا يشركون "مستأنفة استئنافا ابتدائيا؛ لأنّها المقصود من الوعيد والزّجر في الدّالين.

دلالة قصد العموم:

قصــد العمــوم هو أن يدل الاسم أولا على خصوص ثم يكرر ليدل على عموم كقولــه تعـــالى على لسان يوسف عليه السلام:﴿ وَمَا أُبَرِّىءُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّــوءِ ﴾(يوســف،53). فــتكرار الــنفس دالة على العموم، ويقول السيوطي:" لم يقل إنّها،لــئلا يتوهم تخصيص ذلك بنفسه"(السيوطي1988،ج1، 276).وعدّ الزّركشي من هذه الدّلالـــة قولــه تعـــالى:﴿ فَانطَلَقَــا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا ﴾ (الكهف،77)،فــتكرار أهل للإشعار بتأكيد العموم، وأنهما لم يتركا أحدا من أهلها إلا استطعماه وأبى(الزركشي،1972).

ب ــ الدلالة السّياقية للتكرار:

والدلالـــة الســـياقية من الدلالات التي تنتج من البنى التكرارية الواردة في البنى اللغويـــة، لتقيم علاقات بنائية بين المفردات والتراكيب داخل السياق لتنتج لنا دلالة خاصة متعمقة على مستوى السياق الأفقي(الأسعد،1999)،والعامودي تضاف إلى الدلالة المعجمـــية فـــي السياق(الأسعد،1999)،وهذا العمق الدلالي يشعرنا بتخصيص أو تعليل للواقع أو الشعور الداخلي للسّياق،وقد أشار محمد عبد المطلب إلى أن دلالة التكرار تـــدور حـــول غرضـــين: الأول:غرض الصياغة المحسوس، والثاني:حركة الوعي الداخلـــي أو الذهـــن(عبد المطلب،151،1995) فدراسة الدلالات ضمن البنى التّكرارية لا تقوم على وسائل محددة، " وإنّما الأنســـــاق هي التي تنشئ دلالاتها نتيجة لتحليل علاقاتها،وصـــلتها بـــالواقع"(الأسعد263،1999).فتجد الدراسة أن العلاقات السياقية في الآيات المكية تتشكل على النحو التالي:

دلالة التمني:

التمنـــي مـــن الـــدلالات التـــي يكثر ورودها في التشكيل التّكراري لإبراز أمر محـــبوب لا يـــرجى حصوله، إمّا لكونه مستحيلا،وإمّا لكونه ممكنا غير مطموع في نـــيله(القزوينـــي1993).والتّمنـــي يأتي من أدواة كثيرة تشعرنا بحصول أو طلب التّمني كقوله تعالى: ﴿ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴾(مريم،23). فبنية المجاورة من خـــلال لفظها"نسيا منسيا"طلب من مريم أن تكون نسيا منسيا قبل حصول المخاض، والتمني متسلط من خلال لفظ"يا ليتني"، ليمتد ويشمل موت مريم قبل ولادتها،وتكون عـــندها نســـيا منسيا، وهذا التّمني يشعرنا بأنّ مريم تشعر بصعوبة الأمر الّذي هي فـــيه،وما ســـتلقاه من أهلها فجاء طلبها لأمر مستحيل الحدوث في هذا الوقت الذي تطلبه؛لأن لله عزّ وجل حكمة هو ماض إلى نهايتها من هذا المخاض.

وقد يتمنى " بهل " في بنية المجاورة كقوله تعالى : ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِـــي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاء فَيَشْـــفَعُواْ لَنَا ﴾(الأعراف،53)، فتمني الشفاعة أمر لا يرجى حصوله؛ لأنهم يعلمون علم

اليقيــن أنه لا شفيع لهم، ولكنهم تمنوا ذلك بـــ"هل"لإبراز المُتَمنّى في صورة الممكن لكمال العناية به.

ويأتـــي التمني بـــ" لعل " من خلال بنية تشابه الأطراف في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ*أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَــى﴾(غافــر،36 ــ 37)، فبنية تشابه الأطراف تؤكد أن تمني فرعون ببلوغ أسباب الســماوات أمر مستحيل الحدوث، وهذا التمني يقتضي استعمال الأداة التي وضعت له وهي"ليت"، ولكن السياق استعمل بدلا منها"لعل"التي تفيد الرجاء، وهذا العدول في الاستخدام هو إبراز لأمر مستحيل الحدوث في صورة الممكن إظهارا لكمال العناية به، والتشويق إليه(حسين،1984).

ويأتـــي التّمنـــي بـــــ"لو"من أجل إبراز المتمنّى في صورة الممتنع بالنسبة لمن طلبه،ويبرز ذلك من خلال بنية المجاورة كقوله تعالى: ﴿ فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ*وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴾(القلم،8 ــ 9).

فبنـــية المجاورة من خلال لفظها"لو تدهن فيدهنون"تمني من المشركين أن يكون هــناك تساهلا من الرسول عليه السلام في دعوته، حتى يكون من المشركين مقابل هذا التساهل تساهلا آخر في تقبل هذه الدعوة، ولكن التمني جاء بـــ" لو"ليحسم الأمر فــيظهر المتمـــنّى في صورة الممتنع علما بأن" لو"في أصل استعمالها حرف امتناع لامتناع،فامتنع الإدهان من قبل الرّسول عليه السلام لامتناع الكذب في هذه الدعوة.

دلالة القفل والتقسيم:

دلالة القفل والتقسيم نوعان متقاربان، فدلالة القفل تختص بختام السور، والتقسيم يخـــتص بخواتيم المقاطع المكررة، أو أوائلها، وتعرّف نازك الملائكة تكرار التّقسيم بقولها"هو تكرار كلمة أو عبارة في ختام كل مقطوعة.من أجل أن يقوم بعمل النقطة في ختام المقطوعة،ويوحد القصيدة في اتجاه معين"(الملائكة،250،1967).

وحديـــث نـــازك ينطبق على تكرار اللاّزمة كما هو الحال في سورة المرسلات فيقول تعالى : ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ*وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ*أَلَمْ نُهْلِكِ الأَوَّلِينَ*ثُمَّ نُتْــبِعُهُمُ الآخِرِيـــنَ*كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ*وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ*أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاء

مَّهِيـــنٍ*فَجَعَلْـنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ*إِلَى قَدَرٍ مَّعْلُومٍ*فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ*وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾(المرسلا،13 ـ 30).

فالتقســـيم ولّد لنا من السّياق الانسجام الموسيقي في أجزاء كل قسم،فكل قسم من هـــذه الأقســـام توحـــد مع تكرار اللاّزمة " ويل يومئذ للمكذبين"، وولّد كذلك الإيقاع الموسيقي مع قرائن الفواصل، على الرّغم من مخالفتها للوزن العروضي في الشّعر العربّـــي، فالتّقســـيم أنتج لنا كذلك المبالغة في الإنكار عليهم، والتّأكيد لوقوع السخط عليهم والغضب لأجل تكذيبهم.

ومثله قوله تعالى : ﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴾(القمر،18).فتكرار التّقسيم يبيـــن إيقاظ النّفوس بذكر قصص الأولين، والاتعاظ بما أصابهم من المذلات فيكون تكـــرار اللاّزمة المقّسم بمنزلة قرع العصا لئلا تستولي عليهم الغفلة، ويغلب عليهم الذّهول والنسيان. أما تكرار المقطع الذي يفيد التقسيم، فيأتي من خلال بنية التكرار الخـــالص للمفردات في قوله تعالى:﴿ وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ*وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِـــنَ الْكَـــرْبِ الْعَظِيمِ * وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمْ الْبَاقِينَ * وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ*سَلامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ * إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ * ثُمَّ أَغْرَقْـــنَا الْآخَرِيـــنَ ﴾(الصافات،75 ـ 82). فالنّداء الموجه إلى نوح قسّم وبين أن الله عزّ وجل أنجى أهله من الكرب العظيم، وجعل ذريته هم الباقين.

أمـــا القفل ـ والتقسيم فرع منه أو شبيه له، فهو يدخل فيما سماه القدامى"حسن الخـــتام"أو"حســـن المقطع"، ويمثله تكرار رؤوس الآيات في قوله تعالى : ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِـــنُونَ*الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ*وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ*وَالَّذِينَ هُـــمْ لِلـــزَّكَاةِ فَـــاعِلُونَ*وَالَّذِيـــنَ هُـــمْ لِفُـــرُوجِهِمْ حَافِظُونَ*إلا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَـــتْ أَيْمَـــانُهُمْ فَـــإِنَّهُمْ غَـــيْرُ مَلُومِيـــنَ * فَمَـــنِ ابْـــتَغَى وَرَاء ذَلِـــكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴾(المؤمنون،1 ـ 7).فالتّكرار بين أعمال المؤمنين وقسّمها، وأكّد عليها،فالتّكرار أضاف في كل مرة عنصرا جديدا لأعمال المؤمنين، مما يجعل نازك الملائكة تقول فـــي هـــذا الجانـــب(إنّ الـــتّكرار يجـــنح بطبيعـــته إلـــى أن يفقد الألفاظ أصالتها وجدتها،ويبهت لونها، ويضفي عليها رتابة مملة، ومن ثم فإن العبارة المكررة ينبغي

أن تكـــون مـــن قوة التعبير وجماله، ومن رسوخ الإرتباط بما حولها أن تصمد أمام هذه الرتابة)(الملائكة،1967، 252).

وتـــرى الدّراسة أن نجاح دلالة التقسيم والقفل تكون في الموضوعات التي تقدم فكـــرة أساســـية يمكن تقسيمها إلى فقرات، يتناول كل منها حلقة صغيرة جديدة من المعنى،مـــثل تكـــرار قصـــص الأنبياء واحدا واحدا مع عاقبة المكذبين بهم لتثبيت الرّسول عليه السّلام. وتشير الدّراسة إلى أنّ تكرار التّقسيم ودلالته قد تلتقي قد تلتقي مع دلالات أخرى.

دلالة التّلازم:

التّلازم من الدلالات السياقية التي تنقسم إلى قسمين:

أولا: دلالة التّلازم العامة.

ثانيا: دلالة التّلازم الخاصة أو"الموضوعية".

أمـــا دلالة التّلازم العامة، فهي الإيحاء بالمعنى العام أو"الجوّ"من خلال موسيقى الـــتكرار التصـــويرية لحياة الدنيا، أو جو يوم القيامة أو أجواء الجنة والنار،ويمثله مستوى تكرار رؤوس الآيات في قوله تعالى :

﴿ وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّـــم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُواْ نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللّهِ عَلَى الظَّالِمِيـــنَ*الَّذِيـــنَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِالآخِرَةِ كَافِـــرُونَ*وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيمَاهُمْ وَنَـــادَوْاْ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ*وَإِذَا صُـــرِفَتْ أَبْصَـــارُهُمْ تِلْقَاء أَصْحَابِ النَّارِ قَالُواْ رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِيـــنَ*وَنَادَى أَصْحَابُ الأَعْرَافِ رِجَالاً يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُواْ مَا أَغْنَى عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ*أَهَـــؤُلاء الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لاَ يَنَالُهُمُ اللّـــهُ بِـــرَحْمَةٍ ادْخُلُـــواْ الْجَنَّةَ لاَ خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلاَ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ*وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُواْ عَلَيْنَا مِنَ الْمَاء أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللّهُ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾(الأعراف،44 ــ50).

فتكرار لفظ"أصحاب"سبع مرات في الآيات أعطى الجوّ تلازما، وتناسقا موسيقيا متجانســا،ولم يضعف معناها أو مدلولها مرة واحدة؛لأنّها تكتسب مدلولها الجديد كلّ مــرة مــن المضـــاف إلـــيه"أصـــحاب الجـــنة" و"أصـــحاب الـــنّار"، ومن حركة الإعراب"أصحابُ الجنة" و"أصحابَ النار".

ونلاحـــظ كذلك التّلازم الذي لا يخضع لضرورة التجانس التام في الدال المكرر فـــي قول ربٍّ العزة"ما وعدنا ربُّنا حقا"و"ما وعد ربُّكم حقا" فالتّلازم من جانب وعد الله للمؤمنيـــن فقال:"ما وعدنا ربنا حقا"،فكان وعدهم خاصا، أما أنتم أيُّها الكافرون فـــ"وعد ربكم"وعدا عاما ؛لأن الكافرين لا يستحقون الوعد الخاص بل الوعيد.

أمـــا دلالة التّلازم الخاص فإنها تأتي من بنية تكرار رؤوس الآيات ونهايتها في قوله تعالى:

﴿ وَمِـــنْ آيَاتِـــهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّـــوَدَّةً وَرَحْمَـــةً إِنَّ فِـــي ذَلِـــكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ*وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّـــمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْـــتِلَافُ أَلْسِـــنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِيـــنَ*وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ *وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِـــنَ السَّـــمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾(الروم،21 ـــ 23).

فدلالة التّلازم في الآيات تنشأ من اطراد تكرار بداية الآيات وكذلك في نهايتها لتشكل بهذا التّكرار المتلازم مجموعة من الدلالات وهي :

أولا:نسق التّلازم في التّكرار اطراد الكثرة في النعم التي أنعم الله تعالى بها على عباده نتيجة اطراد التلازم في سياق التعبير.

ثانـــيا: الإيحـــاء بوحـــدة الخـــالق وبعظمته من خلال تكرار التلازم في تعداد النعم،وآيات الخلق الكثيرة على نسق واحد.

ثالـــثا:وهي أهم الدلالات وأبعدها عمقا دلالة الإقناع الفكرية،والوجدانية في وقت واحد،فالإقناع ناشيء من العناصر التالية:

1 ـــ عرض آيات الله في الخلق ثم الدّعوة إلى التّفكر فيها مرة بعد مرة.

2 ـ تنوع الآيات المعروضة أمام الفكر والنّظر،ثم وحدة الدعوة إلى التأمل، مرة بعد مرة.

ومهمـــة الـــتلازم في الآيات من خلال التّكرار تسهيل التّفكر في الآيات والنعم المـــتعددة مـــن خلال السياق الموحد، الذي يصرف التشتت، ويلفت الانتباه، ويعمق المجرى في الحسّ والنّفس.

دلالة بناء الخبر:

فتأتـــي دلالـــة بناء الخبر من خلال مستوى التّكرار الخالص للمفردات في قوله تعالى: ﴿ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىَ ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَـاتِ اللّـهِ لَعَلَّهُـمْ يَذَّكَّـرُونَ ﴾(الأعراف،26). فالتّكرار بنى الخبر على المكرر كما يقول الرّازي:(إنّ اللباس الذي أنزله الله تعالى ليواري سوآتكم هو لباس التقوى،وعلى هذا التقدير فلباس التقوى هو اللباس الأول،وإنما أعاده الله عزّ وجل لأجل أن يخبر عنه بأنه خير لك من غيره"(الرازي،فخر الدين،1981،ج14، 55).

دلالة التّبادل:

ودلالـــة التّـــبادل تكـــون على مستوى الدالين المكررين، فيتجه كلّ دال من هذه الـــدوال المكـــررة باتجـــاه موازي حتى يصعب الفصل بين هذين الاتجاهين لأنّـهما مكمـــلان لبعضهما البعض، ونلمس هذه الدّلالة من خلال قوله تعالى:﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ (القصص،77).

فدلالة التّبادل تنبع من بنية المجاورة والمتمثلة في الدالين المكررين"أحسن"،فلفظ الـــدال الأول"ولا تـــنس نصيبك من الدنيا وأحسن" تدل على إخراج حق الفقراء من المـــال عـــن طريق الصدقات في الحياة الدنيا وغيرهم ممن تجب لهم الصدقات.أما الـــدّال المجـــاور فيشـــير إلى الرزق الذي ينعم الخالق به على خليفته الإنسان في الأرض،" فالدالان المتجاوران يسيران بحركة واحدة، وفي اتجاه واحد إلى درجة أن

تُبْصِرُونَ ﴾(الحاقة،38) ،ففي قوله تعالى:" وَمَا لا تُبْصِرُونَ "، ما يدل على أن الله تعالى لا يقسم فعلا؛ لأن الأمر إما واضح فهم يبصرونه، وإما غير واضح لهم لعيّ أصاب قلوبهم، فدلالة النفي تتجه إلى تأكيد عدم القسم فيقول الزمخشري في ذلك: "والمعنى أنه لا يقسم بالشيء إلا إعظاما له؛ لأن الأمر أوضح من أن ينكره ذو البصيرة،ولهذا أشار الله إلى البصر في القسم " (الزمخشري،د.ت، 658).

والصــورة الثالــثة مــن دلالة النفي أن يتردد حرف النفي في الآية نفسها مع متعلقات مختلفة على مستوى السطح الدلالي ، لكنها تلتقي في المستوى العميق للآية كقولــه تعــالى:﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ وَلا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا﴾ (مــريم،42).فترديد حرف النفي"لا"،نجد فيه تأمل السائل وتعجبه من خلال وقفات ذهنية متفلسفة مع هذا الوجود،فترديده في الآية يعطي دلالة التوكيد والإثبات أن هذه الأصنام لا تضر ولا تنفع(البقري،1989)

أمــا القســم الثاني من دلالة النفي أن تأتي من أجل صرف الأفعال عن دلالتها الحقيقية،ويــتردد ذلــك من خلال ترديد الفعل والحرف في قوله تعالى:﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَــدْ*وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ (الإخلاص،3 ــ 4).فتكرار حرف النفي مع ترديد الأفعال أفــاد فــي الدال الأول" لم يلد"صرف الفعل المضارع إلى معنى الماضي،أما الدال المــردد"لــم يولــد"فإنه يدل على صرف الفعل المضارع إلى الحال، وكلا الدالين يتصــلان علــى المستوى العميق ليؤكدا أن الله عزّ وجل" لم يكن له كفوا أحد".أما القسم الثالث من دلالة النفي أن يتسلط النفي على متعلقات سبقت الدال الأول والدال المكرر كقوله تعالى: ﴿ عَمَّ يَتَسَاءلُونَ*عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ*الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ*كَلا سَيَعْلَمُونَ*ثُمَّ كَــلا سَــيَعْلَمُونَ﴾(النبأ1 ــ 5).فلفظ "كلا"وضع لردّ شيء قد تقدم(البقري،1989).فالآيات من خــلال النفــي قــررت ردّ قولهــم الــذي هــم فيه مختلفون بالردع والتهديد فقال تعــالى:" كــلاّ ســيعلمون"، فهــو وعــيد لهم بأنهم سوف يعلمون أن ما يتساءلون عنه،ويضــحكون فــيه حــق لا دافــع له،واقع لا ريــب فــيه،والغرض مــن تكــرار النفــي الــردع والتأكــيد للدلالــة علــى أن الوعيد الثاني أبلغ من الوعيد الأول(الرازي،فخر الدين،1981).

فدلالـــة النفي في التشكيل التكراري تأتي في أغلب حالاتها من أجل تأكيد هدف تعرض له الآيات،دون أن يؤثر ذلك على المعنى العام للآيات، بل يعمل على تكثيف المعنى والدلالة في وقت واحد.

دلالة التقابل:

ونجـــد مـــن أهـــم الدلائل التي تعالجها هذه الدلالة،صورة التقابل بين الماضي والحاضر،أو صورة الحاضر والماضي،فتتقابل الصورتان في سياق واحد من خلال بنـــية الترديد في قوله تعالى: ﴿ وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ*فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ*وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ*لا بَارِدٍ وَلا كَرِيمٍ*إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ﴾ (الواقعة،41 ــ 45).

فحديـــث الآيـــات عن الكفار أصحاب الشمال الذين يعذبون في النار، فتعرض الآيـــات مشـــهدا من مشاهد تعذيبهم فيها، ومن حيوية التصوير في هذا المشهد أنه طـــوى الحـــياة الدنيا، وأقام القيامة، وجعلنا نذهب بخيالنا إلى الدار الآخرة، ونرى أصـــحاب الشـــمال فـــي الســـموم والحميم، ونتذكر حياتهم الماضية في الدنيا أيام ترفهم،ورفاهيـــتهم مـــع أنّـــنا فـــي الواقـــع مـــا زلنا في الدنيا نراهم مترفين غير معذبين،فالـــترديد رســـم لهـــم صـــورتين متقابلتين: الأولى في الحياة الدنيا وحالهم مترفة،والثانية:في الآخرة وحالهم حال بؤس وعذاب(القرعان،1994).

دلالة التوازي:

فالـــتوازي من الدلائل السياقية ذات الحضور الكبير في الآيات المكية، ونلمسه فـــي التشـــكيلات التكرارية ذوات الصيغة التركيبية الواحدة، ويتشكل ذلك من خلال بنـــية تـــرديد الحـــرف فـــي قوله تعالى : ﴿ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا*وَالْقَمَرِ إِذَا تَلاهَا*وَالنَّهَارِ إِذَا جَلاهَـــا*وَاللَّـــيْلِ إِذَا يَغْشَـــاهَا*وَالسَّـــمَاءِ وَمَـــا بَـــنَاهَا*وَالأَرْضِ وَمَـــا طَحَاهَـــا*وَنَفْـــسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴾ (الشمس،1ــ 7).

فترديد حرف القسم أوجد لنا التوازي الدقيق في كل وحدة بنائية في الآيات،فقسم الآيـــات إلى وحدتين بنائيتين:الأولى يمثلها قوله تعالى: ﴿ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا*وَالْقَمَرِ إِذَا تَلاهَـــا*وَالنَّهَارِ إِذَا جَلاهَا*وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ﴾،فتوازي الوحدة الأولى من خلال

الـــتكرار يكـــون علـــى الشـــكل التالـــي: أداة القسم،فالمقسم به،فأداة الشرط، ففعل الشرط،فالضـــمير.أمـــا الوحـــدة البنائـــية الثانية فيمثلها قوله تعالى:﴿ وَالسَّمَاء وَمَا بَنَاهَا*وَالأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا*وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴾،فالتوازي في جزئيات الوحدة الثانية يتشـــكل مـــن أداة القســـم فالمقســـم به،فالعطف،فاســـم الموصـــول"مـــا"،والفعـــل وضـــميره.فعناصـــر التوازي تتضافر من أجل إطلاق جوّ من الموسيقى التصويرية لمشـــاهد الكـــون عل نهج خاص يولد الرهبة،ويلفت الانتباه من خلال شحذ الوجدان لدى الفرد والسامع.

ومـــن الســـورة نفســـها نجد مقطع تتوازى جزئياته على الشكل التالي: حرف تحقـــيق"قد" فالفعل الماضي،فاسم الموصول"من"فالفعل الماضي وضميره"الهاء"ويمثله قولـــه تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا*وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴾(الشمس،9 ــ 10).وهذا النوع من التوازي يشيع في السور القصار من الآيات المكية،أما السور الطوال فله أنواع أخـــرى مـــن التوازي ويمثله مستوى تكرار رؤوس الآيات في قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلا وَلَدًا*وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا*وَأَنَّا ظَنَـــنَّا أَن لَّن تَقُولَ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا*وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾(الجن،3 ــ7).

فـــتكرار بداية الآيات يبدأ بحرف"الواو"،فحرف التأكيد" أنّ"واسمه فخبره المؤلف غالبا من جملة فعلية،ليدل هذا التكرار المتوازي على اطراد الخبر المقصوص على لسان الجن بعد سماعهم قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد،ويوحي باطراد نسق التصوير.

ويأتـــي مـــنه تكرار توازي البدايات حتى نهاية الآيات ويمثله قوله تعالى:﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاء أَفَـــلا تَسْـــمَعُونَ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَـــيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلا تُبْصِرُونَ ﴾(القصص، 71 ــ 72).فتكرار رؤوس الآيـــات يوضح من خلال دلالة التوازي أهمية الفضل الذي يمنّ الله تعالى به على عباده،مما استوجب الإلحاح عليه وتكراره.

ويتشـــكل الـــتوازي من خلال تكرار صيغة التركيب وترتيب الأجزاء،بل يكرر النســـق بحـــروفه،ومع ذلـــك تـــبقى جســـور متصـــلة بيـــن الأنواع جميعا كقوله

تعـــالى: ﴿ وَالسَّلامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ (مريم،33).فدلالة التوازي من خـــلال تـــرديد لفظ"يوم"تشير إلى دلالة الربط عن طريق الإيقاع الموسيقي من قبيل الرجع الموسيقي للصوت المردد أو المعنى المرجع.

دلالة التواصل:

نلمس من خلال الآيات المكية أن دلالة التواصل تكاد تكون محصورة في بعض الآيات،وتتشكل دلالة التواصل من بنية ترديد الأفعال في قوله تعالى: ﴿ بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِيــنَ﴾(يونس،96). فالآية تبدأ بالطرف الأول من الترديد والمتمثل بقوله تعالى:"بل كذبــوا بما لم يحيطوا بعلمه"، ليمتدّ ويشمل قوله"ولما يأتيهم تأويله"، ليظهر بعد هذا الامتداد على مستوى السطح الأفقي جملة الدال المردد من خلال قوله:" كذلك كذّب الّذيــن مـــن قبلهم فينشأ من هذين الدّالين علاقة التّواصل الّتي تظهرهم بأنهم كذّبوا بالكـــتاب من غير أن يأتيهم التّأويل(القرعان،1994)،وفي هذا الصنيع كفر وظلم، وهذا المعـــنى نجـــده فـــي الدّال المردد ليتواصل به معنى التّكذيب،ويمتدّ ويتواصل لهذا التّكذيب في الدّالين المرددين العقاب من الله عزّ وجل(القرعان،1994).

ج ــ دلالة الإيقاع:

الإيقـــاع مـــن عناصـــر البـــيان القرآنـــي المعجز، الذي يؤثر في القارئ حين يلحظـــه،والإيقاع القرآني يتكون من مخارج الحروف في الكلمة الواحدة ومن تناسق الإيقاعات بين كلمات الفقرة،ومن اتجاهات المدّ في الكلمات،ثم من اتجاهات المد في نهاية الفاصلة المطردة في الآيات(قطب،1956).

والإيقـــاع فـــي الآيـــات المكـــية متناســـق مع السياق الذي ورد فيه من خلال التشـــكيلات التكرارية،ومتناسق مع نظام الفواصل القرآنية، ومتناسق مع الجوّ العام للسورة، وقد قسّمت الإيقاع في التشكيلات التكرارية إلى ثلاثة أقسام:

الأول:الصوت المتكرر.

الثاني:تكرار أصوات سابقة.

والثالث: تكرار القالب الصوتي.

فــنجد الآيات في القسم الأول تتخذ من الصوت المتكرر وسيلة بلاغية لتصوير الموقــف وتجسيمه، والإيحاء بما يدل عليه معتمدا في ذلك على التشكيل التكراري المتمــيز بخصــائص صــوتية خاصة. والآيات المكية تستخدم هذه الوسيلة باقتدار رائع،وإعجــاز معجـــز،ونلمس هــذا الإيقاع الصوتي المتكرر من خلال مستوى الـــتكرار الخـــالص للمفـــردات فـــي قوله تعالى: ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ*خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ*مُّهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ (القمر،6 ــ 8).

فكلمـــة الـــداع المكـــررة مرتيـــن فـــي الآيات محذوفة الياء؛لأنها اسم منقوص بالـــياء"الداعـــي"، ولو ذكرت الياء لوجب مدّها مدّا طبيعيا بمقدار حركتين ولو مدّت الـــياء حركتين لاختل"الإيقاع"الجذّاب في السياق وأدّى إلى ما يشبه الكسر في وزن الشعر،لذلك حذفت الياء من الكلمتين لتحقيق التناسق في الإيقاع الجذاب المتناسق مع السياق ، ومع الفواصل في الآيات(الخالدي،2000).

ونلمس الجرس الإيقاعي للصوت المكرر من خلال مستوى تكرار نهاية الآيات فـــي قولـــه تعالى:﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ*مَلِكِ النَّاسِ*إِلَهِ النَّاسِ*مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ*الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ*مِنَ الْجِنَّةِ وَ النَّاسِ﴾(الناس،1 ــ 8).

فحـــرف الســـين المتكرر من خلال كلمة"الناس"صوت " صامت مهموس لثوي احتكاكـــي لا يســـتطيع الإنسان أن ينطق به وهو مفتوح الفم ، بل ينطقه عند التقاء أسنانه السفلى بأسنانه العليا"(السعران،1990)، وقد اختيرت هذه الأصوات بصفة خاصة لإبـــراز هـــذه الوسوسة التي يخافت بها أهل الجرائم والمكائد من الناس، وما يلقيه الشيطان في روع الإنسان ليزيّن له بذلك ارتكاب المعاصي فلزم لهذا الأمر الصوت المـــتكرر الاحتكاكـــي المهمـــوس لتصوير حالة الهمس الخفي، وقد أعانه على ذلك بعض الأصوات الأخرى التي تقاربت مع صوت السين مخرجا، ومنها حرف الصاد المطـــبق الـــذي يشترك في كل خصائصه الصوتية مع صوت السين، ويزيد عليه الإطـــباق ليعطـــي بذلك إيقاعا أعلى وسط هذه السينات المتتالية،ويشترك معه أيضا

صـــوت الفـــاء الصــــامت المهمـــوس الشفوي الاحتكاكي، فترسم لنا هذه الأصوات المتكررة موقف التحريض الهامس على ارتكاب الآثام(السعران،1990).

ويأتـــي مـــن خــــلال بنية المجاورة الصوت المتكرر ليدل على إيقاع هول يوم القـــيامة كقوـــله تعـــالى: ﴿ يَـــوْمَ تَـــرْجُفُ الـــرَّاجِفَةُ*تَتْـــبَعُهَا الرَّادِفَةُ*قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَـــةٌ﴾(الـــنازعات،6 ـ 8).فـــتكرار قوله:"ترجف الراجفة"يولد إيقاع الهول من خلال تكـــرار صـــوت الـــراء الذي تتابع في نطقه طَرقات اللسان على اللثة تتابعا سريعا يصور أبدع تصوير إيقاع الرعشة التي تنتاب الأرض والسماء.

أمـــا تكـــرار الأصـــوات السابقة فإيقاعها ينبع من تتابع وانتظام الأصوات فيها للتعبـــير عـــن معنى معين، وتصويره تصويرا موحيا ومؤثرا، وتمثل بنية المجاورة إيقـــاع الأصوات السابقة في قوله تعالى: ﴿ كَلا إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾(الفجر،21). فـــتكرار الـــدّك يولـــد الإيقـــاع للفعل"دُكت"،ليصور هذا الدك أجزاء الأرض جزءا جزءا،وتكـــرار ذلـــك مرة بعد مرة حتى تفنى،واختيار الدّك دون غيره من الأفعال يشعرنا بالأصوات الانفجارية التي ينحبس عند النطق بها الهواء انحباسا تاما، ثم لا يكـــاد ينساب حتى ينحبس في صوت انفجاري آخر، ليشعرنا هذا التكرار بالإحاطة بـــالأرض، والإطـــباق علـــيها حتى لا يفلت منها جزء من الأجزاء حيال هذا الدّك المتوالي، وهذا الانتقال لحرف الدال مع الدوال المكررة والمتجاورة يتناسب وتكرار الضغط على الأرض حتى لا يبقى منها شيء.

ومـــنه قوـــله تعـــالى: ﴿ إِنَّهُـــمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا*وَأَكِيدُ كَيْدًا*فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْـــدًا﴾ (الطارق،16 ـ 17) وقوله تعالى: ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ*وَلا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَـــدٌ ﴾(الفجـــر،25 ـ 26) ،فـــتكرار الأصوات السابقة وفي كثير غيرها كان مع اتفاق المعنى،ولكن القرآن قد يلجأ إلى تكرار أغلب الأصوات في كلمتين متتاليتين ليحدث بيـــنهما نوعا من الجناس الصوتي مع تغير في فونيم كل كلمة منها ليتغير تبعا لذلك المعنى،ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴾ (الهمزة،1)،فالمعنى هنا اختلف لوجـــود فونـــيم"الهـــاء"فـــي الدال الأول،واللام في الدال المكرر وهما متباعدان في المخرج،فأطلق عليه البلاغيون (الجناس اللاحق)(المرسي،1999، 176).

أما القسم الثالث:تكرار القالب الصوتي، وهو من السمات الواضحة للغة القرآن في السور المكية،وخاصة في السور القصار، فتجد له الأذن لذة، وفي تكراره متعة تجعلــه قريبا من النفس، سريع العلوق بالقلب سهلا في حفظه وترداده،وهذا القالب الصــوتي مقيس بدقة متناهية في كثير من المواضع،ويمثله بنية الترديد في الأفعال فــي قولــه تعــالى:﴿ إِلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّــبْرِ﴾(العصر، 3). وقد أدرك بعض الشعراء من ذوي الحس البياني الرهيف مدى ما لهذا التكرار من جمال فنسجوا على منواله،واحتذوا مثاله حذوك الشعرة بالشعرة كقول البحتري:

" فأحجم لما لم يجد فيك مطمعا وأقدم لما لم يجد عنك مهربا"(المرسي،1999، 178)

والاستدلال بهذا البيت من الشعر لبيان تساوي وحداته الصوتية المكررة تساويا يكاد يكون تاما.وقد تلجأ البلاغة القرآنية إلى تكرار القالب الصوتي الطويل مع الحرص الشــديد على تطابق نظام ترتيب الكلمات في الجمل،واختلاف يسير في الطول ومن ذلــك قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَن أَعْطَى وَاتَّقَى*وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى*فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى*وَأَمَّا مَــن بَخِــلَ وَاسْتَغْنَى*وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى*فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى ﴾(الليل،5 ــ 10).فالإيقاع ولد المطابقــة الباهرة بين المعنيين،وتلجأ البلاغة القرآنية إلى إعادة القالب الصوتي بعد فاصل ومن ذلك قوله تعالى :

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ*وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْــتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ*وَمِنْ آيَاتِــهِ مَــنَامُكُم بِاللَّــيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَــوْمٍ يَسْمَعُونَ وَ مِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَــاءً فَيُحْيِــي بِــهِ الأَرْضَ بَعْــدَ مَوْتِهَــا إِنَّ فِــي ذَلِــكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (الروم،21 ــ24).

فعند سماع هذا الإيقاع في الآيات يتولد لدينا دلالة التلازم، أو إيقاع التلازم على الشكل التالي:

أولا:انقســام الآيــة الواحــدة إلى قسمين : أولهما أطول من الثاني هما القرينة والتعقيب.

ثانـــيا:جـــواز الوقف الواضح على موضع الانقسام في أواخر"القرائن" استجابة للسياقين المعنوي والموسيقي .

ثالـــثا:هـــذا الإيقاع في التقسيم يذكرنا بانقسام البيت قي الشعر القديم فمنه يتولد الإيقاع.

رابعـــا:التقسيم في الآيات فنيّ لا صناعي ينبع من المعنى، فالقرينة عرض لعدد مـــن آلاء الخالق المنعم، والتعقيب الذي ولد الإيقاع حث على تدبرها، خلافا لانقسام البيت في الشعر العربي القديم الذي يسبق المعنى أو يفرضه.

خامســـا:الانقســـام في الآيات قائم على نسب زمنية متقاربة، ثلثان للقرينة وثلث للتعقيـــب.وبهـــذا الـــتكرار للقالـــب الصـــوتي المتشكل من تكرار مستوى رؤوس الآيات،ونهايتها يتولد لدينا دلالة الإيقاع المنبثقة من التلازم بين الدوال المكررة.

وتـــرى الدراســـة أن أهمية التوزيع المكاني للتكرار داخل السياق يؤكد أن هذا الحـــيز المكاني يؤثر في البنية الدلالية،فكما أنه يؤثر حقا في إنتاج الدلالة‘فإن البنية الإيقاعـــية تؤثـــر كذلك،ومن تأثير البنية الإيقاعية تكمن الدوافع الفنية للتكرار لدى الشـــعراء فـــي تحقيق النغم والإيقاع والرمز، فيرى مصطفى السعدني:" أن النغمة هندسة الموسيقى التي تؤهل العبارة وتغني المعنى"(السعدني،د.ت،50).

ويرتـــبط المســـتوى الصوتي بالحالة النفسية ارتباطا وثيقا، فالحاجة إلى تكرار الألفاظ، وتكرار جرسها الموسيقي يعتمد على حاجة المعنى في نفس المتلقي تصديقا أو رفضـــا(ناجـــي،1984، 140،جمعة،250،1991 ــ 253).ويؤكد علي البطل على وظيفة الإيقـــاع النفسية فيقول:" التكرار في حدّ ذاته وسيلة من الوسائل السحرية التي تعتمد علـــى تأثـــير الكلمـــة المكـــررة في إحداث نتيجة معينة في العمل الأدبي وخاصة الشعر"(البطل،1981، 218،الأسعد ،1999).

ويـــرى عمـــر الســـلامي:" أن الـــتكرار بشـــتى أنواعـــه يحدث نوعا خاصا مـــن الإيقـــاع تســـتلزمه العـــبارة لأغـــراض فنـــية، ونفســـية،واجتماعية ودينية"(السلامي،1980، 231،الأسعد،1999)،ويرى عمر السلامي كذلك:

"أن الـــتكرار فـــي الســـور المكية يلتزم التتابع المنطقي،ويخضع لنغمة الســـياق،ثم ينفرد بالإيقاع عندما تتلاقى بعضها ببعض لتلج نغمته إلى

النفس لتنصهر في حقيقة واقع وجودها،وإلى العقل ليستجمع قواه فيتأمله ويستبصره،وعلى هذا نستطيع تفسير سورة المرسلات والرحمن وغيرها من السور التي يتردد فيها تكرار اللازمة"(السلامي، 1980، 240).

ومن هذه الدلالات الإيقاعية ترى الدراسة:

أولا:أن أصغر وحدة موسيقية في القرآن هي الآية، فتكرار الفاصلة، والمفردة والقالب الصوتي من أركانها البارزة.

ثانيا: موسيقى الآية فالمقطع،فالسورة،وموسيقى السور المكية،والسور المدنية موسيقى خصبة،تتجاوز العروض المعروف لدينا.

ثالثا: بوسع الفنون النثرية على اختلاف أشكالها الأدبية الإفادة من هذه الموسيقى الخصبة في القرآن الكريم وخاصة السور المكية.

الخاتمة

لعل أبرز النتائج التي توصلت إليها في البحث ما يلي:

1ـ تتبع معنى التكرار من جانبي اللغة والاصطلاح من خلال المعاجم والدراسات البلاغية التي تناولت الموضوع، من أجل تميزه من مرادفاته الكثيرة والتي تشمل الترديد، ورد الأعجاز ، وتشابه الأطراف، والعكس والتبديل، والمجاورة وأثبتت الدراسة أن ظاهرة التكرار ظاهرة واسعة في الأدب العربي.

2 ـ تتبع موقف القدماء من التكرار،إذ تبين أن القدماء تناولوا ظاهرة التكرار من الجانب الأسلوبي ، ولكنهم لم يخصوا هذه الظاهرة بفصل مستقل، أو مصنف مستقل وتبين للباحث أيضا أن الدراسات الدراسات القرآنية الحديثة دخلت إلى التكرار كظاهرة أسلوبية من مدخلين: الأول: أنه أسلوب واضح في القرآن الكريم من جهة العبارات والآيات، ثانيا:تكرار القصص.

3 ـ أن التكرار أمر جوهري في البناء اللغوي ونظم الكلم ، ويمكن من خلاله حمل الكثير من المسائل النحوية،والتفسيرية عليه،لبيان إعجاز القرآن وبلاغة نظمه.

4 ـ أن التكرار في القرآن الكريم واقع من جهة التركيب اللفظي دون المعنى وهذا ما تؤكد عليه البنى التكرارية المختلفة التي تناولتها الدراسة .

5 ـ أن البنى التكرارية الواردة في القرآن الكريم وخاصة في السور المكية أكثر ورودا من السور المدنية، ومرد ذلك إلى أسلوب القرآن الكريم قي تثبيت العقيدة الإسلامية في النفوس في المرحلة الأولى من التنزيل.

6 ـ أن البنى التكرارية من خلال دلالاتها المعجمية والسياقية والإيقاعية تؤكد قدرة القرآن الكريم في التأثير والإقناع في نفوس المتلقين له في كافة العصور .

قائمة المراجع:

ابن الأثير الحلبيّ،(أحمد بن إسماعيل،"ت737 هـ")،(1980):جواهر الكنز،تلخيص كنز البراعة في أدوات ذوي البراعة،تحقيق:محمد زغلول سلاّم،منشأة المعارف الاسكندريّة،د.ط.

ابن الأثير،(ضياء الدين بن الأثير،"ت637 هـ ")،(1962):المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر،تحقيق:أحمد الحوفيّ،وبدوي طبانه،الجزء الثالث،مكتبة نهضة مصر،القاهرة،ط1.

أبو إصبع،صالح،(1997):الحركة الشعرية في فلسطين المحتلة،المؤسسةالعربية للدراسات والنشر،بيروت،لبنان،ط1.

أحمد،أحمد ميقري، (2001):البرهان في إعراب آيات القرآن،المكتبة العصرية لبنان،بيروت،ط1.

الأشعريّ، أبو الحسن، (1969): مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين،تحقيق: محمد محي الدّين عبد الحميد،مكتبة النّهضة المصريّة،القاهرة،ط2.

أولمان، استيفن، (1986):دور الكلمة في اللّغة، ترجمة: كمال محمد بشير، مكتبة الشّباب،القاهرة ، ط10.

الألوسيّ، شهاب الدّين محمود ،(د.ت): روح المعاني في تفسير القرآن العظيم،دار الفكر العربي،لبنان،بيروت، ط1.

الأندلسيّ،(عبد الجليل بن موسى القصديّ،ت 608هـ)،(1995):شعب الإيمان تحقيق:سيد كسروي حسن،دار الكتب العلمية،بيروت،ط1.

الأندلسيّ، عبد الحقّ بن عطيّة ،(1985):المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز،تحقيق:عبدالله بن إبراهيم الأنصاريّ،وعبد العال السّيد إبراهيم الدّوحة،ط1.

الأنصاريّ،(أبو يحيى زكريّا،ت 926 هـ)،(1983): *فتح الرّحمن بكشف ما يلتبس في القـرآن*، تحقيق:محمـد علي الصابونيّ،دار القرآن الكريم،بيروت،ط1 .

الإسكافي، الخطيب، (1973):درّة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز،منشورات،دار الآفاق الجديدة،بيروت،ط1.

الأسعد، خولة محمـود رفيفان، (1999):التشكيل التكراري في السـور المدنية، رسالة ماجستير،إشراف الدكتور،زياد الزعبي،جامعة اليرموك.

بدوي،أحمد أحمد، (1986): من بلاغة القـرآن، دار النّهضة، مصر، ط3 .

البقـريّ، أحمـد، (1989):أساليب النفي في القـرآن،المكتب العربي الحديث، الاسكندريّة مصر،ط1.

البرزة، أحمد مختار، (1985):أساليب الـتّوكيد من خلال القرآن الكريم،مؤسسة علوم القرآن،دمشق،ط1.

البغداديّ، محمـد بن حيدر، (1981): قانـون البلاغة في نقد الشّعر،تحقيق:محسن غياض عجيل،مؤسسة الرّسالة،بيروت،ط1.

البقاعيّ،(برهان الدّين أبي الحسـن إبراهيم بن عمـر،ت 885هـ)،(1995):نظم الدّرر في تناسب الآيات والسّور،تخريج،عبد الرّزاق غالب المهديّ،دار الكتب العلميّة بيروت،لبنان،ط1.

بنت الشّاطئ، عائشـة عبد الرحمـن، (1974):التّفسيـر البيانيّ للقـرآن الكـريم دار المعارف،مصر،ط4.

البطل، علي، (1981):الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري دار الأندلس،بيروت،د.ط.

بركات، محمد فارس، (1985):الجامع لمواضيع آيات القـرآن الكريم،دار قتيبة بيروت،ط1.

بكّار، يوسف، (1990):في العروض والقافية،دار المناهل،بيروت،ط2.

التّبريزيّ، الخطيب التّبريزيّ، (1975): الوافي في العـروض والقـوافي، تحقيق: فخرالدين قباوة، وعمر يحيى، مطبعة الحلبيّ، دمشق، ط2.

التّهانوي، محمد أعلى بن علي، (1966):كشّـــاف اصطلاحات الفنون،شركةالخيّاط بيروت،د.ط.

تعيلب، عبد المنعم أحمد، (1995):فتح الرحمـــن في تفسير القـــرآن،دار السلام، دون مكان،ط1.

الثّعالبي،(عبد الملك بن محمد،ت 429 هـ)،(1983): يتيمـــة الدّهـــر في محاسن أهل العصر،شرح وتحقيـــق:مفيد محمـــد قميحة،دار الكتب العلمية،بيروت، لبنان،ط1.

ثعلب،(أحمد بن يحيى،291هـ)،(1948):قواعد الشّعر،تعليق وشرح:محمـــد عبد المنعم خفاجي،مطبعة مصطفى الحلبيّ،مصر،ط1.

الجاحظ،(أبو عثمان عمر بن بحر،ت 355 هـ)،(1948): البيان والتّبيين،تحقيق: عبد السلام هارون ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ط1.

الجاحظ،(أبو عثمان عمر بن بحر،ت 355 هـ)،(1991):رسائل الجاحظ،تحقيق: عبـــد السلام محمد هارون،دار الجيل،بيروت،ط1.

الجرجاني،(عبد القاهر بن عبد الرحمن،ت471هـ)،(1978): دلائل الإعجاز (في علم المعاني) صحح أصله محمد عبده:ومحمد محمود الشنقيطي،تعليق وشرح :محمد رشيد رضا دار المعرفة،بيروت،لبنان،ط1.

الجرجانيّ،(علي بن عبد العزيز،ت366هـ)،(د.ت):الوساطة بين المتنبي وخصومه تحقيق:محمد أبو الفضل إبراهيم،وعلي محمـــد البجّاوي،مطبعة عيسى الحلبيّ القاهرة،د.ط.

الجرجانيّ،(علي بن محمـــــــد الشّريف،ت 816هـ)،(د.ت):التّعريفات،تحقيق،عبد المنعم الحنفي،دار الرّشاد،القاهرة،د.ط.

الجزائري، أبو بكر جابر الجزائري، (1989):منهاج المسلم،دار الشروق،جده،ط9.

الجوهري، إسماعيل بن حماد، (1979): الصّـــــحاح(تاج اللغة وصحاح العربية) تحقيق:أحمد عبد الغفور عطارة،دار العلم للملايين،بيروت،ط2.

جمعة، حسين، (1991):الرثاء في الشعر الجاهلي والإسلام،دارمعدّ للنشر والتوزيع دمشق،ط1.

بن جعفر، قدامة، (1980):نقد الشعر،تحقيق،محـــمد عبد المنعم خفاجي،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،ط1.

حسّان، تمام، (1979):اللّغة العربيّة معناها ومبناها،الهيئـــة المصريّة العامة للكتاب القاهرة ، ط2.

ابن الحاجب،(عثمـــان بن عمـــر،ت646هـ)،(د.ت):الإيضـــاح في شرحالمفصّل تحقيق:موســـى نباي العليلي،وزارة الأوقاف،إحيـــاء التراث الإسلامي،بغداد العراق،د.ط،

ابن الحاجب،(1985):الأمالي النّحـــويّة،(أمالي القرآن الكريم)،تحقيق:هادي حسن حمودي،مكتبة النّهضة العربيّة،عالم الكتب،بيروت،ط1.

الحاتمي، أبو علي محمد بن الحسن بن المظفر، (1979):حلية المحاضرة في صناعة الشعر،تحقيق:جعفر الكتاني،بغداد،د.ط .

ابن حجّة الحموي،(أبو بكر علي،ت837هـ)،(1991):خزانة الأدب وغاية الأرب، شرح:عصام شعيتو،دار مكتبة الهلال،بيروت،ط2.

الحلبي،(أحمـــد بن يوســـف، ت756هـ)،(1991):الدر المصون في علوم الكتاب المكنون،تحقيق:أحمد محمد الخرّاط،دار القلم،دمشق،ط1.

حبنّكة، عبد الرحمن الميداني، (1989):قواعد التدبر الأمـــثل لكتاب الله عزّ وجل دار القلم ، دمشق ، ط2.

حسين، عبد القادر، (1984):فن البلاغة،عالم الكتب،بيروت،ط1.

حوى، سعيد، (1985):الأساس في التفسير،دار السلام،بيروت،لبنان،ط1.

الخفّاجي،(محمد بن عبد الله بن سنان الخفاجي،ت466هـ)،(1982): سرّ الفصاحة تحقيق:وشـــرح،عبـــد المتعال الصعيدي،مكتبـــة ومطبعة محمد علي صبيح، القاهرة،ط1.

الخالدي، صلاح عبد الفتاح، (2000):إعجاز القرآن البيانيّ ودلائل مصدره الرّباني دار عمار،الأردن،ط1.

الخالدي، صلاح عبد الفتاح، (1992):لطائف قرآنية،دار القلم،دمشق،ط1.

الخطيب، عبد الكـــريم، (د.ت):القصص القرآني في منظومه ومفهومه،دار المعرفة بيروت،لبنان،د.ط.

دوب، رابح، (1997):البلاغة عند المفسّرين حتى نهاية القرن الرّابع الهجري، دار الفجر للنّشر والتّوزيع،القاهرة،ط1.

الداية، فايز، (د.ت):البلاغة العربية (البيان والبديع)،منشورات جامعة حلب مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية،د.ط.

درّاز، محمد عبد الله، (1981):مدخل إلى القرآن الكـــريم،ترجمة:محمد عبد العظيم دار القلم،الكويت،ط3.

الدّرة، محمد علي طه، (1986):تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه،منشورات دار الحكمة،بيروت،دمشق،د.ط.

الدّرويش، محي الدين، (1988):إعراب القـــرآن الكريم وبيانه،اليمــــامة للطباعة والنشر دمشق،د.ط.

الرّازي، فخـــر الدّين بن ضياء الدّين عمـــر، (1981):تفسيـــر الرّازي،المشهـــور بـــ(التّفسيرالكبير ومفاتيح الغيب)،دار الفكر،للطّباعة والنّشر،بيروت،لبنان ،ط1.

الرّازي،(فخر الدّين محمـــد بن عمر الرّازي،ت 604هـــ)،(1985):نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز،تحقيق:إبراهيم السّامـــرائي،ومحمد بركات أبو علي،دار الفكر للنّشر،عمّان،الأردن،ط1.

الرّازي،(محمـــد بن أبي بكر ،ت،ق7.هـــ)(د.ت):مـــختار الصّحاح،ترتيب،محمود خاطر،دار الحديث،القاهرة،د.ط.

الرّماني،والخطّابي،الجـــرجانيّ، عبـــد القاهر، (1968):ثلاث رســـائل في إعجاز القـــرآن،تحقيق،محمـــد خلف الله ،ومحمد زغلول سلام،دار المعارف،مصر ط2.

رضا، محمد رشيد، (د.ت) :تفسير المنار،قدم له الشيخ محمـــــد عبده،دار المعرفة بيروت،لبنان،د.ط.

الرّافعي، مصطفى صادق، (1995):إعـــجاز القـــــرآن والبلاغة النبوية،دار الفكر العربي،القاهرة،ط8.

ربابعة، موسى، (1990):التّكرار في الشّعر الجاهلي،"دراسة أسلوبيّة"،مجلة مؤتة للبحوث والدّراسات، الأردن، المجلد الخامس، العدد الأول.

الزبيديّ،(محمد مرتضى الحسينيّ،ت 1205هـ)،(د.ت)،تاج العروس من جواهر القاموس،تحقيق:عبد العليم الطّحاوي،دار الجيل، بيروت، لبنان،د.ط د.ت.

الزركشيّ، الإمام بدر الدّين محمد، (1972):البرهان في علوم القرآن،تحقيق،محمد أبو الفضل،دار المعرفة،بيروت، ط2.

الزّمخشريّ،(محمود بن عمر،ت538هـ)،(1982):أساس البلاغة،تحقيق: عبدالرّحيم محمود، دار المعرفة، بيروت، لبنان،د.ط.

الزّمخشريّ،(محمود بن عمر،ت538هـ)،(د.ت):الكشّاف عن حقائق التّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التّأويل،الدّار العالميّة للطّباعة والنّشر والتّوزيع د.ط.

الزّملكانيّ،(عبد الواحد بن عبد الكريم،ت651هـ)،(1964):التّبيان في علم البيان المطّلع على إعجاز القرآن،تحقيق،أحمد مطلوب،وخديجة الحديثي،بغداد ط4.

الزّملكانيّ،(عبد الواحد بن عبد الكريم،ت651هـ)،(1974):البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن،تحقيق،خديجة الحديثي،وأحمد مطلوب،مطبعة العاني،بغداد،ط1.

الزّحيلي، وهبة، (1991):التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج،دار الفكر بيروت ، لبنان ، ط1.

السبكيّ، بهاء الدّين السبكي، (1937):عروس الأفراح ضمن شروح التّلخيص مطبعة عيسى البابي،مصر،د.ط.

السجلماسيّ،(أبو محمد القاسم الأنصاريّ،ت704هـ)،(1980): المنزع البديع في تحسين أساليب البديع،تقديم وتحقيق:علال الغازي،مكتبة المعارف،الرّباط،ط1.

ابن سيدة،(علي بن إسماعيل،ت458هـ)،(1958):المحكم والمحيط الأعظم في اللغة تحقيق:مصطفى السقا،وحسين نصار،مكتبة مصطفى البابي،مصر،ط1.

سلامة، إبراهيم، (1952):بلاغة أرسطو بين العرب واليونان،مكتبة الإنجلو، ط2.

السيوطيّ،(جلال الدّين عبد الرحمن بن أبي بكر،ت911 هـ)،(1990):الدّر المنثور في التّفسير بالمأثور،دار الكتب العلميّة،بيروت،لبنان،ط1.

السيوطيّ،(جلال الدّين عبد الرحمن بن أبي بكر،ت911هـ)،(1981):معترك الأقران في إعجاز القرآن،تحقيق،أحمد شمس الدّين،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،ط1.

السلامي، عمر، (1980):الإعجاز الفنــي في القرآن الكريم،الشركة التونسية،تونس د.ط.

السامرائي، فاضل، (1998):التعبير القرآني،دار عمّار،عمّان،ط1.

سلام، محمد زغلول، (1976):أثر القرآن في النقد العربي،دار المعارف،مصر،ط1.

السعدني، مصطفى، (د.ت):البنيات الأسلوبية في الشعــر العـــربي الحديث،منشأة المعارف،الاسكندرية ، د.ط ،.

الشّنقيطيّ، محمد الأمين بن محمد المختار، (د.ت):أصول البيان في إيضاح القرآن بالقرآن،عالم الكتب،بيروت،د.ط.

الشهاب الخفاجيّ، أحمد بن محمد، (د.ت):حاشـــية الشهاب المســـماة(عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي)،دار صادر،بيروت،د.ط.

الشوكانيّ،(محمد بن علي بن محمـــد،ت1173هـ)،(1994)فتح القدير الجامع بين فنيّ الرواية والدراية في علم التفسير،دار ابن كثير،بيروت،لبنان،ط1.

ابن شيث القرشيّ،(عبد الرحيم بن علي،ت 625هـ)،(1988):معالم الكتابة ومغانم الإصابة،تحقيق،محمـــد حسين شمس الدين،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،ط1.

شلتوت، محمد، (1975):الإسلام عقيدة وشريعة،دار الشروق،القاهرة،ط1.

صالح، بهجت عبد الواحد، (1993):الإعراب المفصّل لكتاب الله المرتّل،دار الفكر للنشر والتّوزيع،عمّان،الأردن،ط1.

صعب، حسن، (1980): الإسلام والإنسان،دار العلم للملايين،بيروت،ط1.

الصوليّ،(محمـــد بن يحيى،ت335هـ)،(د.ت):أخبار أبي تمام،تحقيق:خليل محمود عساكر،ومحمـــد عبده عزام،قدم له،أحمد أمين،منشورات دار الآفاق الجديدة بيروت،د.ط.

طبانه، بدوي، (1997):معجم البلاغة العربية،دار المنارة،جدّة،ط4.

ابن طباطبا،(محمـــد بن أحمد العلوي،ت 322 هــ)،(د.ت):عيار الشعر،تحقيق:عبد العزيز بن ناصر المانع،توزيع مكتبة الخانجي،القاهرة،د.ط.

الطبرسي، أبي علي الفضل بن الحسين، (1986):مجمع البيان فـــي تفسير القرآن تصحيح،وتحقيـــق وتعليق:هاشم الرسول المحلاني، والسيد فضل الله الزبيدي دار المعرفة،بيروت،لبنان،ط1.

الطبري،(أبي جعفر محمد بن جرير،ت 310 هــ)،(1984):جامع البيان عن تأويل آي القرآن،دار الفكر،د.ط.

عظيمة، محمد عبد الخالق، (د.ت):دراسات لأسلوب القـــــرآن،دار الحديث،القاهرة ط1.

عبد المطلب، محمد، (1997):البلاغة العربية قراءة أخرى،مكتبة لبنان،لبنان بيروت ط1.

عبد المطلب، محمد، (1995):بناء الأسلـــوب في شعر الحداثة (التكوين البديعي)، دار المعارف،مصر،ط2.

علي، أسعد إسماعيل، (2000):القــرآن الكـــريم رؤية تربويّة،دار الفكر العربيّ، القاهرة،ط1.

عكّاوي، إنعام نوال، (1992): المعجـــم المفصـّـل في علوم البلاغة (البديع والبيان والمعاني) مراجعة:أحمد شمس الدّين،دار الكتب العلميّة،بيروت، لبنان،ط1.

عبّاس، فضل حســـن، (1987):البلاغة العربية فنونها وأفنانها،دار الفرقان للنشر، عمّان ، الأردن ، ط1.

عبّاس، فضل حســـن، (1987):القصص القرآني،دار الفرقان،عمان،الأردن،ط1.

ابن عجيبة، أبي العباس أحمـــد بن محمد بن المهديّ، (2002):البحـــر المديد في تفسير القرآن المجيد،تحقيق،عمـــر أحمـــد الراوي،دار الكتب العلمية،بيروت لبنان،ط1.

عبد التواب، صلاح، (1995):الصورة الأدبية في القرآن الكريم،مكتبة لبنان،بيروت ط.1.

عوده، رجاء محمد، (1999):النظم القرآني وأثره على مقاصد التنزيل الحكيم بحث منشور في مجلة الآداب،جامعة الملك سعود،المجلد 11.

العقاد، عباس محمود، (1965):حقائق الإسلام وأباطيل خصومه،دار الهلال القاهرة ، د.ط.

العلويّ، يحيى بن حمزة، (1982): الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،د.ط.

علي، أحمد علي، (1992):الإعجاز البياني في قصص القرآن،دار الطباعة المحمدية،القاهرة،ط1.

عودة، أبو عودة، (1991):بناء الجملة في الحديث النبوي الشريف في الصحيحين دار البشير،عمان،ط1.

غريب، روز، (1951):النّقد الجمالي وأثره في النّقد العربي،دار العلم للملايين بيروت لبنان ، ط1.

ابن فارس،(أحمد بن فارس،ت 395هـ)،(د.ت):الصّاحبيّ،تحقيق:أحمد صقر مطبعة عيسى البابيّ،القاهرة،د.ط.

فضل، صلاح، (1987):النظرية البنائية في النقد الأدبي،دار الشؤون الثقافية العامة بغداد،ط3.

الفراهيديّ،(الخليل بن أحمد الفراهيدي،ت175 هـ)،(د.ت.):كتاب العين،تحقيق: مهدي المخزومي،وإبراهيم السامرائي،دار مكتبة الهلال،مصر،د.ط.

أبو الفتوح، محمد حسين، (1995):أسلوب التوكيد في القرآن،مكتبة لبنان،بيروت، ط1.

الفيروز أبادي،(مجد الدين محمد بن يعقوب،ت817 هـ)،(د.ت):القاموس المحيط دار العلم للملايين،مصر،د.ط،.

القاسميّ،(محمد جمال الدين القاسميّ،ت 1322هـ)،(1994):تفسير القاسميّ المسمى(محاسن التأويل)،تحقيق،محمد فؤاد عبد الباقي،مؤسسة التاريخ العربي،بيروت لبنان،ط1.

ابن قتيبة،(أبو محمد عبد الله بن مسلم،ت276 هـ)،(1981):تأويل مشـكل القرآن شرح أحمد صقر:المكتبة العلميّة،الدّمام،ط5.

القزويني، جلال الدين محمد، (1993):الإيضاح فـي علوم البلاغة،تحقيق:محمد عبد المنعم خفاجي،المكتبة الأزهرية للتراث،القاهرة ،ط3.

قطب، سيـد، (1954):مشـاهد القيامة،دار المعـارف،مصـر،ط1.

قطب، سيد، (1956):التصوير الفني في القرآن الكريم،دار المعارف،مصر،ط2.

قطب، سيد، (1983):في ظلال القرآن،دار إحياء التراث،ط5.

قطب، محمد، (1985):دراسات قرآنية،دار الشروق،بيروت،لبنان،ط4.

القطان، منّاع، (1985)،مباحث في علوم القرآن،دار غريب،القاهرة،ط5.

قصّاب، وليد، (1985):التراث النقدي والبلاغي للمعتزلة حتى نهاية القرن السادس دار،الثقافة،الدوحة،ط1.

القرعان، فايز، (1994):التقابل والتماثل في القرآن الكريم،المركز الجامعي للنشـر والدعاية والإعلان،عمان،الأردن،ط1.

القرعان، فايز، (1996):التّكوين التّكراري في شعـر جميل بثينة،مجلة مؤتة،العدد السّادس.

قنيبي، حامد صادق، (د.ت):المشاهد في القرآن الكريم،مكتبة المـنار،عمّان،الأردن د.ط.

القيروانيّ،(الحسـن بن رشيق،ت456 هـ)،(1972):العمـدة في محاسن الشّعر وآدابه،تحقيق:محي الدّين عبد الحميد،دار الجيل،بيروت، لبنان، ط4.

القيسي، عودة الله، (1996):سرّ الإعجاز في القرآن،دار البشير،عمان،ط1.

القنوجي، حسن بن علي الحسين، (1989): فتح البيان في مقاصد القـرآن،تقديم: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري،إحياء التراث الإسلامي،مصر،د.ط .

ابن القيّم الجوزية،(جمال الدين عبد الرحمن بن الجوزي،ت597 هـ)،(1984):زاد المسير في علم التّفسير،المكتب الإسلامي،بيروت،لبنان،ط3.

ابن القيّم الجـوزيّة، محمد بن أبي بكر بن أيّوب، (د.ت):الفوائد المشوّق إلى علم القرآن وعلم البيان،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،د.ط.

الكاتب، علي بن خلف ،(1982):مواد البيان،تحقيق:حسين عبد اللطيف،منشورات جامعة الفاتح،طرابلس،د.ط.

الكرماني، محمود بن حمزة ،(1991):البرهان في متشابه القرآن،تحقيق:أحمد عزّ الدين،دار الوفاء،للطباعة والنشر،ط1.

الكرميّ، حسن سعيد ،(1992):الهادي إلي لغة العرب،دار لبنان،بيروت،ط1.

الكفويّ،(أبو محمد بن موسى الحسيني،ت1094هـ)،(1975): معجم المصطلحات والفروق اللغوية،تحقيق:عدنان درويش،ومحمد المصري،وزارة الثقافة والإرشاد القومي،دمشق،ط1.

الكلبيّ، محمد بن أحمد، (د.ت):التّسهيل لعلوم التّنزيل،تحقيق:محمد عبد المنعم يونس وإبراهيم عوض،دار الكتب الحديثة،القاهرة،د.ط.

لاشين، عبد الفتاح، (1983):صفاء الكلمة في التعبير القرآني،دار المريخ،الرياض ط1.

مطلوب، أحمد، (1987):معجم المصطلحات البلاغيّة وتطورها،المجمع العلمي العراقي،بغداد،د.ط.

مطلوب، أحمد، (1989): معجم النّقد العربيّ القديم،دار الشؤون الثّقافية العامة، بغداد،ط1.

المطردي، عبد الرحمن، (1986):أساليب التوكيد في القرآن الكريم،الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان،مصراته ،ليبيا،ط1.

المرسي، كمال الدين عبد الغني، (1999):فواصل الآيات القرآنية،المكتب الجامعي الحديث،الإسكندرية،ط1.

الماورديّ،(أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري،ت 350هـ)(1992):تفسير الماوردي،الموسوم بـ(النكت والعيون)،مراجعة:ابن عبد المقصود عبد الرحيم،مؤسسة الكتب الثقافية،لبنان،بيروت،ط1.

المنصور، زهير أحمد، (1421هـ):ظاهرة التكرار في شعر أبي القاسم الشابي "دراسة أسلوبية"،مجلة جامعة أم القرى للعلوم الشرعية،ج13،عدد21 رمضان.

المبارك، محمد، (1973):دراسة لنصوص من القرآن الكـــــريم،دار الفكر،بيروت لبنان،ط4.

مغنية، محمد جواد، (1983):التفسيـــر الكاشف،دار العلم للملايين،بيروت،ط3.

موسى، محمد يوسف، (1959):بين الدين والفلسفة،دار المعارف،القاهرة،ط1،.

المصـــــري، ابن أبي الإصبع، (1983)، تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجازه،تحقيق،حفني محمد شرف،لجنة إحياء التراث الإسلامي القاهرة د.ط.

المصـــــري، ابن أبي الإصبع، (1957):بديع القرآن ،تحقيق:حفني محـــمد شرف مكتبة نهضة مصر،القاهرة،د.ط.

ابن معصـــــوم المدني،(علي صدر الدين،ت1120هـــ)،(1969):أنوار الربيع في أنواع البديع،تحقيق:شاكر هادي،مطبعة النعمان،النجف،ط1.

المنادي، أحمد بن جعفر، (1408هــ):متشابه القرآن العظيم،تحقيق،عبد الله بن محمد الغنيمات،الجامعة الإسلامية،المدينة النورة،ط1.

ابن منظور،(محمد بن مكرم الأنصاري،ت711هـــ)،(د.ت):لسان العرب،دار صادر بيروت،د.ط.

ابن منقذ، أسامة ابن منقذ ،(1987):البديع في البديع،تحقيق،علي مهنا وآخرون، دار الكتب العلمية،لبنان،ط.1

الملائكة، نازك ،(1967):قضايا الشعر المعاصر،مكتبة النهضة،بغداد،ط3.

ناجي، مجيد عبد الحميد ،(1984):الأســـــس النفسّية لأساليب البلاغة،المؤســـسة الجامعيّة،للدّراسات والنّشر،بيروت،ط1.

النّقرة، التّهامي، (1976):سيكلوجيّة القصّة،الشّركة التّونسية،تونس،ط1.

نصّار، محمد، (1994):عناصر العقيدة الإسلامية،مجلة المسلم المعاصـــر،القاهرة العدد، 69 ــ 70،القاهرة.

النسفيّ،(عبد الله بن أحمد النسفيّ،ت 710هـــ)،(1996):تفسير النسفيّ المعـــروف بـــ(مـــــدارك التّنزيل وحقائق التّأويل)،تحقيق:مروان محمـــد الشـــّعار،دار النفائس القاهرة ، ط1.

النّويريّ،(شهاب الدّين أحمد بن عبــد الوهاب،ت 733 هــ)،(د.ت)،نــهاية الأرب في فنون الأدب،وزارة الثقافة والإرشاد القوميّ،القاهرة،د.ط .

النّيسابوريّ،(علي بن أحمد الواحديّ،ت 468هــ)،(1994)،الوسيط فــي تفســير القرآن المجيد،قدم له،عبد الحيّ الفــرماوي،دار الكتب العلمــيّة،بيروت،لبنان ط1.

النّيسابوريّ، نظام الدّين الحسن بن محمــــد القمّي، (1996):تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان ،ضبط وشرح،زكريا عميرات، دار الكتب العلمية،بيروت، لبنان،ط1.